



علوم اللغة العربية

Journal of Arabic Language Sciences

الزوائد المتحجرة الفرق بين الزوائد الصرفية والزوائد اللغوية

الوحدات المعجمية العبارية خصائصها وأصنافها

الاستفادة من الوافد الثقافي في دراسة بلاغتنا العربية
(الآلية والمشروعية)

الضمني أو كيف (نقول دون أن نقول)؟ قراءة في مفهوم التلميح
عند ديكر

حكايات ألف ليلة وليلة في الثقافة العربية سؤال الارتحال
والتأثير دراسة مقارنة

السنة الأولى - العدد الأول
ربيع الآخر ١٤٤٥ هـ - أكتوبر ٢٠٢٣ م

مجمع الملك سلمان
العالمي للغة العربية
King Salman Global Academy for Arabic Language



علوم اللغة العربية

Journal of Arabic Language Sciences

www.ksaa.gov.sa

مجلة علمية مُحكمة تصدر عن مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية





المشرف العام على المجلة

أ.د. عبدالله بن صالح الوشمي

إدارة التحرير

أ.د. علي بن إبراهيم السعود

رئيس التحرير

د. علي بن عوض الجميلي

مدير التحرير

أ. أحمد بن عبدالعزيز العظامي

أمين المجلة

هيئة التحرير

أ.د. صالح بن زياد الغامدي

أ.د. عمر بن عبدالعزيز السيف

أ.د. كوثر بنت محمد القاضي

أ.د. محمد بن سعيد الغامدي

الهيئة الاستشارية

أ.د. إبراهيم بن منصور التركي

أ.د. أحمد يوسف علي

أ.د. بسمة الحاج رحومة

أ.د. سعاد بنت عبدالعزيز المانع

أ.د. عبدالفتاح أحمد الحموز

أ.د. عبدالرزاق بن فراج الصاعدي

أ.د. عبدالله بن سليم الرشيد

أ.د. نوال بنت إبراهيم الحلوة

◆ صفة المجلة

مجلة علوم اللغة العربية هي مجلة علمية محكمة، تصدر عن مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية بدءاً من عام (١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣)، وهي تعنى بالدراسات المتخصصة في اللغة العربية، بفروعها الأساسية (النحو والصرف والمعجم والعروض وفقه اللغة والدراسات الأدبية والبلاغية).

◆ قواعد النشر

- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والأسلوبية والإملائية والطباعية.
- أن يكون البحث في أحد مجالات علوم اللغة العربية.
- أن يعتمد الباحث الأسس العلمية في جميع خطواته.
- أن يوثق البحث وفقاً لأسلوب (FOOT NOTE) في المتن والمراجع، على النحو الآتي:
[الجرجاني، دلائل الإعجاز / ١ / ٢٥٢] في أسفل كل صفحة.
- أن يضع ملخصاً للبحث مع بيانات الباحث كاملة باللغتين العربية والإنجليزية بما لا يتجاوز ٢٥٠ كلمة.
- أن يضع الباحث كلمات مفتاحية ما بين ٣ - ٦ كلمات.
- ألا يقل البحث عن ٦ آلاف كلمة ولا يزيد عن ١٤ ألف كلمة.
- ألا يكون البحث منشوراً في أي وعاء علمي، أو مقدماً للنشر في جهة أخرى.
- أن يقوم الباحث بـ (رومنة) المصادر والمراجع.



Journal information:

Journal of Arabic Language Sciences
A peer-reviewed bi-annual journal issued by
King Salman Global Academy for Arabic Language
Riyadh- Saudi Arabia
ISBN paper version: 9459-1658
ISBN Electronic version: 9467-1658

◆ بيانات المجلة:

مجلة علوم اللغة العربية
مجلة علمية محكمة تصدر عن
مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية
الرياض - المملكة العربية السعودية
ردمك النسخة الورقية: ٩٤٥٩-١٦٥٨
ردمك النسخة الإلكترونية: ٩٤٦٧-١٦٥٨

محتويات العدد

٩

الزَّوَادُ الْمُتَحَجِّرةُ الْفَرْقُ بَيْنَ الزَّوَادِ الصَّرْفِيَّةِ وَالزَّوَادِ اللُّغَوِيَّةِ

أ.د. عبدالرزاق بن فراج الصاعدي

١٠٥

الوحدات المعجمية العبارية خصائصها وأصنافها

أ.د. عبدالعزيز المسعودي

١٢٧

الاستفادة من الوافد الثقافي في دراسة بلاغتنا العربية (الآلية والمشروعية)

أ.د. إبراهيم بن منصور التركي

١٧٢

الضمنيّ أو كيف (نقول دون أن نقول)؟ قراءة في مفهوم التلميح عند ديكرود

أ.د. بسمة بلحاج رحومة

٢٠٦

حكايات ألف ليلة وليلة في الثقافة العربية سؤال الارتحال والتأثير دراسة مقارنة

أ.د. صالح بن عبدالعزيز المحمود



كلمة المجمع

يعد البحث العلمي لبنة أساسية في تطوّر العلوم وحركتها وانتشارها عالمياً، وعنصراً في المحافظة على أصولها، وبناء الأفكار عليها، ويزداد قيمة حينما يكون في الحقل الذي يشكّل الهوية والثقافة العربية والإسلامية؛ وهو اللغة.

وبناء على هذا؛ تكاملت وتعددت جهود المملكة العربية السعودية في أن تكون مُساهمة إسهاماً عالي القيمة في تعزيز أثر اللغة العربية إقليمياً وعالمياً؛ فصدر قرار مجلس الوزراء ذو الرقم (٣٤) في ١٣/١/١٤٤٢هـ، القاضي بإنشاء مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية؛ لتحقيق أهداف كبرى، من أهمها: وضع مرجعية علمية شاملة للغة العربية، تُعنى بإحياء تراثها، وتقديم الدراسات والأبحاث، وفتح مجالات النشر للعلماء والباحثين والمختصين فيها، وهو المجمع الذي يتكامل مع الجهود السعودية الأخرى في تمكين اللغة العربية وتعزيز استخدامها.

ومن هذا المنطلق، وضمن توجيهات سمو وزير الثقافة رئيس مجلس أمناء المجمع الأمير بدر بن عبد الله بن فرحان آل سعود - حفظه الله - عُني المجمع بإطلاق مجموعة متنوعة من البرامج والفعاليات، ولم يغفل عن السياق العلمي الرصين، ومنه: إصدار المجلات العلمية ضمن سلسلة متنوعة تواكب التطورات في اللغة، وتتكامل فيما بينها لتغطية جوانب عديدة، وكان من بينها: مجلة علوم اللغة العربية؛ لتكون نافذة للباحثين في مجالات الدراسات التراثية والحديثة في أنماطها المختلفة (النحويّة والتركيبيّة، والصرفيّة، والصوتيّة، وفقه اللغة، والدلالة، والعروض، والأدب والنقد، والبلاغة والتداوليّة، والمعجم) وغيرها.

وإني أشيد بجهود هيئة التحرير، وأشكر للهيئة الاستشارية تعاونهم، وإنّ مما يسعد مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية استقبال مشاركة العلماء والباحثين من مختلف أنحاء العالم بإنتاجهم العلميّ والبحثيّ، وإثراء أعداد المجلة بدراساتهم اللغويّة المتنوعة؛ لتكون منارة في حقول علوم اللغة العربيّة المتعدّدة، ولتسهم في زيادة الوعي اللغوي، ومعالجة مشكلاته، وتقديم الدراسات والرؤى التي تنهض بلغتنا التي شرفها الله بإنزال كتابه بلسان عربيّ مبين.

الأمين العام

المشرف العام على المجلة

أ.د. عبدالله بن صالح الوشمي



كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنّ مجمع الملك سلمان العالميّ للغة العربيّة خطّ لنفسه أهدافاً كبرى؛ خدمة للغة القرآن الكريم أولاً، وأن يكون له أثر ظاهر في تعزيز قيمة اللغة العربيّة محلياً، وإقليمياً، وعالمياً ثانياً؛ ولهذا تعدّدت مجالات عمله، وتنوّعت مبادراته النوعيّة، ومن بين هذه الأعمال والمبادرات تعزيز قيمة البحث العلمي ونشره، وفتح الآفاق المختلفة للباحثين، وإحداث الأوعية التي تلبي متطلبات البحث العلميّ قديمه وحديثه، والوقوف مع آخر مستجدّاته وأفكاره.

ومن هنا قدّم المجمع عدداً من المجالات العلميّة المتنوعة التي لا يوجد لاجتماعها نظير في مؤسسة علميّة، وهيا لها سبل النجاح والدوام؛ لتكون رائدة في البحث العلميّ، ونافذة مشرقة فيه، يركن إليها الباحثون من أصقاع العالم، وكان من بينها مجلّة علوم اللغة العربيّة، التي تهدف إلى أن تكون مرجعيّة علميّة متخصصة في الدراسات النحويّة، والصرفيّة، واللغويّة، والمعجميّة، والعروضيّة، والأدبيّة والبلاغيّة.

ويسرّنا في إطلاق أوّل عدد من أعداد هذه المجلّة أن نقدّم جملة من البحوث المتنوعة التي جمعت القديم والحديث؛ إذ يكشف هذا العدد عن الزوائد المتحرّرة

في كلام العرب، وتأصيلها، وبيان مواقعها، ومعياريها، وقيمتها في البحث اللغوي، وفي باب المعجم يوضح العدد أحد فروع مجالاته من خلال بحث الوحدات المعجمية العبارية، الذي يميز خصائصها وأصنافها.

كما يرصد العدد حالي التلاقي والتضاد في البحث العلمي مع الغرب، وذلك في بحث الاستفادة من الوافد الثقافي في دراسة بلاغتنا العربية، الآلية والمشروعية، وفي المجال نفسه يقدم بحث الضمني أو كيف نقول دون أن نقول؟، قراءة ومقاربة لسانية في مفهوم التلميح عند ديكر، ويختتم العدد بقراءة وتحليل لواحدة من السرديات المشهورة في تراثنا الأدبي، وهي حكايات ألف ليلة وليلة، إذ يدرس البحث سؤال الارتحال والتأثير في الثقافة العربية.

وإن مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية ممثلاً بمجلة علوم اللغة العربية ليسعد بمشاركة الباحثين ببحوثهم، وقراءاتهم النقدية، وأثرهم المعرفي في المجالات المتخصصة بها، والقيام بتحكيم أعمالهم ونشرها وفقاً لضوابط المجلة وشروطها.

رئيس التحرير

أ.د. علي بن إبراهيم السعود



الزوائد المتحجرة

الفرق بين الزوائد الصرفية والزوائد اللغوية

أ.د. عبدالرزاق بن فراج الصاعدي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(قدم للنشر في ١٤٤٤/٥/٢٥ هـ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٨/٢١ هـ ونشر في ١٤٤٥/٤/١ هـ)

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الزوائد في كلام العرب، فيكشف عنها ويحررها ويصنع مصطلحها ويفك اشتباك الآراء فيها، ويجيب عن أسئلة منها: ما الزوائد المتحجرة؟ وما حروفها؟ ومن أول من قال بأصل المسألة من أهل اللغة؟ وما الفرق بين الزوائد الصرفية والزوائد المتحجرة؟ وما مواقعها في الكلمة؟ وهل يمكن ضبطها بمعيار؟ وما قيمتها في البحث اللغوي؟ وما أثرها في الصنعة المعجمية؟ فجاء البحث في أربعة مباحث، وهي:

الأول: الأصول والزوائد عند البصريين والكوفيين.

الثاني: الزوائد المتحجرة: مدلولها وحروفها وطريقة وزنها.

الثالث: مواضع الزوائد المتحجرة.

الرابع: المعاجم ومَعْجَمَة الزوائد المتحجرة.

وانتهى إلى نتائج كثيرة، منها أنه يدفع هذا المذهب الخلط بين الزيادتين الصرفية واللغوية «المتحجرة»، ويخدم البحث المعجمي التحليلي، ويفتح آفاقاً واسعة للدلالة وصناعة المصطلح، ويعين على التعرف على الأصول المغرقة في القدم، وتتبع التطور التاريخي لها والكشف عن علاقاتها وما بينها من نتائج قُرْبِي مما يشبه العوائل اللفظية.

الكلمات المفتاحية:

لغة، صرف، الزوائد المتحجرة، الزيادة، البصريون، الكوفيون.



Fossilized affixes

Prof. Abdulrazzaq F. Al-Saadi .
Islamic University of Saudi Arabia

Abstract:

This research deals with the linguistic phenomenon of fossilized affixation in Arabic morphology. Seeking to unveil its features, the study proposes its term; defines its boundaries, and its unique letters, by historically reviewing its origin through traditional scholarly opinions. It draws the distinction between morphological affixes and fossilized affixes, and their occurrence in the word. The study investigates whether fossilized affixes can be standardized, and probes their value in linguistic research, and their impact on lexicography. The research is divided into the following four topics: root words and affixes according to the Basrans and the Kufans; functions of fossilized affixes, their letters and pattern analysis method “wazn”; occurrence of fossilized affixes within the word; and the lexicalization of these fossilized affixes in dictionaries.

The research concluded with a number of significant results. One is that distinction is now made clear between fossilized affixes and fossilized morphological affixes. This in turn contributes to lexical analytical research, and widens horizons for semantics and terminology. It traces back the historical origin of this phenomenon, and its historical development. It reveal the intrinsic family-like relations between these affixes.

Keywords:

Language, Morphology, Fossilized affixes, affixes, Basrans, Kufans.

المقدمة

يتناول هذا البحث مسألة مهمة تُعدّ عمود التصريف وصناعة المعجم؛ فيكشف عنها ويحررها، ويصنع مصطلحها، ويفكّ اشتباك الآراء فيها لدى فريقين عظيمين في تاريخنا اللغويّ؛ البصريين والكوفيين، ويسعى إلى التوفيق بينهما، وهي القول بزيادة حروف في بنية كلمات من غير الحروف العشرة المشهورة عند الصرفيين، ولأصول المسألة إشارات متفرقة وإلماحات مهمة عند بعض الكوفيين كـثعلب (٢٩١هـ)، وكُراع النمل (٣١٠هـ)، وابن فارس (٣٩٥هـ)، وتوسّع فيها هذا الأخير في معجمه مقاييس اللغة، لكنه ساقها سوقاً ولم يُحررها، فأرجو أن يُسهم هذا البحث في تحريرها وتجليتها، وأن يثمر عن نتاج جديدة فيها، وأن يخرج منها بنظرة أشمل وأعمق، فمعرفة الأصول والزوائد هي الأساس الذي تُبنى عليه الصناعة المعجمية في مدارسها الثلاث الشهيرة التقليبات، والقافية، والصدور.

تتألف بنية الكلمة العربية المتصرّفة من حروف أصول لا تقلّ عن ثلاثة ولا تزيد عن خمسة، وقد يصاحب الأصول زوائد تظهر بأعيانها في الميزان الصرفي، والمشهور عند جمهور اللغويين بعامة أنّ الزوائد عشرة على ما استقرّ في المذهب البصري، وأمّا المذهب الكوفي فلم يحرّر نظرتَه للزوائد، ولأصحابه إلماحات متفرقة جديدة بالنظر والوقوف عندها، نراها لدى ثعلب وكُراع وابن فارس، كجعل ثعلب الباء في الزَّغْدَب - هدير البعير - زائدة، مهتدياً بالاشتقاق في قولهم: هديرٌ زَغْدٌ وزَغْدَبٌ، ومعناهما واحد، وحروفهما متّفقة إلا الباء في الرباعي منهما، وكذلك الراء في دِمَثْرٍ وَسَبَطٍ وأشباههما، مع دَمِثٍ وَسَبِطٍ، فقال بزيادة الحرف الذي لا يظهر في الثلاثي: زَغْدٌ ودَمِثٍ وَسَبِطٍ، دون أن ينظر إلى نوع ذلك الحرف، وسار على نهجه كُراع النمل، فجعل العين في ارْتَعَجَ زائدة؛ لوجود ارتجّ بمعناه، وجعل الحاء زائدة في الصَّلَنْقَح والصَّرَنْقَح بمعنى الصياح، وأصله عنده الصَّلْق، ثم تبدل اللام بالراء وتزاد النون والحاء، والزاي في أَرَمَ إرماءً وأرزم إرزاماً إذا سكّت، كما سيأتي



مفصلاً، ومن هذا الباب زوائد ابن فارس في المقاييس، إذ لا يمتنع عنده القول بزيادة أي حرف من حروف العربية متى سمح له الاشتقاق بذلك، فهو يرد كثيراً من الرباعيات والخماسيات إلى الثلاثيات إما بزيادة حرف أو بالنحت، فإن أعياه الاشتقاق جعل اللفظ مما وُضع وضعاً، أو مما لا قياس له.

ويأبى البصريون ذلك، ويجعلون أقوال الكوفيين وآراءهم التي تقضي بزيادة حروف ليست من العشرة دليلاً على بعدهم عن هذا العلم الدقيق (التصريف)، وخاضوا في نقدهم وتبكيتهم والسخرية منهم، وشنَّ عليهم أبو علي الفارسي وتلميذه الفذَّ ابن جني، وأخرجوا بعضهم من أهل الصناعة^(١)، وسخر عبد القاهر الجرجاني من تصريف ابن دريد في الجمهرة ووصفه بأنه من تصريف الصبيان^(٢). ولم أجد في أهل العلم والصناعة من يُنصف الكوفيين في الزوائد اللغوية أو يُقرب بين الفريقين، فهل كان الكوفيون مخطئين في تلك الزوائد؟ فإن كانوا على وجه من أوجه الحقِّ أفلا يكون كل من الفريقين مصيباً من جهته مخطئاً من جهة خصمه؟ ولماذا جعل القول بزيادة غير العشرة من أغاليط التصريف الكبيرة التي لا تغتفر؟

نعم، وقبل سنوات كتبت في الزوائد مقالاً وجيزاً بعنوان: (حروف الزيادة اللغوية الأحفورية) نُشر في جريدة المدينة بتاريخ: ٢٠١٢/١١/٣٠م، وتضمن إلماحات وإشارات متفرقة في هذه المسألة، وفرقت فيه بين الزيادتين الصرفية واللغوية، ولكني لم أفصل ولم أحرر، إذ كان مقالاً قصيراً؛ فرأيت بسط القول في المسألة وتحرير المصطلح والتفصيل في الزوائد غير الصرفية وبيان مواضعها وحروفها وأثرها، ثم ترددت في المصطلح وعنوان البحث، واقترحت في بادئ الأمر: (حروف الزيادة الصرفية وحروف الزيادة اللغوية) وهو منطبق على المضمون،

(١) ابن جني، الخصائص، ٣/ ٢١٨.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح التكملة، ٢/ ٨٣٢، ٨٣٣.

ويؤيده من الجانب الشكلي التناظرُ بين (الصرفي) و(اللغوي) في: (الإبدال الصرفي) و(الإبدال اللغوي)، فالإبدال نوعان: صرفي ولغوي، وكذلك حروف الزيادة صرفية ولغوية، فلما وصفتُ الزوائد اللغوية بأنها أحفورية متحجرة؛ أي قديمة، ترددت بين عنوانين أحدهما: (الزوائد الأحفورية: الفرق بين الزوائد الصرفية والزوائد اللغوية) والآخر: (الزوائد المتحجرة: الفرق بين الزوائد الصرفية والزوائد اللغوية)؛ فاخترت الثاني؛ إذ يمكن وصف الزوائد اللغوية بأنها زوائد متحجرة متشبّثة بالكلمة، خلافاً للزوائد الصرفية المرنة في دخولها وخروجها، فأمل أن يكون هذا المصطلح مناسباً قريباً مما أردت وأن يتحرّره مفهوم الزوائد.

ويسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما الزوائد المتحجرة؟ وما حروفها؟ ومن أول من قال بأصل المسألة من أهل اللغة؟ وما الفرق بين الزوائد الصرفية والزوائد المتحجرة؟ وما مواقعها في الكلمة؟ وهل يمكن ضبطها بمعيار؟ وما قيمتها في البحث اللغوي؟ وما أثرها في الصنعة المعجمية؟ وهل يمكن التوفيق بين الفريقين البصري والكوفي فيكون كل منهما على حق؟ أي باعتبارين مختلفين؟ ومن هنا جاءت الدراسة في أربعة مباحث، وهي:

المبحث الأول: الأصول والزوائد عند البصريين والكوفيين.

المبحث الثاني: الزوائد المتحجرة: مدلولها وحروفها وطريقة وزنها.

المبحث الثالث: مواضع الزوائد المتحجرة.

المبحث الرابع: المعاجم ومُعْجَمَة الزوائد المتحجرة.



المبحث الأول: الأصول والزوائد عند البصريين والكوفيين:

تُبْنَى الألفاظ المتصَرِّفة في لغة العرب على حروف أصول، وتسمَّى في التصريف: الأصول، وهي في الصناعة المعجمية: الجذور أو المواد، والأصول ثلاثة: ثلاثية ورباعية وخماسية، وتلحقها الزوائد في الاشتقاق والتصريف، فيزداد على الثلاثي حرف أو حرفان أو ثلاثة أو أربعة، ويزاد على الرباعي حرف أو حرفان أو ثلاثة، ويزاد على الخماسي حرف أو حرفان، هذا مذهب البصريين وجمهور أهل اللغة بعامة، ومن الأصول الراسخة في الثقافة اللغوية أنَّ حروف الزيادة عشرة^(١)، يجمعونها في قولهم: (سألتمونيها) أو (هويت السَّمان) أو (أمان وتسهيل) أو (اليوم تنساه)، وهي معلومة عند المشتغلين بالتصريف وصنَّاع المعاجم، يقولون في الإجمال: لا يكون حرف زائد في الكلمة العربية من غيرها، ولكلِّ حرف من هذه العشرة مواضع مشهورة تَطْرُد زيادته فيها، فصلَّها الصرفيون في كتبهم، ويستثنون من العشرة زيادة التضعيف إذ تقع في جميع الحروف إلا الألف، نحو كَبَّرَ؛ إذ ضاعفوا الباء وهي عين الكلمة، وَذَرَّحَ وَحَلَبَ وَصَمَحَ وَبَرَهَ وَسِرَطَ؛ ضاعفوا العين واللام، وَمَرَمَرَسَ؛ ضاعفوا الفاء والعين، كما ضاعفوا العين واللام، قال سيبويه: ألا ترى أنَّ معناه معنى المراساة^(٢)، ثم قال: «فأما جعفر فمن بنات الأربعة، لا زيادة فيه، لأنه ليس شيء من أمهات الزوائد فيه، ولا حروف الزوائد التي تجعلها زوائد بثبت، وإنما بنات الأربعة صنف لا زيادة فيه، كما أن بنات الثلاثة صنف لا زيادة فيه. وأما سفرجل فمن بنات الخمسة، وهو صنف من الكلام، وهو الثالث، وقصته كقصه جعفر. فالكلام لا زيادة فيه ولا حذف على هذه الأصناف الثلاثة»^(٣)، ثم قال: «فمن زعم أنَّ الراء في جعفر زائدة

(١) هذا على مذهب الجمهور من البصريين، وأخرج بعضهم الهاء واللام من حروف الزيادة، فهي ثمانية، ويمكن جمعها في: (أمستويان) أو (أنست يوما)؛ ولأن الحديث في هذا البحث يتناول التفريق بين الزوائد الصرفية والزوائد المتحجرة فلن أناقش الخلاف في زيادة هذين الحرفين.

(٢) سيبويه، الكتاب، ٤ / ٣٢٧.

(٣) سيبويه، الكتاب، ٤ / ٣٢٨.

أو الفاء، فهو ينبغي له أن يقول: إنه فعلٌ وفعلٌ، وينبغي له إن جعل الأولى زائدة أن يقول جفعلاً، وإن جعل الثاني أو الثالث أن يقول فَعْعَلٌ وفَعْعَلٌ. وينبغي له إن يقول في غلقِ فعلٍ، وإن جعل الأولى زائدة أن يقول غفعلاً؛ لأنه يجعلهن كحروف الزوائد. فكما تقول أفعَل وفوعل وفعوعل وفعلن، كذلك تقول هذا؛ لأنه لابد لك من أن تجعل إحداهما بمنزلة الألف والياء والواو. وينبغي له أن يجعل الأخيرين في فرزدق زائدين، فيقول فَعْلَدَق. فإذا قال هذا النحو جعل الحروف غير الزوائد زوائد، وقال ما لا يقوله أحد»^(١).

وهكذا كان للبصريين الحظّ الأوفر والقُدح المُعلّى في التصريف، ومعرفة الزوائد وتمييزها من الأصول التي يقوم عليها الميزان الصرفي، الذي به تُعرف أحوال الحروف في الكلمة، بين الأصالة والزيادة، والحذف أو القلب، وعلى معرفة الأصول والزوائد تُبنى قواعد مهمة في أبواب الإعلال والتثنية والتكسير والتصغير والنسب، وقد ترسّخ مذهب البصريين وظهر على مذهب الكوفيين وسائر المذاهب، وتغلغل في العقل الجمعي والوعي الثقافي في حواضر العلم العربية، وكان من النادر رؤية مخالفين أو منتقدين لأصول المذهب من كبار اللغويين المتأخرين، حتى الذين مزجوا المذهبين من نحاة العصور الوسطى كانوا يتهيبون مخالفة البصريين في الأصول، فلما قال أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) كلمته الشهيرة التي صدح بها في (البحر المحيط) معبراً عن تحرّره وتحرّر لغويي زمانه من قيود التمثيل عُدت كلمته مظهرًا من مظاهر الشجاعة الأدبية، إذ قال: «ولسنا متعبّدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم، فكم حكم ثَبَّتَ بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون»^(٢)، وقال مرة أخرى: «ولسنا مُتَعَبِّدِينَ بأقوال نحاة البصرة»^(٣)، فتناقلها أهل العلم بإعجاب، وعدّوها

(١) سيبويه، الكتاب، ٤ / ٣٢٨.

(٢) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ٣ / ٥٠٠.

(٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ٥ / ١٥. وينظر: الخفاجي، عناية القاضي، ١ / ٢٧٧ - ٢٧٨.



دعوة جريئة للتحرر الفكري اللغوي وكسر الطوق الذي تركه التمهيد لدى الأجيال المتعاقبة بعد سيبويه .

وأما جمهور الكوفيين فيرون أنّ الأصول ثلاثية، وما زاد عن الثلاثي فهو زائد، فالرباعي عندهم مزيد بحرف، والخماسي مزيد بحرفين، خلافاً للبصريين، ويظهر أثر ذلك في الميزان الصرفي للرباعي والخماسي، فيزنونهما بأكثر من طريقة، وهذا مخالف للنهج البصري مخالفة أصول لا مخالفة فروع، قال ابن عصفور: « وكل ذلك باطل، لما ذكرناه من أنّه لا ينبغي أن يُقضى على حرف بزيادة، إلا بدليل »^(١).

ويتسعون في حروف الزيادة، ولا يقتصرون على العشرة، ودليلهم فيها الاشتقاق، ولكن مذهبهم فيها مائع ورأيهم غير محرر، ولهم فيها إلماحات وومضات متفرقة لم يكتب لها التجاح، إذ كان مذهبهم أدنى إلى الفوضى والاضطراب، فليس لديهم قاعدة أو معيار صارم يُحكم إليه، ولم يهتدوا إلى أن الزوائد نوعان: صرفية وغير صرفية، ولو فعلوا لكان فتحاً علمياً ربما يُغلق الأفواه التي كانت تسخر من مذهبهم المائع في الزوائد، وحين ننظر في مصادرهم نقف على إشارات لهم مهمة ومتفرقة في حروف الزيادة عند ثعلب وهو من رؤوسهم، ويقطع بعضهم شوطاً فيها ككراع النمل في المنتخب وأحمد بن فارس في المقاييس، كما سيأتي.

لقد توسّعا في الزوائد ولم يحرروها ولم يميزوا بين نوعين من الزوائد، وهما ما سميته: الزوائد الصرفية والزوائد اللغوية، وهذا الثاني هو الزوائد المتحجرة، ففاتهم الوقوف على الأثر اللطيف للتفريق بين النوعين؛ ولعل ذلك يرجع إلى غموض الفكرة لديهم، فالتبست زوائدهم بعد العشرة بالزوائد الصرفية، فكان من نتائج هذا التداخل والغموض سخرية الخصوم من البصريين، التي بلغت مداها لدى أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني. ومع ذلك كان بعض الكوفيين -كأبن فارس- يمضي في نهجه في المقاييس لا يلوي على شيء، ويقول بما يعتقدده وما يمليه عليه خاطره في زوائد الرباعي والخماسي؛ فيقول بزيادة حروف ليست

(١) ابن عصفور، الممتع، ١/ ٣١٣.

من العشرة، كالباء والجيم والحاء والخاء وسائر حروف الهجاء، ولا يلتفت إلى رأي البصريين، وهو معاصر لأكثرهم صرامة وحزمًا في هذا الشأن: ابن جني تلميذ أبي علي فارسي. قال أبو الفتح في سر الصناعة: «ومن طريف ما يحكى من أمر الباء أن أحمد بن يحيى قال في قول العجاج:

يَمْدُ زَارًا وَهَدِيرًا زَعْدَبًا

إن الباء فيه زائدة، وذلك أنه لما رآهم يقولون: هَدِيرُ زَعْدُ وَزَعْدَبُ، اعتقد زيادة الباء في زَعْدَبُ، وهذا تَعَجُّرُ منه، وسوء اعتقاد، ويلزم من هذا أن تكون الراء في سَبْطُرٍ، وِدْمَثُ زائدة، لقولهم سَبْطُ وَدْمَثُ، وسبيل ما كانت هذه حاله ألا يُحفل به، ولا يُتشاغل بإفساده»^(١). وقال في الخصائص: «وقوله: إن الباء زائدة كلام تمجّه الأذان، وتضيق عن احتماله المعاذير، وأقوى ما يذهب إليه فيه أن يكون أراد أنهما أصلان مقتربان كسبَط وسبَطِر، وإن أراد ذلك أيضًا فإنه قد تعجرف»^(٢)، وقال في المبهج في كلامه على اسم بَعَثَ بْنَ لَقِيْطِ الْأَسَدِيِّ: «كأنه من الْأَبْعَثُ، وهو من خَشَّاشِ الطَّيْرِ وضعافها، ولست أقول عن الراء زائدة، كما قال أحمد بن يحيى إن الباء من زَعْدَب زائدة؛ لأنه أخذه من الزَّعْدُ، وهو الهَدِيرُ يَقْطَعُهُ الْبَعِيرُ في حلقة. هذا ما لا أستجيزه، وأعوذ بالله من أمثاله... وأحسن الظنّ بأبي العباس أن يريد ما نذهب نحن إليه في نحو سَبْطُ وسَبْطُرٍ وَدْمَثُ وَدْمَثُرٍ وَلَوْلُوْ وَلَوْلُ وَجَعْفَةُ وَجَعْفَلَةُ»^(٣) من أنها أصول تقاربت وليست من واد واحد»^(٤). والباء في «الزَّعْدَبُ» زائدة عند الكوفيين، ولم ينفرد بها ثعلب، وكان ابن فارس يرى أن زيادتها ظاهرة^(٥) لا لبس فيها.

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١/ ١٢٢.

(٢) ابن جني، الخصائص، ٢/ ٤٩.

(٣) هكذا ضبطهما محقق المبهج، على أنهما مصدران للفعليين: جَعَفَهُ وَجَعَفَلَهُ.

(٤) ابن جني، المبهج، ص ١٥٤، ١٥٥.

(٥) ابن فارس، المقاييس، ٣/ ٥٤.

هذه حُجَّة البصريين لخصصها ابن جني، وهي مشهورة في مصادرهم، ولكن الكوفيين في الزوائد يتمسكون بدلالة الاشتقاق، وعليه المعوّل عند كراع النمل في المنتخب وأحمد بن فارس في المقاييس، وقد أحصيت ما في كتابيهما من الزوائد المتحجرة:

زوائد كُراع النمل (ت ٣١٠هـ):

عقد كُراع باباً في كتابه «المنتخب من غريب كلام العرب» للزوائد، أسماه: (باب الزوائد من حروف الهجاء) وفصل فيها، وقال: هي عشرة، وذكرها بما يوافق نهج البصريين، وذكر مواضع زيادتها، ولم يأت بجديد في هذا، ولكن الجديد في الباب الذي يليه، وهو: (باب الزوائد من غير العشرة ومن أخواتها)^(١). ولعل هذه أول إشارة صريحة إلى الزوائد غير الصرفية في تراثنا، ولكن كراعاً لم يحرر الرأي، والزوائد عنده ثلاثة: زوائد صرفية، وأخوات الزوائد، وغير أخوات الزوائد، فما أخوات الزوائد عنده؟ وما غيرها؟

أولاً: أخوات الزوائد:

وهي عنده أربعة: الدال والطاء والزاي والجيم؛ فالدال أخت التاء^(٢)، والطاء أخت التاء^(٣) أيضاً، والزاي أخت السين^(٤)، والجيم أخت الياء^(٥)، ومثال (الدال) رِخْوٌ ورِخْوٌ، قال: وإنما زادوها؛ لأنها أخت التاء، ولهذا قالوا: تَوَلَّجٌ ودَوَلَجٌ، لسِرْبِ الوَحْشِ، وتَقْصَارٌ ودَقْصَارٌ للقلادة القصيرة^(٦)، ومثال (الطاء) الزائدة عنده: فَرَشَطٌ: أي فَرَشَ ووقع في الضْمُرُوطِ: أي الضْمُر، قال: إنما زيدت؛

(١) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢ / ٧٠٠.

(٢) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢ / ٧٠٤.

(٣) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢ / ٧٠٤.

(٤) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢ / ٧٠٣.

(٥) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢ / ٧٠٥.

(٦) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢ / ٧٠٤.

لأنها أخت التاء؛ ولهذا أبدلوا منها فقالوا: مَتَّ وَمَطَّ وَمَدَّ، وَالْغَلَطُ وَالْغَلَّتْ، وَفَحَصْتُ وَفَحَصْتُ، وَالْقَسُطُ وَالْكُسْتُ^(١). وأمَّا (الزاي) فزيدت عنده في قولهم: أَرَمَ إِرْمَامًا وَأَزْرَمَ إِرْزَامًا؛ إذا سكت، وثوب رازي منسوب إلى الرِّيِّ ورجل مَرَوْرِيٍّ؛ منسوب إلى مَرَوْ، وإنما زيدت؛ لأنها أخت السين. والسين من الزوائد^(٢)، وأمَّا (الجيم) فزيدت في قولهم: دَحْرُتُهُ وَدَحْرَجْتُهُ، وامرأة خَذَلَةُ السَّاقِ وَخَذَلَجَةٌ، ويقال لضرب من الملاهي: وَنٌ وَوَجٌّ، ويقال هَمَرَوْهُمْ رَجَّ: إذا أسرع، وإنما زيدت؛ لأنها أخت الياء، ولهذا أبدلوا منها في قول العامة: المَسِيدُ والمسجد والشجرة والسَّيْرَة^(٣).

ثانياً: غير أخوات الزوائد:

ذكر كُراع منها: العين والغين والقاف والكاف والحاء والفاء والراء والرَّاي والطاء والدال والباء، وذكر أيضاً اللام (مع أنها من حروف الزيادة). فـ (العين) تزداد عنده في «ارْتَجَّ»، فيقال: ارْتَعَجَّ، وفي حديث الإفك: «فَارْتَعَجَّ الْعَسْكَرُ» وفي «تَقَوَّسَ الشَّيْخُ وَتَقَعَّوَسَ، وَتَخَزَّلَ وَتَخَزَعَلَ؛ إذا تعارجَ» وقال: فزيدت العين وليست من الزوائد، ولا من أخواتها^(٤). و(الغين) زائدة في دَغَفَقْتُ الماء؛ لأنه من دَفَقْتُهُ^(٥). و(القاف) في الْعَسَلَقِ وهو الذئب؛ لأنه مشتق من الْعَسَلَانِ^(٦). و(الكاف) في قول الشاعر:

يا ابن الزبير الحيرنا مُنْبِيكُ

أَنِّي مِنْ قَيْسٍ وَقَيْسٌ مِنْكَ^(٧)

(١) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢/ ٧٠٣، ٧٠٤.

(٢) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢/ ٧٠٣.

(٣) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢/ ٧٠٤، ٧٠٥.

(٤) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢/ ٧٠٠، ٧٠١.

(٥) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢/ ٧٠١.

(٦) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢/ ٧٠١.

(٧) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢/ ٧٠١، ٧٠٢.

وفي شاهد زيادة الكاف هنا نظر، فهي ضمير أو لاحقة صوتية لحقت بـ (مَنِي) لترميم القافية، وليست من بنية الكلمة، ولو استشهد بهندكي وهنادكة لكان أحسن، وذكر المحقق أنه لم يجد هذا الشاهد في مصادره، وأنا كذلك لم أقف عليه فيما تحت يدي من مصادر. و(الحاء) في الصَّلَنْقَح، وهو الصَّيَّاح، وأصله «الصَّلَقُ»^(١) و(الفاء) في قولهم: مَخَشَفٌ وَمَخَشٌ، بمعنى: جريء على الليل^(٢). و(الراء) في قولهم: كَشَمْتُ أَنْفَهُ وَكَشَمَرْتُهُ؛ أي: كَسَرْتُهُ، قال: وإنما زِيدَتِ الرَّاءُ لقربها من اللام، واللام من الرَّوَايدِ^(٣). و(الباء) في قولهم: شَبَرَفْتُ الثَّوْبَ؛ بمعنى: شَرَقْتُهُ؛ أي: مَدَدْتُهُ^(٤). و(اللام) في ناقة هَمْرَجَلَة: سريعة، وذكر أن الأصل قبل الزيادة هَمْرَج^(٥). ويلاحظ أن هذا الحرف من حروف الزيادة العشرة، ولا أدري لم ذكره كُراع هنا؟ ولعله أراد أن يشير إلى أن اللام وحروف الزيادة العشرة قد تزداد زيادة غير صرفية، ولكنه لم يفصح عن هذا بشيء جلي.

وهذه الحروف وأمثالها في تلك الكلمات زوائد مبهمة عند كُراع، لم يحرر المذهب فيها، والقول بزيادتها منكر بالغ عند البصريين؛ لأنها ليست من حروف الزيادة العشرة، ولا تظهر في الميزان الصرفي عند أحد من أهل اللغة المعتبرين، ولذا عدوها أصولاً أينما وجدوها في بنية الألفاظ المتصرفية، وعدوا ألفاظها -كَدِمْتُ وَدِمْتُ- مما تشابهت معانيه وتقاربت حروفه، وينكرون صلة الاشتقاق بينها، ويجعلونها من المترادفات، غير أنها تبدو عند النظر والفحص خلاف ما قرره، فهي زوائد لغوية متحجرة يكشفها الاشتقاق والدلالة، شابها الأصول في

(١) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٧٠٢ / ٢.

(٢) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٧٠٢ / ٢.

(٣) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٧٠٣ / ٢.

(٤) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٧٠٥ / ٢.

(٥) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٧٠٥ / ٢.

تشبُّثها بالكلمة وخلوها من معنى صرفي طارئ تقتضيه الزيادة، فجاءت ملتبسة غامضة، والحكم عليها متأرجح بين طرفين؛ فمن قال بأصالتها نظر إلى حالها الذي استقرت عليه، وقاسها على زوائد التصريف المشهورة التي تطرد في معاني الزيادة، ومن قال بزيادتها نظر إلى الأصل القديم، فهي أشبه بالمتحجرات التي تعلق بالشيء فلا تنفك منه، ومن هنا أشكل حالها على القوم.

وخلاصة الزوائد عند كراع:

أولاً: حروف الزيادة العشرة: السين، والهمزة، واللام، والتاء، والميم، والواو، والنون، والياء، والهاء، والألف.

ثانياً: أخوات الزوائد: الدال، والطاء، والزاي، والجيم.

ثالثاً: الزوائد من غير الزوائد العشرة وأخواتها الأربعة، وهي ما بقي من حروف الهجاء، ولكنه لم يستقصها، وذكر اللام وهي من الزوائد العشرة، وأحسبه سهواً.

زوائد ابن فارس (٣٩٥هـ):

سار ابن فارس في المقاييس على أثر كراع في المنتخب، ولكنه خطا خطوة لغوية بالغة الأهمية في تأصيل الرباعي والخماسي وردهما إلى الثلاثي، منطلقاً من المعنى والاشتقاق، ولا يمتنع عنده زيادة الحروف غير العشرة، ولا يحفل بقيود الصرفيين البصريين، فالراء على سبيل المثال زيدت في ٣٥ كلمة، والعين زيدت في ٢٠ كلمة، والباء في ١٩ كلمة، والدال في ١١ كلمة، والحروف عند ابن فارس صالحة لأن تكون زائدة، باستثناء ثلاثة منها لم ترد في الرباعيات والخماسيات التي فسرها؛ وهي: الثاء، والصاد، والطاء، وأحسب أن زيادتها لا تمتنع عنده ولكنه لم يصادفها في أمثلته التي جمعها في معجمه، وقد فاتته شيء من اللغة.

وقد أُشرت إلى طريقة ابن فارس هذه وحللت جذوره الرباعية والخماسية في كتابي (تداخل الأصول اللغوية)^(١)، وأجريت هناك بعض الإحصاءات لما فيه من الزيادة وما فيه من النحت وما قال بأنه وضع وضعًا، وسأبسط القول في طريقته وأحصى زوائده المتحجرة في هذا البحث، وهو ينحوفي الزوائد منحى كراع، ويردّ أكثر الرباعيّات والخماسيّات إلى الثلاثي، مهتديًا بالاشتقاق والدلالة، إلا القليل الموضوع وضعًا كما يسمّيه أو ما لا قياس له، وله في الرّدّ طريقتان، وهما:

١. أن يكون اللفظ منحوتًا من أصلين ثلاثيين أو من ثلاثة أصول^(٢).

٢. أن يكون مزيدًا بحرف أو بحرفين^(٣).

وأما ما يخفى اشتقاقه وتتعرّس إعادته إلى الثلاثي بإحدى هاتين الطريقتين فيصفه بأنّه مما وُضع وضعًا^(٤)؛ أي جاء رباعيًا أو خماسيًا منذ أول أمره، أو هو عنده مما جهل أمره فيُسكت عنه. ويُلخص ابن فارس الطرق الثلاث التي اعتمدها فيما زاد على الثلاثة في قوله: «هذا سبيل ما مضى ذكره؛ فبعضه مشتق ظاهر الاشتقاق؛ (أي مزيد فيه)، وبعضه منحوت بإدي النحت، وبعضه موضوع وضعًا على عادة العرب في مثله»^(٥).

ويعينني في هذا البحث الزوائد عنده، وقد أحصيتُ ما في معجمه (مقاييس اللغة) مما زاد فيه على الثلاثة، ونصّ على الزيادة فيه نصًّا صريحًا؛ فأُلفتُ عدته ستًا وثلاثين ومائتي كلمة، أكثرها من الرباعي، ومن الخماسي عشر كلمات قال بزيادة حرفين في كل منها.

(١) ينظر: عبد الرزاق الصاعدي، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم العربي (رسالة دكتوراه)، ١/ ١٢٤ - ١٣٠.

(٢) ينظر: ابن فارس، المقاييس، ١/ ٣٣٢، ٢/ ٣٣٦، ٣/ ٢٤٨، ٥٢/ ٣.

(٣) ينظر: ابن فارس، المقاييس، ١/ ٤٠٣، ٢/ ٣٢٨، ٣/ ٢٤٨، ٥٢/ ٣.

(٤) ابن فارس، المقاييس، ١/ ٥١٢، ٢/ ٣٣٥، ٣/ ٥٤.

(٥) ابن فارس، المقاييس، ٢/ ٥٥٣.

ولم تكن الزوائد المتحجرة في المقاييس مختصة بموضع دون غيره من الكلمة، بل نجدها في أول الكلمة أو في حشوها أو في آخرها؛ على النحو الآتي:

أ- ما وقعت الزيادة في أوله (فائه) وعدته سبع وثلاثون كلمة^(١)، ومن أمثلة ذلك قوله: «دَرَجَجْ: إذا تَدَلَّلَ. والدَّال فيه زائدة، وهو من دَجَجَ، يُقال: مشى حتى تَدَجَجَ، أي اسْتَرَحَى»^(٢)، وقوله: «الْحَبَجَرُ: وهو الوتر الغليظ... والحاء فيه زائدة، وإنما الأصل الباء والجيم والراء»^(٣).

ب- ما وقعت الزيادة في ثانيه (عينه) وعدته ثمانون كلمة^(٤)، ومنه قوله: «الْبُرْشَاعُ: الذي لا فؤاد له، فالراء زائدة، وإنما هو من الباء والشين والعين»^(٥)، وقوله: «الْخَذْرُوفُ، وهو السَّريع في جَرِّه، والراء فيه زائدة، وإنما هو من خَذَفَ، كأنه في جَرِّه يَتَخَذَفُ، كما يُقال يَتَقَاذَفُ إذا تَرَامَى»^(٦)، وقوله: «الشُّرْسُوف... وهي مَقَاظُ الأضلاع؛ حيث يكون الغُضُرُوف الدَّقِيق؛ فالراء في ذلك زائدة، وإنما هو: شَسَفَ»^(٧).

(١) ابن فارس، المقاييس، ٣٣٢/١، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٦٣، ٥٠٨، ٥١١، ١١٤/٢، ١٤٥، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٥٤/٣، ٥٤/٤، ٣٥٨/٤، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧٠، ٥١٤، ١١٨/٥، ١٦٥، ٤٨٣، ٧٢/٦.

(٢) ابن فارس، المقاييس، ٢٣٨/٢.

(٣) ابن فارس، المقاييس، ١٤٤/٢.

(٤) ابن فارس، المقاييس، ٣٣٢/١، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ١٤٥/٢، ٢٥١، ٢٥٢، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٥٢/٣، ٥٣، ٥٥، ١٥٨=، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٢، ٢٧٣، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٣٥٧/٤، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢.

٣٧٢، ٥١٣، ١١٦/٥، ١١٧، ١١٨، ١٩٣، ١٩٤، ٧١٠/٥.

(٥) ابن فارس، المقاييس، ٣٣٢/١.

(٦) ابن فارس، المقاييس، ٢٥٢/٢.

(٧) ابن فارس، المقاييس، ٢٧٣/٣.

ت- ما وقعت الزيادة في ثالته (لامه الأولى) وعدّته تسع وأربعون كلمة^(١)، فمن ذلك قوله: «الثَّلْعَبُ: مخرج الماء من الجَرِين؛ فهذا مأخوذ من: ثَعَبَ؛ اللام فيه زائدة»^(٢)، وقوله: «العَيْسَجُورُ: النّاقَة السّريّة. وهذا ممّا زيدت فيه الرّاء والياء، وإنّما هو من عَسَجَتْ في سَيْرِها. وقد مضى ذِكرُ العاسِجِ»^(٣)، وقوله: «الخُذْرُوفُ: وهو السّريع في جريه، والراء فيه زائدة»^(٤).

ث- ما وقعت الزيادة في رابعه (لامه الثانية) وعدّته ثمان وستون كلمة^(٥)، فمثاله قوله: «ومن ذلك قولهم للقصير: جَعْبَرٌ... وتكون الرّاء زائدة»^(٦)، وقوله: «بغير قُرَامِلٍ عظيم الخَلْق؛ وهذا ممّا زيدت لاه، وأصله القَرْمُ»^(٧)، وقوله: «الْخَدْلَجَةُ: وهي الممتلئة الساقين والذراعين، والجيم زائدة، وإنّما هو من الخدالة»^(٨).

ج- ما وقعت الزيادة في خامسه (لامه الثالثة) وفيه كلمتان^(٩)، وهما: قوله: «عَنْقَفِيرٌ: الدّاهية؛ وهذا ممّا هُوَلَّ أيضًا بالزيادة. يقولون للدّاهية عَنْقَاءُ، ثُمَّ يزيّدون هذه الزّیادات، كما قد كرّرنا القول فيه غير مرّة»^(١٠)؛ يعني أنّه زيد مع

(١) ابن فارس، المقاييس، ٤٠٣/١، ٥٠٩، ١٤٤/٢، ١٣٦، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٥٠٩، ٥١٠، ٥٤/٣، ١٥٩، ١٦٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٤٠٢، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٣٧١/٤، ٣٧٢، ٤٣٠، ٤٣١، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٦٨، ١١٦/٥، ٧١/٦، ٧٢.

(٢) ابن فارس، المقاييس، ٤٠٣/١.

(٣) ابن فارس، المقاييس، ٣٦٣/٤.

(٤) ابن فارس، المقاييس، ٢٥٢/٢.

(٥) ابن فارس، المقاييس، ٣٢٩/١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٥٠٩، ١٤٣/٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩، ٥١٠، ٥١١، ٥٤/٣، ١٥٩، ١٦٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٤٩، ٣٥١، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٥٧، ٤٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٧٣، ٥١٤، ٥١٣/٤، ١١٧/٥، ١١٨، ١٩٣، ٤٨٣، ٤٨٤، ٧١/٦، ٧٢.

(٦) ابن فارس، المقاييس، ٥١٠/١.

(٧) ابن فارس، المقاييس، ١١٨/٥.

(٨) ابن فارس، المقاييس، ٢٤٨/٢.

(٩) ابن فارس، المقاييس، ٣٧٢/٤.

(١٠) ابن فارس، المقاييس، ٣٧٢/٤.

الياء حرفان الفاء والراء؛ لأنّه جعله من العنقاء، وقوله: «ومن ذلك قولهم: لقيتُ منه (الْفُتُكْرَيْنَ)؛ وهي الشّدائد، وهذا من الفُكّ، وسائرُه زائد»^(١)؛ أي: بزيادة الراء والنّون ومعهما الياء.

ويلخّص الجدول الآتي عدد الزوائد في كل موقع من الرّباعي عند ابن فارس:

موقع الزيادة	فاء الكلمة	عينها	لامها الأولى	لامها الثانية	لامها الثالثة
العدد	٣٧	٨٠	٤٩	٦٩	٢

هذا مذهب ابن فارس فيما زاد على الثلاثة من الأصول، وهو مذهب عُرف به، يمضي فيه على النهج الكوفي، ولكنه لا يتقيّد بموقع ثابت للزائد في الرباعي أو الخماسي؛ فقد يكون في آخر الكلمة، كما قال الفراء، أو في الحرف الذي قبل الأخير، كما قال الكسائي، وقد يكون في غير ذلك، كأن يكون في أول الكلمة، أو في ثانيها، أو في ثالثها في الخماسي.

وهذا إحصاء للزوائد المتحقّرة عند ابن فارس في المقاييس وبيان مواقعها:

الحرف	في فاء الكلمة	في عين الكلمة	في اللام الأولى	في اللام الثانية	في اللام الثالثة
الهمزة			المصمّل		
الباء	البحظلة، البُرْدَس، بَلْدَم، بَرَقع، البَرْكَلَة	الصَّبْغَطى، العباهل	خَرْبِصيص، خَلْبَصَة، عَرِيس، اخرنيق	الزغذب، الصَّغْبَب، العقرب، الهرجاب، الطُّحلب، طحربة	
التاء	تَبْرَاك، التَّرْنُوق	تحتَرش، العُتْرَسَة	العنتريس	خَلْبُوت، الصفاريت	

(١) ابن فارس، المقاييس، ٤/ ٥١٢.



الحرف	في فاء الكلمة	في عين الكلمة	في اللام الأولى	في اللام الثانية	في اللام الثالثة
الثاء					
الجيم		الْهَجَنَج		الْخَدَلَجَة	
الحاء	الحبجر، الحوأب	طحمر، الدحمان			
الخاء				البرزخ	
دال	درخ، دمشق، الدُّمُرْغ، دخرص	رداح	الصُّرداح، الصَّرَدَح	الصَّفندد	
ذال					
راء		البرشاع، البرغثة، البرجمة، الشرجب، جرعب، الخرطوم، الادرنيق ادرمَج، الشُّرسوف، المُصرَغَط، طرْمَج، الطرمساء، المطرهم، الغراهم، العُرقوب، الفرقمة، القرفصاء قُرموص، كرسَف، الهَرِيشم.	الشماريخ العُطرسة، الغُطرفة، الخُذروف، الشُّمْرَج.	العُكْبَرَة، ابذعر، جعبر، العيسجور، الغضنفر، الفتكرين، قمطير	عَنْقَفِير
زاي				تجرمز	
س			العُبُسورة	الصُّعْبُوس، وضغاييس، عَرْنِدَس، الْقُدْمُوس، الْقَرَقُوس، النَّقْرس	

الحرف	في فاء الكلمة	في عين الكلمة	في اللام الأولى	في اللام الثانية	في اللام الثالثة
ش	العشيق، العشيطة		طرفس		
ص					
ض			العفصاج		
ط	العطبول		الفرشيط		
ظ					
ع	العبهر، العضنكة، العجلد، العجلزة، العجرد، العنجد، العنجل، العمرس، العملط، العصفور، العرصاف، عنجد	بعثر، الدعلجة، الدعثور	الخبعثنة، الصقعل		
غ		دغفق			
ف	الفلحس	الدفنس، العفاهم	صلفع	اذرعف، عنقفير	
ق	القطرب		الدرقمة، الدلقم	الزهمقة، شبرق، العسلق، التمرقة	
ك			الجسكل	الصملك، الصبارك، والصبراك، والهبركة	



الحرف	في فاء الكلمة	في عين الكلمة	في اللام الأولى	في اللام الثانية	في اللام الثالثة
ل		البَلْعَك، البَلْقَع، اسلنطح، القَلْلَنفح، الطلخف، العُلُكُوم، صلخدُ، القَلْهَمس، القلهدم، الهَلْهَاجَة.	الثَّغْلَب، الدُّمْلَج، الحَقْلَد، الحذْلَقَة، حملج، الحملاج، مزلعب، الصِّمْلَاخ، العَمَلَس	جَحْشَل، خَفَنْجَل، اسبِغَل، العُسْقُول، العُقْبُول، اقْضَل، قُرَامَل	
م		الدملوك، الزملق، ازمهر، الزمجرة، زمر، اسمقر، السمادير، السملق، اصمعد، الصمرد، عَمْرُوس، العميثل، العمرط	الدُّلْمَص، السَّرْمَد، طرمج، الطرمّاح، صلمع، عرْمَس، العِطْمَش، الهرماس	بلعوم، بَرَعَم، بَلَسَم، خُلْقُوم، احرنجم، مُحْصَرَم، حضرَم، الخَلْجَم، الْفَدْعَم، الدلقم، الزريقم، السَّرْطِم، الشبرم، الصَّرْزِم، الصُّبَارَم، الصَّبْئَم، الصُّرْسَامَة، الظَلْخُوم، العُجْرَم، العُلْجُوم، العَرْضَم، كَرْدَم، الْقُرْشُوم، قَشْعَم	
ن	النهيلة	الجنادع، العنتر، العنصر، العَنْبَس، جُنْبَل، جُنْدَب، جَنْدَل، الخنبصة، الخنطولة، الدنخس، الشَّنْذَارَة، العُنْقُود القنازع، تكنبث، الكُنْدُر، القنعاس	الخَرِيق، العَجْنَس	المُحْلَقن، ارجحن	الْمُتَكْرِن

الحرف	في فاء الكلمة	في عين الكلمة	في اللام الأولى	في اللام الثانية	في اللام الثالثة
و		التَّوْلِب، الشَّوْقِب	الدَّوْلِب		
هـ	الهِلْقَام، الهِزْلَاج، الهِزْزِر، الهِطْلَع	الدَّهْكَم	السَّمْهَرِيَّة، المَسْلَهَب، اسْلَهَم، السَّلَهَب، المُعْلَهَج، العزاهيل، العَلَهَب، القلهزم		
ي	اليَغْفُور، اليَرْيُون، يَمْوُود، اليَرْنَدَج، يَلْمَلَم	الْعِيْهْرَة			
المجموع	٣٧	٨٠	٤٩	٦٩	٢

وَلَقِيَتْ زَوَائِدُ ابْنِ فَارَسٍ اسْتِحْسَانَ بَعْضِ اللُّغَوِيِّينَ الْمَعَاصِرِينَ، وَمِنْهُمْ صَبْغِي الصَّالِحُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهَا حِينَ تَنَاوَلَ طَرِيقَتَهُ فِي الْإِشْتِقَاقِ وَأَصُولِ الرِّبَاعِيَّاتِ وَالْخَمَاسِيَّاتِ، وَقَالَ: «وَهُوَ حِينَ يَأْتِي بِالشَّوَاهِدِ عَلَى هَذِهِ الزِّيَادَةِ اللُّغَوِيَّةِ السَّمَاعِيَّةِ آيَةً فِي التَّدْقِيقِ وَالتَّحْقِيقِ، يُصَحِّحُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَخْطَاءِ الشَّائِعَةِ. فَمَنْ يَقْرَأُ فِي الْمَعَاجِمِ أَنَّ الرَّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ مَنْسُوبَةً إِلَى سَمْهَرٍ، يَظُنُّ الْمَادَّةَ مِنَ الرِّبَاعِيَّاتِ الْمَوْضُوعَةِ وَضَعًا، ثُمَّ لَا يَلْبِثُ أَنْ يَكْتَشِفَ أَنَّ أَصْلَهَا السَّمْرَةُ، وَأَنَّ الْهَاءَ فِيهَا زَائِدَةٌ، كَمَا نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ ابْنُ فَارَسٍ»^(١)، وَلَمْ يَزِدِ الصَّالِحُ عَلَى هَذَا.

وَمِنْهُمْ تَمَامُ حَسَّانَ الَّذِي تَنَاوَلَ هَذِهِ الزَوَائِدَ الَّتِي أَسَمَّيَهَا الزَوَائِدَ الْمُتَحَجِّرَةَ فِي حَدِيثِهِ عَنِ الْحَاجَةِ الْمَاسَّةِ إِلَى التَّوَسُّعِ فِي حَقْلِ الْمِصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْفَنِيَّةِ

(١) صَبْغِي الصَّالِحُ، دَرَسَاتُ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ، ص ٢٧١.

والحضارية، وخلق مفردات على مثال الصيغ المتاحة خلافاً للإلصاق الذي نراه في لغات أخرى، وذكر أن هذا الأمر يحتاج إلى الكثير من شجاعة الرأي للتوسّع في خلق صيغ جديدة، وفتح باب الإلحاق على مصراعيه، وأن علماء اللغة يستطيعون -لو أرادوا- أن يضيفوا إلى الصيغ العربية العرفيّة العامة صيغاً جديدة عرفيّة خاصّة. فما وسيلة ذلك إن كانت حروف الزيادة العشرة ستقف حجر عثرة في طريقه؟ يقول تمام حسان «ينبغي قبل التفكير في الوسيلة أن نزعّم أن حروف الزيادة في اللغة الفصحى ليست قاصرة على حروف (سألتمونيها)؛ فكل حرف في اللغة العربية صالح من الناحية العمليّة لأن يكون زائداً لمعنى، ولنا أن نسوق الأمثلة الآتية للتدليل على هذا الزعم:

- دَحَرَجَ ذات صلة بالثلاثي درج، والمزيد الحاء.
- زَعَرَدَ ذات صلة بالثلاثي عرد، والمزيد الزاي.
- شَقَلَبَ ذات صلة بالثلاثي قلب، والمزيد الشين.
- عَرَبَدَ ذات صلة بالثلاثي عرد، والمزيد الباء.

وليس واحد من هذه الحروف الأربعة المزيدة يُعدّ من حروف سألتمونيها، فإذا أبجنا لأنفسنا زيادة الحروف دون قيد للتعبير عن مقولات التحوّلات العلمية المختلفة؛ استطعنا في النهاية أن نخلق صيغاً جديدة للثلاثي المزيد، تصلح كل صيغة منها باعتبارها معنى صرفياً لأن تضمّ تحتها العدد الكبير من العلامات؛ أي: المفردات الاصطلاحية العلمية أسماء، وصيغاً، وأفعالاً على السواء»^(١)، ولكن تمام حسان لا يبيّن لنا الفرق بين هذه الزوائد الاعتبارية التي يقترحها في المصطلحات وزوائد الصرفيين، ويبدو أنها متروكة عنده للحاجة لصنع مصطلحات دون قيد أو ضابط، فيظلّ الغموض مسيطراً على زوائده تلك، وهو في طريقته أقرب إلى

(١) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٥٣.

منهج الكوفيين، ولكن يبقى شيء من المنهج البصري في الميزان الصرفي مسيطراً على رأي تمام حسان؛ فهذه الزوائد التي يقترح الاتساع فيها تعامل عنده معاملة الزوائد الصرفية، وتظهر في الميزان زائدة في مواضعها التي تزداد فيها، فقد تكون قبل الفاء، «كأن يكون لدينا صيغة مثل (دَفَعَلَ) تَخَصَّصَ لمعنى كُلِّيٍّ من المعاني العلمية تندرج تحته معانٍ فرعية، كأن نقول مثلاً: (دَسَخَنَ) إذا تَمَّ التسخين على طريقة تندرج تحت هذا المعنى العلمي الكلي، ويمكن أن يكون الحرف الزائد بين الفاء والعين فتكون الصيغة (فَدَعَلَ)، أو بين العين واللام فتكون (فَعَدَلَ)، أو في آخر الصيغة فتكون (فعلد)، ولكل صورة مشتقاتها من المضارع والأمر والصفات الخمس والميميات، كما يكون لها مصدر وهلم جرا مما تحمل فيه زيادة الدال في كل موضع جديد معنىً كلياً جديداً، فإذا كانت الدال وحدها قادرة حين تزداد في أماكن مختلفة أن توجد الآلاف المؤلفة من المصطلحات الجديدة؛ فتصور إذاً ما تحمله الحروف كلها ما عدا حروف سألتمونيها بالطبع من إمكانات؛ لأن كل صيغة من الصيغ الجديدة تحمل في طيها طاقة خلق مفردات لا حصر لها»^(١).

ولم يجد هذا الرأي لتمام حسان رواجاً لدى اللغويين فيما أعلم.

وللدكتور سالم بن سليمان الخماش بحث مهم في تأصيل الجذور الرباعية في اللسان لابن منظور، جاء بعنوان: (أصول الجذور الرباعية في لسان العرب: دراسة دلالية معجمية)^(٢) نحا فيه منحى ابن فارس^(٣)؛ في القول بزيادة حرف في بعض الرباعيات، باحثاً عن الجذور الثلاثية المحتملة لمقابلاتها الرباعية بناء على التحليل والمقارنة بالمقابلات الثلاثية، معتمداً على دلالة الاشتقاق، وينتهي في كل مثال إلى القول بزيادة الحرف الذي لا يجده في المقابل الثلاثي، سواء كان من حروف الزيادة

(١) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٥٣.

(٢) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية في لسان العرب: دراسة دلالية ومعجمية، من منشورات مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٧هـ.

(٣) فسرت طريقة ابن فارس في تحليل الجذور الرباعية والخماسية، وأحصيت جذوره في كتابي تداخل الأصول اللغوية، وسيأتي الحديث عنه مفصلاً وهو رسالة دكتوراه.



الصرفية أو غيرها، على منهج ابن فارس، مثل «خلبص الرجل: فرّ، الأصل الثلاثي: خبص. الخبّص: الرعب»^(١) ودرس (١٤٢٧) جذراً رباعياً مما ورد في معجم لسان العرب، وخلص فيه إلى أنّ (١٣٣١) جذراً رباعياً نشأ كلّ منها بزيادة حرف على الأصل الثلاثي، ودراسته من أحسن ما قرأت في تأصيل الجذور والتمثيل بمنهج ابن فارس، ومن بعض جذوره أفدت في دراستي هذه، وأشرت إليه في مواضعه.

المبحث الثاني: الزوائد المتحجرة: مدلولها وحروفها وطريقة وزنها:

رأينا مذهب البصريين في الزوائد ثم مذهب الكوفيين وهو مذهب فضفاض غير محرّر، وآمل أن يكون في هذا المبحث ما يعين على الفصل بين نوعين من الزوائد مع الملاءمة بين الفريقين العتيدين؛ فالزوائد نوعان: صرفية ولغوية؛ أي: متحجرة، ولكلّ من الزيادتين حروفها، ولو فرّق الكوفيون بين الزيادتين لما كان للبصريين عليهم من سبيل، فالقول بالزوائد المتحجرة يفكّ الاشتباك والالتباس بين علماء البصرة والكوفة، ويتيح للغة التوسّع في صناعة الجذور والمصطلحات عند الحاجة كما يدعون تمام حسان، مع القدرة على التحليل المعجمي للجذور والبحث في تطورها والكشف عن صلات الاشتقاق ووشائج النسب بينها.

فما تعريف الزوائد المتحجرة أو الزيادة المتحجرة، وما حروفها، وما وزن الكلمة المزيدة بزيادة متحجرة؟

تعريف الزوائد المتحجرة وحروفها:

هي زوائد سماعية تستقرّ في الكلمة للإلحاق أو التكثير أو التهويل أو لغير معنى، وتنقلها من بنية الثلاثي إلى الرباعي أو الخماسي، وليس للزوائد المتحجرة

(١) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٧٣.

حروف مخصوصة؛ وإنما كل الحروف صالحة لأن تكون زوائد متحجرة باستثناء الألف، وهذا يشمل حروف الزيادة الصرفية فهي صالحة لأن تأتي زوائد متحجرة كما سيأتي، وقد يكون في الكلمة زائدان أحدهما صرفي والآخر متحجر، كقولهم: يوم مُصَمِّقٍ؛ شديد الحر؛ فالميم الأولى زائدة زيادة صرفية، والثانية زائدة زيادة متحجرة؛ ولذا وضعها صاحب اللسان والتاج في الجذر الرباعي: (ص م ق ر) وقد أصابا، كما سيأتي.

والزوائد المتحجرة تخالط الأصول فتشابهها وتلبسها، لا يكشفها إلا الاشتقاق الذي برع فيه كراع وابن فارس، فالتاء في (الترامن)^(١)، والهاء في (الهَمْجَة)^(٢)، واللام في (الحذقة)^(٣)، والميم في (السَّمَلَج)^(٤)، والعين في (المُعْنَفَش) والْعِنْفَاش^(٥)، زوائد متحجرات ثوابت في كلماتهن، وزياداتهن مוגلة في القدم وتتصف بالثبات؛ أي: لا تفارق الكلمة في تصريفاتها.

ولا ضابط مطّرداً للزوائد المتحجرة في أغراض الزيادة أو مواضعها؛ فقد يكون الزائد المتحجر أولاً، كالعين في عَجَرْدَتْهُ من ثيابه وهو من جَرَدَتْهُ من ثيابه، فهو مُجَرَّدٌ ومُعَجَرَّدٌ، والدال في دَخَرَصَ الْأَمْرَ: بَيَّنَّهُ، عن ابن فارس، قال: والوجه أن تكون الدال زائدة، وهو من خَرَصَ الشَّيْءَ. ويكون وسطاً، كالراء في قَضَبْتُهُ

(١) وهو الجمل إذا أَسَنَ فَتَرَى هَامَتَهُ تَرَمَرُ إذا اُعْتَلَفَ.

(٢) الهَمْجَة: الاختلاط في المشي، وَهَمْجْتُ عليه الخبر؛ أي خَلَطْتُهُ وهو من الثلاثي مرج، يقولون: مرج أمر الناس إذا اُخْتَلَطَ، فَأَلْأَمَر مَارِج ومريج. وزيادة الهاء ظاهرة.

(٣) يقولون: وإنه ليتحذلق علينا إذا أظهر الحذق، وادعى أكثر مما عنده، وفيه حذقة، وتحذلق؛ وهو من المتحذلقين، واللام مزيدة.

(٤) ويوم السَّمَلَج: يوم الفطر، من سملجه في حلقه إذا أرسله وهو من سلج بزيادة الميم.

(٥) أَنَا فُلَانٌ مُعْنَفَشٌ بلحيته، ومقْنَفَشًا، وفُلَانٌ عِنْفَاشٌ اللَّحْيَةِ وَعِنْفَشِي اللَّحْيَةِ. والأصل الثلاثي هو نَفَش، والنَّفَش: مَدَّكَ الصَّوْفَ حَتَّى يَنْتَفَشَ بَعْضُهُ عن بعض، وقالوا: باتت إبلهم نَفَشًا إذا تركوها تَرعى بالليل ليس معها راع، وقد أَنْفَشَ الْقَوْمُ وهي إبلٌ نَوَافِشٌ.

وَقَرَضَبْتُه: أي قطعته، ويكون آخرًا كميم زُرُقْم وسُتْهُمْ وَشَدَقَم، وطاء الضُمُرُوط في قولهم: وقع في الضُمُرُوط؛ أي: في الضُمُر وضييق العيش، والراء في دِمَشْرٍ، وهو بمعنى دَمَشٍّ، وهذه الحروف زوائد عند الكوفيين.

وزن الزائد المتحجر في الكلمة:

يعامل الحرف الزائد في الميزان معاملة الأصلي؛ ف(الرَّغْدَب) مع القول بزيادة بائها فَعَلَّ كَجَعْفَرٍ لَا فَعْلَبَ، وَزُرُقْم فَعْلُ كِبْرَقَع لَا فُعْلُم، وَ(دَسَخَن) التي يقترحها تمام حسان هي فَعْلَل كَدَخَرَج لَا دَفْعَل كما يرى، وَ(تَمْدَرَع وَتَمَسْكَن) تَفْعَلَل كَدَخَرَج لَا تَمَفْعَل؛ لأن هذه الزيادات متحجرة؛ أي: لغوية لا صرفية، وينبغي تمييز الزائد المتحجر من الزائد الصرفي فيعامل معاملة الأصل، مع اعتقاد زيادته في التأنيل والتأصيل، فإن قيل كيف توزن المتحجرات بميزان الأصل وهي زوائد؟ قيل: إنها تخالف الزوائد الصرفية؛ فهي في الغالب لإلحاق بناء ثلاثي ببناء رباعي أو خماسي، لغير غرض من أغراض الزوائد الصرفية القياسية، مع ثبات الحرف في الكلمة والتباسه بالأصول حتى لا يعرف إلا بالاشتقاق؛ ومن هنا حَسُن التفريق بين الزيادتين في الميزان، وينعكس هذا على الصنعة المعجمية؛ إذ يعامل الزائد المتحجر معاملة الأصول، مع التنبيه على زيادته، ويفيد ذلك في معرفة أصله عند التحليل والتأنيل.

وإن من يتأمل التشابه بين بعض الرباعيات وما يقابلها من الثلاثيات في الحروف والدلالة يدرك صلة الاشتقاق بين اللفظين، وأن الرباعي متطور من الثلاثي بزيادة حرف أو حرفين زيادة غير صرفية، ويدرك أن ثعلبًا وكراعًا وابن فارس لم يبتعدوا عن الصواب حين حكموا بزيادة حروف من غير العشرة، فمن ينظر إلى تلك الألفاظ وما بينها من وشائج القرى في الحروف والدلالة يدرك أن مفهوم الزوائد أوسع من المفهوم الضيق لدى الصرفيين البصريين، وأن التفريق بين الزوائد يخدم البحث اللغوي وتتبع نشأة الجذور وتطورها.

فكل متحجر سواء كان من حروف الزيادة الصرفية العشرة أو من غيرها يعامل في الوزن معاملة الأصل، وإن كان من حروف الزيادة، مع اعتقاد زيادتها

على الأصل القديم، فَرُقِمَ على وزن فُعْلُل لا فُعْلُم، ورَعِشَ على وزن فَعَلَل لا فَعَلَن، وكذلك دِمَثْرُوسِبطَر، فيُعْتَدُّ بالحرف في الصنعة المعجمية؛ وتكون زُرُقَم في باب الميم من معاجم القافية كما فعل أكثر المعجميين، ورعشن في باب النون، وهكذا؛ لأنها زوائد متحجرة لا صرفية، ويشار إلى زيادة الحرف عند الحديث عنها في الجذر، فابن منظور وضع زرقم في باب الميم والضيض في باب النون، مع أنه أشار إلى زيادة الميم والنون فيهما، وهذا هو النهج الأمثل.

ولعل ما أضرَّ برؤية الكوفيين في الزوائد أنهم لم يفرقوا بين زيادة صرفية وزيادة لغوية جذورية متحجرة، فخلطوا بين النوعين، وفتحوا بذلك باباً للنقد وَلَج منه البصريون، وسخروا منهم.

وقد نرى لبعض البصريين إلماحات في الزوائد اللغوية، منهم الزمخشري صاحب المفصل، فنراه يخالف قوله في المفصل؛ فيقول بزيادة حرف ليس من العشرة، كقوله في معجمه أساس البلاغة في مادة (حد): «وَحَدَرَ السَّوْطُ: قتله، وهو من حَدَرَ الثَّوبَ، بضم الجيم إليه»^(١)، ويقول في مادة (حدب): «وناقة حَدَبَاءٍ حَدْبَار: بَدَتْ حَرَاقِفُهَا من الهزال، وَوُقُوقُ حَدْبُ حَدَابِير، ضَمَّ إلى حُرُوفِ الْحَدَبِ حرف رابع، فَرَكَّبَ منها رباعي»^(٢)، ويلاحظ أن الزمخشري قال في حَدَرَ: (بضم الجيم) ولم يقل بزيادتها؛ لأن الجيم عنده ليست من حروف الزيادة، وكذلك قال في الحدابير (ضَمَّ إلى حُرُوفِ الْحَدَبِ حرف رابع، فَرَكَّبَ منها رباعي) وعبارته هاتان توحيان بأن الزيادة هنا مختلفة عن الزوائد الصرفية المألوفة، وهذه لفظة خفية مهمة، ولكنه لم يحرر ولم يفصل، ولعلها وقعت له مما ينقله عن بعض مصادره الكوفية، والزيادة في هاتين الكلمتين لغوية متحجرة لا صرفية، فيكون موضع (حَدَرَ) في الصناعة المعجمية الأصلية

(١) الزمخشري، أساس البلاغة (ح د ر)، ص ١٧٤.

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة (ح د ب)، ص ٧٥.

الرباعي لا غير، وكذلك (الحدابير) في الرباعي لا الثلاثي، ويحسن الإشارة إلى زيادة الحرف المتحجر.

وبهذا المنهج في الزوائد اللغوية وهي الزوائد المتحجرة يمكننا أن نجد مخرجاً لغوياً للكلمة (الجربوع) في لهجاتنا، وهو اليربوع في الفصحى المعجمة، أبدلوا الياء جيمًا، والياء والجيم يتعاقبان، تارة تبدل الجيم ياء كمسجد ومسيد، وشجرة وشيرة، وتارة تقلب الياء جيمًا، كقولهم في الإيل: الإجل، وجاءت مبدلة في الياء المشددة طرفاً، نحو عليّ والبرنيّ والصيصي: عليّ والبرنج والصيصج. ووزن اليربوع: (يفعلول) وجذره ثلاثي [رب ع] والجيم في الجربوع بدل من زائد، ولما كان إبدالها في أول اللفظ غير مألوف؛ التبست بالزوائد اللغوية وتحجرت، فنعدّها من الزوائد اللغوية، فإما أن تقول إنّ وزن جربوع: (يَفْعُول) باعتبار الأصل، أو (جَفْعُول) باعتبار الحال، أو (فَعْلُول) باعتبار الزيادة اللغوية، وهذا الأخير هو اختياري؛ لأن الجيم تحجرت وثبتت، فهي زيادة لغوية لا صرفية، ألا تراهم يشتقون منها الفعل الرباعي ويقولون: جَرَبَعٌ يُجَرِّعُ جَرَبَعَةً؟ فيكون الجذر المعجمي للجربوع والجربعة رباعياً: [ج رب ع] مع اعتقاد زيادة الجيم زيادة لغوية، ويشار إليه في الثلاثي [رب ع] إشارة إحالة.

أمثلة للزوائد المتحجرات في حروف الهجاء:

تقع الزوائد المتحجرة من جميع الحروف إلا الألف؛ لأنها لا تكون إلا مدّاً ولا تقع أصلاً، ولم أجد مثلاً لمتحجرات الصاد، وسأذكر أمثلة من زوائد كل حرف، لغرض التمثيل وليس الاستقصاء، ولاحظت عند جمع المادة أنّ الزوائد تكثر في حروف دون حروف، فهي في بعض حروف الذلاقة كـ (الميم والراء والباء والنون) أكثر من غيرها، ثم اللام، وأمّا الفاء من حروف الذلاقة فليست كأخواتها، ويلاحظ أيضاً أنّ حروف الزيادة الصرفية تأتي زوائد متحجرة، كما أنها تأتي أصيلة، وهذه أمثلة لكل حرف من حروف الهجاء:

(الهمزة): من متحجرات الهمزة:

رأبل / ربل: ذئب (رئبال)، والأسد يسمى رئبالاً، وقال ابن دريد: هو مأخوذ من تربل اللحم؛ وهو غلظه، والهمزة زائدة^(١).

سمأل / سمل: (اسمأل)؛ بمعنى ضمير، الهمزة زائدة، وأصله اسمال، واشتقاقه من السمل، وواحدها: سملة؛ بقيّة الماء في الحوض، والسّمال: بقايا الماء في فُقر الصفا^(٢).

طفال / طفل: (الطِفيل)؛ الماء الرنق الكذر يَبْقَى في الحوض، واحِدُهُ: طِفيلةٌ، واشتقاقه من الطّفّل والطُّفال^(٣)، وهو الطين اليابس، وطفيل كأمير: الماء الكذر يبقى في الحوض. فهذه زوائد متحجرة. وفي بناء أفعّل المنقول من أفعال تكثر متحجرات الهمزة، وسيأتي.

(الباء): ومن متحجرات الباء:

بحدل / حدل: (بَحْدَل) الرجل إذا مالت كتفه، والبَحْدَلَةُ الخِفة في السَّعي^(٤)، واشتقاقه من الثلاثي حدل، ومنه الحَدَل: تطأ من أحد المَنكَبَيْن، والرجل أحدل والمرأة حدلاء.

برقش / رقش: (برقشت) الثوب؛ إذا نقشته بألوان شتى^(٥)، وهو من الثلاثي رقص، ومنه: الأَرَقَش: لون فيه كدورة وسواد كلون الأفعى، وحيّة رقصاء: فيها ألوان من سواد وخُمْرة وغيرهما، والاسم الرُقشة والرَّقش.

-
- (١) ابن دريد، الجمهرة، ١ / ٣٢٨، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٤٩.
(٢) الخليل، العين، ٧ / ٢٦٧، ابن السكيت، الألفاظ، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٠٢.
(٣) ينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٠٢.
(٤) الأزهري، التهذيب (ب ح دل)، ٥ / ٣٢٩.
(٥) ابن دريد، الجمهرة (ب ر ق ش)، ٢ / ١١٢٠.

بزَمْخ/زَمْخ: (بَزَمْخَ) الرجل يُبَزَمْخُ بِزَمْخَةٍ؛ إِذَا تَكَبَّرَ^(١)، وَاشْتَقَّاقُهُ مِنَ الثَّلَاثِي زَمْخ، وَفِيهِ: الزَّامِخُ: الشَّامِخُ بِأَنْفِهِ، وَزَمْخُ بِأَنْفِهِ زُمُوخًا: رَفَعَهُ تَكَبُّرًا^(٢).

(التاء): ومن متحجرات التاء:

تَبْرَكَ/بَرَكَ: (تَبَرَّكَ) فِي الْمَوْضِعِ؛ إِذَا أَقَامَ بِهِ، وَمِنْهُ اسْمُ تَبْرَاكٍ، وَهُوَ مَوْضِعُ^(٣)، التَّاءُ زَائِدَةٌ.

تَفْرِج/فَرَج: (التَّفَارِيجُ) خَصَاصُ الدَّرَابِزِينَ وَقَتَحَاتُ الْأَصَابِعِ، وَاحِدَتَهَا تَفْرِجَةٌ^(٤)، وَاشْتَقَّاقُهَا مِنَ الْفُرْجَةِ: الْخِصَاصَةُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ^(٥).

فَتْرَص/فَرَص: (فَتَرَصَ) الشَّيْءُ يُفْتَرِصُهُ فَتْرِصَةً: قَطَعَهُ، وَالْأَصْلُ الثَّلَاثِي فَرِص، وَمِنْهُ: فَرَصْتُ الشَّيْءَ؛ إِذَا قَطَعْتَهُ^(٦).

صَمَعْتُ/صَمِعَ: (الصَّمَعُوتُ): الْحَدِيدُ الرَّأْسُ، وَاشْتَقَّاقُهُ مِنَ الْأَصْمَعِ، الْمَحْدَدُ الظَّرْفُ^(٧)، وَظَبْيٌ مُصَمَّعٌ: مُؤَلَّلُ الْقَرْنَيْنِ.

(الثاء): ومن متحجرات الثاء:

ثَرَعْل/رَعَلَ: (الثَّرْعَلَةُ): الرَّيْشُ الْمُجْتَمِعُ عَلَى عُنُقِ الدِّيكِ الَّذِي يُسَمَّى الْبُرَائِلَ^(٨)، وَالثَّاءُ زَائِدَةٌ، وَاشْتَقَّاقُهُ مِنَ الثَّلَاثِي: رَعَلَ^(٩)، وَمِنْهُ: عُشِبَ أَرَعَلَ إِذَا انْتَنَى وَظَالَ، وَالرُّعْلُ: الْأَطْرَافُ الْغَضَّةُ مِنَ الْكَرَمِ، الْوَاحِدَةُ رُعْلَةٌ.

(١) ابن دريد، الجمهرة، ٢/ ١١٧٢، والأزهري، التهذيب (ب ز م خ)، ٧/ ٦٧٤.

(٢) ابن القوطية، الأفعال، ص ٢٨٦.

(٣) ابن دريد، الجمهرة (ت ب ر ك)، ٢/ ١١١١.

(٤) ابن دريد، الجمهرة (ت ف ر ج)، ٢/ ١١٢٨، والصغاني، التكملة والذيل والصلة (ف ر ج)، ١/ ٤٧٧.

(٥) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٣٧.

(٦) ابن فارس، المقاييس، ٤/ ٤٨٨، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٥٠.

(٧) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٣٣.

(٨) ابن دريد، الجمهرة (ث ر ع ل)، ٢/ ١١٣١.

(٩) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٣٨.

ثرمد / رمد: (ثرمد) اللَّحْم: أساء عَمَلَهُ، ولم يُنضِجه، أو لَطَخَهُ بِالرَّمَاد. وقال الأزهري: ثَرَمَدَ اللَّحْمُ؛ إِذَا أَسَاءَ عَمَلَهُ. وَأَتَانَا بِشَوَاءٍ قَدْ ثَرَمَدَ بِالرَّمَاد^(١)، واشتقاقه من الثلاثي: رمد^(٢)، ومنه: ورَمَدَ الشَّوَاءُ: أَصَابَهُ بِالرَّمَادِ، وقد يكون من قولهم: ثَرَدَ الثَّرِيدَ وَهَشَمَهُ فسمي به، فتكون الميم هي الزائدة.

لغثن / لغن: (اللغاثين) روى ثعلب عن ابن الأعرابي: اللغاثين: الخياشيم واحدها لُغْثُونٌ^(٣)، وهذا من الثلاثي: لغن، قال ابن سيده: اللُّغْن: الوتره التي عند باطن الأذن، إذا استقاء الإنسان تمددت، وقيل: هي ناحية من اللهاة مشرفة على الحلق، والجمع: ألغان، وهو اللُّغْنُون^(٤).

(الجيم): ومن متحجرات الجيم:

خدلج / خدل: (الخدلجة) بتشديد اللام: المرأة الممتلئة الذراعين والساقين^(٥)، واشتقاقه من الثلاثي: خدل^(٦)، ومنه: امرأة خَدَلَةُ السَّاقِ، وهي الغليظة السَّاقِ المستديرتها، وجمعها: خِدَال، وساقُ خَدَلَةٍ، وقد خَدَلَتْ خَدَالَةً وَخَدِلَتْ خُدُولَةً.

حبرج / حبر: (الحُبْرُجُ والحُبَارُجُ): ذَكَرَ الحُبَارَى، قال الشيباني: الحُبْرُجُ طائر عظيم يشبه الحُبَارِي، غير أنه أعظم منها^(٧). واشتقاق هذا من الثلاثي: حبر^(٨)، ولعل الجيم في الحبارج منقلبة عن الياء في الحباري أو العكس.

(١) الأزهري، التهذيب (ث ر م د)، ١٦٨ / ١٥.

(٢) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٣٨.

(٣) الصغاني، التكملة والذيل والصلة (ل غ ث ن)، ٣٠٨ / ٦.

(٤) ابن سيده، المحكم (ل غ ن)، ٣١٠ / ٥، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٠٥.

(٥) الجوهري، الصحاح (خ د ل ج)، ٣٠٩ / ١.

(٦) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٣٤.

(٧) الشيباني، الجيم، ١ / ١٩٩.

(٨) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٣٤.



جلمظ / لمظ: (الجلماظ): الرَّجُلُ الشَّهْوَانُ، واشتقاقه من الثلاثي لمظ، ومنه: لَمَظَ لَمَظًا تَتَبَعَ بلسانه بقية الطعام في فيه^(١).

(الحاء): ومن متحجرات الحاء:

طحمر / طمر: (طَحَمَرَ) إِذَا وَثَبَ وَارْتَفَعَ، قال ابن فارس: الحاء زائدة؛ وإنما هو طَمَرَ^(٢)، وقال ابن دريد: الطَّمَر: الوَثْب، طَمَرَ الفرسُ يَطْمِرُ وَيَطْمُرُ طَمْرًا وَطُمُورًا؛ إِذَا وَثَبَ. وفرس طِمِر: فَعِلَّ من ذلك^(٣).

حثفل / ثفل: (الحُثْفُل): تَفْلُ الدُّهْن وغيره، وهو ما بقي في أسفل القَدْر أو القارورة، قال كراع: لَا أُرَى الحاءَ فِيهِ إِلَّا زَائِدَةً^(٤)، وهو عنده من الثلاثي ثفل، والثُّفْل: الشَّيْءُ يَسْتَقِرُّ تَحْتَ الشَّيْءِ، يكون ذلك من الكَدَر وغيره. يُقَالُ هُوَ ثُفْلُ القَدْرِ وغيرها^(٥).

زحلق / زلق: (الرُّحْلُوقَة): مكان منحدر مُمْلَس يتزحلق الصبيان عليه من فوق إلى أسفل، وقال يعقوب: هي آثار تَزْلُج الصَّيِّان من فوق طين أو رمل إلى أسفل، قال ابن بري: مقام الصُّبَا بمنزلة الرُّحْلُوقَة. وَتَزَحَلَّقُوا على المكان: تَزَلَّقُوا عليه بأَسْتَاهِم^(٦)، فالحاء زائدة وهو من الثلاثي زلق.

(١) ابن القطاع، الأفعال، ٣ / ١٣٦، والزمخشري، أساس البلاغة (ل م ظ)، ص ٤١٤، وينظر:

سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٣٨.

(٢) ابن فارس، المقاييس، ٣ / ٤٥٧.

(٣) ابن دريد، الجمهرة، ٢ / ٧٥٩.

(٤) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢ / ٧٠٣.

(٥) ابن فارس، المقاييس، ١ / ٣٨٠.

(٦) ينظر: ابن منظور، اللسان (ز ح ل ق)، ١٠ / ١٣٨.

(الخاء): ومن متحجرات الخاء:

زمر/زمر: (زَمَخَرَ) الصوتُ وأزَمَخَرَ: اشتدَّ، والزَمَخَرُ: الزمزار الكبير الأسود، والزَمَخَرَةُ والازمخراز: الصوت الشديد^(١)، والأظهر أن اشتقاقه من الثلاثي: زمر، ومنه: زَمَر إذا غنى، والقَصَبَةُ التي يُزَمَّرُ بها زَمَّارة، وقد زيدت الخاء؛ لفك التضعيف من زَمَر، بقلب ثاني المثلين.

برزخ/برز: (الْبَرْزَخُ) الحائل بين الشَّيئين، كأنَّ بينهما بَرَازًا؛ أي: متَّسَعًا من الأرض، ثُمَّ صار كلُّ حائل بَرْزَخًا، والخاء زائدة عند ابن فارس^(٢)، واشتقاقه من الثلاثي: برز.

(الدال): ومن متحجرات الدال:

سلخد/سلغ: لَحْمٌ (سِلْغَدٌ) إذا كان أحمر لم ينضج، وعن اللحياني: أحمر سِلْغَدٌ وأحمر أسْلَغُ^(٣)، وقال صاحب بن عباد: الأسْلَغُ: أسوأُ الحُمرة. والنَّبِيُّء من اللَّحْمِ^(٤)، فالدال زائدة، واشتقاقه من الثلاثي: سلغ.

دخرص/خرص: (دَخَرَصَ) الأَمْرَ: بَيَّنَّهُ، عن ابن فارس قال: والوجه أن تكون الدال زائدة، وهو من خَرَصَ الشَّيءَ، إذا قَدَّرَهُ بفطنته وذكائه^(٥).

دعسق/عسق: لَيْلَةٌ (دَعَسَقَةٌ): شديدة الظلمة، وهو من الثلاثي: عسق، فقد روى ابن سيده عن ثعلب: والعَسَقُ: الظلمة كالْعَسَقِ^(٦).

(١) الخليل، العين (زم خ ر)، ٤ / ٣٣٨.

(٢) ابن فارس، المقاييس، ١ / ٣٣٣.

(٣) الأزهري، التهذيب (س ل غ د)، ٨ / ٢٣٢.

(٤) صاحب بن عباد، المحيط (س ل غ)، ٥ / ١٥.

(٥) ابن فارس، المقاييس، ٢ / ٢٣٩، والزيدي، التاج (د خ ر ص)، ١٧ / ٥٧٦.

(٦) ابن سيده، المحكم (ع س ق)، ١ / ٨٥، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٣٩.

(الذال): ومن متحجرات الذال:

شردم / شرم: (الشَّرْدِمَةُ) وهي القليل من النَّاسِ، قال ابن فارس: الذال زائدة، وإنَّما هي من شَرَمْتُ الشَّيْءَ، إذا مَرَّقْتَهُ؛ فكأنَّها طائفة انْمَرَّقَتْ وانْمَارَتْ عن الجماعة الكثيرة^(١).

ذلغف / لغف: (الاذْلُغْفُفُ) مَشْيُ الرَّجُلِ مُتَسَتِّرًا لِيَسْرِقَ شَيْئًا، وفعله اذْلَغَفَ، ولعل الأصل الثلاثي: لغف، تقول: لَغِفَ ما في الإِنَاءِ لَغْفًا: لَعَقَهُ^(٢).

طرمد / طرم: رجل فيه (طَرْمَدَةٌ)؛ أي: أَنَّهُ لَا يُحَقِّقُ فِي الْأُمُورِ، وقد طَرَمَدَ عليه، والذال زائدة، وهو من طرم: تَطَرَّمَ فِي كَلَامِهِ: التَّاثَّ^(٣)، وفي كلام العامة: الأُطرم: الذي يلتاث عليه الكلام فلا يُفصح^(٤).

(الراء): ومن متحجرات الراء:

برتك / بتك: (بَرْتَكٌ) الشَّيْءُ بَرْتَكَةٌ؛ إِذَا قَطَعَهُ مِثْلُ الدَّرَّةِ^(٥)، وهو من الثلاثي بترك، والْبَرْتُكُ: الْقَطْعُ^(٦). وقد بَرَكَهُ يَبْرُكُهُ وَيَبْرُكُهُ؛ أي قَطَعَهُ. وسيف باتك؛ أي صارم^(٧)، والأظهر أن هذا الرباعي نشأ بفك التضعيف من الثلاثي: بَتَّك، مضعف العين، ففكَّوه بقلب أول المثليين راء، وبالفك نشأت كثير من الرباعيات، والحرف الذي يُفك به زائد متحجّر.

(١) ابن فارس، المقاييس، ٣ / ٢٤٣.

(٢) ابن القطاع، الأفعال، ٣ / ١٤٠.

(٣) الفيروزي، القاموس (ط رم)، ص ١١٣٢.

(٤) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٣٦، وينظر: أحمد رضا، قاموس ردّ العامي إلى

الفصح (ط رم)، ص ٣٥٠.

(٥) الأزهري، التهذيب (ب ر ت ك)، ١٠ / ٤٣٥.

(٦) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٥٢.

(٧) ابن دريد، الجمهرة (ب ت ك)، ١ / ٢٥٥.

جرثم / جثم: (تَجَرَّثَمَ) الشَّيْءُ؛ أي اجتمع، الجرثوم: أصل شجرة يجتمع إليها التراب، وهو من الثلاثي: جثم، يقال: جَثَمَ فلان بالأرض يَجْثِمُ جُثُومًا؛ إذا لصق بها وَلَزِمَهَا، فهو جاثم، قال ابن فارس: الجيم والثاء والميم أصل صحيح يدلُّ على تَجْمُعِ الشَّيْءِ، فَالْجُثْمَانُ: شَخْصَ الْإِنْسَانِ. وَجَثَمَ، إِذَا لَطَى بِالْأَرْضِ، وَجَثَمَ الطَّائِرُ يَجْثِمُ^(١).

درفق / دفق: (دَرَفَقَ) الرَّجُلُ فِي مَشْيِهِ؛ إِذَا أَسْرَعَ، وَالْمُدْرَفَقُ: الْمُسْرِعُ فِي السَّيْرِ، وَهُوَ مَنْ دَفَقَ الْمَاءَ يَدْفُقُ دَفْقًا وَدَفُوقًا إِذَا انْصَبَّ بِمَرَّةٍ^(٢)، جَمَلَ دَفْقٌ: سَرِيعٌ^(٣)، والرء زائدة.

(الزاي): ومن متحجرات الزاي:

زخب / زخب: (الزُّخْبُ) القويُّ الشَّدِيدُ، وقيل: الغليظ، وقيل: هو من أولاد الإبل الذي قد غُلُظَ جسمه واشتدَّ لحمه، وهو من الثلاثي: زخب، والزَّخْبَاءُ: النَّاقَةُ الصُّلْبَةُ عَلَى السَّيْرِ^(٤).

جلفز / جلف: (جَلَفَزَ وَجُلَافَزَ)، وهو الصلب الشَّدِيدُ^(٥)، واشتقاقه من الثلاثي: جلف، ومنه: رجل جَلَفَ جَافٍ فِي خِلْقَتِهِ وَأَخْلَاقِهِ^(٦).

جرمز / جرم: (تَجَرَّمَزَ اللَّيْلُ) ذَهَبَ، قال ابن فارس: الرَّاء زائدة، وهو من تَجَرَّمَ^(٧)، والاشتقاق دليله.

(١) ابن فارس، المقاييس، ١/ ٥٠٥.

(٢) القاسم السرقسطي، الدلائل في غريب الحديث، ١/ ٣٦٣.

(٣) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ١/ ٥٦٩.

(٤) الصغاني، التكملة والذيل والصلة (زخ ب)، ١/ ١٤٨.

(٥) ابن دريد، الجمهرة، ٢/ ١١٣٨.

(٦) أبو علي القالي، البارع، ص ٦٤٣، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٤٦.

(٧) ابن فارس، المقاييس، ١/ ٥٠٩.

(السين): ومن متحجرات السين:

سقلب / قلب: (سَقْلَبَه): صَرَعَهُ، والسقلبة: الصرع^(١)، والسين زائدة، وهو من قلب الشيء؛ إذا حوَّله ظهرًا لبطن^(٢).

سملع / ملع: (السَّمَلْع) الذئب الخفيف، وهو من الثلاثي: ملع، والمملع: السرعة، وقال الأزهري: الهمْلَع والسَّمَلْع: السَّريع الخفيف^(٣).

دنقس / دنق: (الدَّنْقَسَة): الدَّنْقَسَة: تطأطؤ الرأس ذُّلاً وخضوعاً، وخفض البصر. قال الراجز:

إذا رأي من بعيد دَنَّقَسَا

والسين زائدة، وهو من الثلاثي دنق، قالوا: دَنَّقَتِ الشَّمْسُ تدنيقاً؛ إذا دَنَّتْ للغروب^(٤).

(الشين): ومن متحجرات الشين:

شهذر / هذر: (رجل شَهْدَارَة): كثير الكلام^(٥)، وأصله الثلاثي: هذر، ومنه: الهَذْر: كثرة الكلام، والهَذْر: الكثير الكلام، وكذلك الهَذْرَة والهَذْرِيَانُ^(٦).

طرفش / طرف: (الطَّرْفَشَة): خفض البصر، يقال: طرفش؛ إذا نظر وكسر عينيه^(٧)، وفي المقاييس: والشَّين زائدة، وأصله من طُرِفْتُ: أصابها طَرْفُ شيءٍ فاغْرُورِقْتُ^(٨).

(١) ابن دريد، الجمهرة (س ق ل ب)، ٢ / ١١٢٥.

(٢) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٤٠.

(٣) الأزهري، التهذيب (س م ل ع)، ٣ / ٢٧٣.

(٤) الخليل، العين (د ن ق س)، ٥ / ٢٥١، والأزهري، التهذيب (د ن ق س)، ٩ / ٣٥، وينظر: سالم

الخمаш، أصول الجذور الرباعية، ص ١٤٧.

(٥) الزبيدي، التاج (شهذر)، ١٢ / ٢٦٨.

(٦) ابن دريد، الجمهرة (هذر)، ٢ / ١١٣١، وكراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ١ / ٢٥٣.

(٧) الخليل، العين، ٦ / ٣٠٠.

(٨) ابن فارس، المقاييس، ٣ / ٤٥٧، وينظر: الزبيدي، التاج، ١٧ / ٢٤٤.

شخلب / خلب: الفعل (شخلب)، ومنه قد تُسمَّى الجارية مَشْخَلَبَةً بما يُرى عليها من الحَرَزِّ كالحلي^(١)، والشين زائدة، وهو من الثلاثي: خلب، ومنه: ثوب مُخَلَّب: كثير الوشي أي الألوان^(٢)، والمُخَلَّب من كل شيء: الكثير الوشي^(٣).

(الصاد): من متحجرات الصاد:

لم أجد أمثلة متحجرة في حرف الصاد، وأحسب أنه لا تمتنع زيادتها زيادة متحجرة، واللغة أوسع من أن يحاط بها، كما قال علماؤنا.

(الضاد): ومن متحجرات الضاد:

عفضج / عفج: (العِفْضُجُ والعِفْضَاج والعِفْاضِج) كله: الضَّخْمُ السمين الرَّخْوُ المُنْفَتِقُ اللَّحْم^(٤)، والضاد زائدة، وهو من الثلاثي: عفج، ومنه: العَفْج: المعى، والجمع أعفاج، والأَعْفَجُ: العَظِيمُها، وقيل: ما سفل منها، وقيل: هو مكان الكرش لما لا كرش له.

(الطاء): ومن متحجرات الطاء:

فرشط / فرش: (فرشط) الرجل فرسطة؛ إذا ألصقَ أَلْيَتَيْه بالأرض وتوسّد ساقيه، والأظهر أن الطاء زائدة، وأنه من: فرش، ومنه: فرش الشيء يفرشه فرشاً وفرشه فانفرش وتفرش وافرشه بسطه وافرش لسانه تكلم كيف شاء وافرش الأسد والذئب ذراعيه رِيضَ عليهما^(٥)، وذكر كراع أن الطاء في فرشط زائدة^(٦).

(١) الصغاني، التكملة والذيل والصلة، ١٦٦ / ١.

(٢) كراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٤٧٢ / ١.

(٣) أبو عبيد، الغريب المصنف، تحقيق داوودي، ١٩٨ / ١.

(٤) الزبيدي، التاج (ع ف ض ج)، ١٠٧ / ٦.

(٥) ابن سيده، المحكم (ف رش)، ٣٦ / ٨.

(٦) كراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٧٠٣ / ٢.

جخرط / جخر: (الجِخْرُطُ): العجوز الهرمة^(١)، ويظهر أن الطاء زائدة، وهو من الثلاثي: جخر، ومنه: الجَحْرُ؛ وهو قُبْحُ رائحة الرَّحِمِ، وامرأة جَحْرَاءُ: واسعة البطن، وقال اللحياني: الجَحْرَاءُ من النساء المُنْتِنَةُ التَّفَلُّ^(٢).

ضمرط / ضمّر: (الضُّمْرُوطُ) يقال: وقع في الضُّمْرُوطِ؛ أي الضُّمْرِ، قال كراع: وإنما زيدت الطاء؛ لأنها أخت التاء^(٣).

(الطاء): ومن متحجرات الطاء:

جعمظ / جعم: (الجُعْمُظُ ويروى: الجَعْمَظُ)؛ وهو الشَّحِيحُ الشَّرِهُ النَّهْمِ الضنين^(٤)، وهو من الثلاثي: جعم، ومنه: جَعِمَ الرجل جَعَمًا؛ إذا قَرِمَ إلى اللحم، فهو جَعِمٌ، وتَجَعَّمَ: طَمِعَ^(٥).

(العين): ومن متحجرات العين:

عثلَب / ثلَب: (عَثَلَبَ) جَدَّارَ الحَوْضِ وغيره: كسره وهدمه، ورُمِحَ مُعْثَلَبٌ مكسور، وقيل المعْثَلَبُ: المكسور من كل شيء، والعين زائدة، وهو من الثلاثي: ثلَب، ومنه: الثَّلَبُ: الكسر، والثَّلَبُ: المُمْتَلَمُ المَتَكَسَّرُ، قال الجوهري: نُؤْيُ مُعْثَلَبٌ؛ أي مهذوم، وأمر مُعْثَلَبٌ؛ إذا لم يُحْكَمْ، وعَثَلَبَ الرجل زَنَدَهُ؛ إذا أخذه من شجر لا يدري أيوري أم لا^(٦).

(١) الأزهري، التهذيب (ج خ رط)، ٦٤٠ / ٧.

(٢) ابن منظور، اللسان (ج خ ر)، ١١٩ / ٤.

(٣) كراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٧٠٣ / ٢، ٧٠٤.

(٤) بضم الجيم والميم في: الصاحب بن عباد، المحيط ٢ / ٢٣٠، وابن منظور، اللسان (ج ع م ظ) ٤٣٨ / ٧، والفيروزي، القاموس (ج ع م ظ) ٦٩٤، وفتحهما في الخليل، العين ٢ / ٣١٨، وأبي بكر الزبيدي، مختصر العين ١ / ٢١٩، وابن سيده، المحكم ٢ / ٤٢٩.

(٥) ابن فارس، المقاييس (ج ع م)، ٤٦١ / ١، والزبيدي، التاج (ج ع م)، ٤٠٩ / ٣١.

(٦) الجوهري، الصحاح (ع ث ل ب)، ١٧٧ / ١.

عريد /ريد: (العَرِيدُ): الذكر من الأفاعي، ويقال: بل هي حَيَّة حمراء خبيثة،
وقيل: حَيَّة غَلِيظَةٌ تَنْفُسُ وَتَنْفُخُ وَلَا تُضَرُّ، والعريد من الأصل الثلاثي: ريد، يدل
عليه قولهم: الأَرِيدُ: ضَرَبُ مَنْ الْحَيَّاتِ خَبِيثٌ^(١).

جلعد /جلد: (الْجَلْعُدُ): الناقة القويَّة الشديدة، ويقال للمرأة أيضاً إذا أَسْنَتْ
وبها قوَّة: جَلْعُدٌ^(٢)، وهو من الثلاثي: جلد، ومنه: ناقة جَلْدَةٌ ونوق جَلَدَات، وهي
القويَّة على السَّير^(٣).

(الغين): ومن متحجرات الغين:

دغفق /دفق: (الدَّغْفَقَةُ) من دغفقَ الماءَ دغفقَةً؛ إذا صَبَّه صَبًّا كَثِيرًا^(٤)،
والدَّغْفَقُ: الماء المصبوب، والغين زائدة^(٥)، وهو من الثلاثي: دفق، تقول: دَفَقَ
الماءُ دُفُوقًا ودَفَقًا إذا انصبَّ صَبًّا كَثِيرًا.

غغب /غيب: (غَبَبُ) البقرة وَغَبَبُهَا، قال كراع في أمثلة زيادة الغين: غَبَبُ
البقرة وَغَبَبُهَا، فزيدت الغين، وليست من الزوائد ولا من أخواتها^(٦).

(الفاء): ومن متحجرات الفاء:

شرفع /شرغ: (الشَّرْفُوعُ): الضُّفْدَع الصَّغِير، يمانية^(٧)، الفاء زائدة، وهو من
الثلاثي: شرغ، ومنه: الشَّرْعُ، والشَّرْعُ: الضُّفْدَع الصَّغِير، والجمع: شُرُوعٌ^(٨) وشُرْغَانٍ.

(١) الخليل، العين (رب د)، ٨ / ٣٠، وينظر: إسماعيل عمايرة وصلاح سعيد، رد الرباعي المبدوء
بالعين إلى أصله الثلاثي: بحث صغير منشور ضمن كتاب: نوافذ على المنهجية، ص ٣٢٣.

(٢) ابن السكيت، الألفاظ، ص ٤٤٨.

(٣) أبو علي القالي، البار، ص ٦٢٩، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١١٠.

(٤) ابن دريد، الجهمرة، ٢ / ١١٤٨.

(٥) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٧١.

(٦) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢ / ٧٠١.

(٧) ابن سيده، المحكم (ش رف غ)، ٧ / ٥٠.

(٨) ابن سيده، المحكم (ش رف غ)، ٥ / ٢٣٤.

شفتَر/شتر: (الشَّفْتَرَة): الشَّفْتَرَة: التَّفَرُّق، كَتَفَرَّقَ الجراد والفراش ونحوه، وقد اشْفَتَرَ الشيء اشْفَتَرًا^(١)، واشْفَتَرَ العُودُ: تَكَسَّرَ، وهو من الثلاثي شتر، ومنه: شَتَرَتْ ثوبه: مَزَقَتْه^(٢)، وفي الصحاح: شَتَرَتْ ثوبه: مَزَقَتْه^(٣)، وقد تكون الفاء مبدلة من النون أو العكس، وفي الحاليين هي زائدة زيادة متحجّرة.

صلفع / صلغ: (صَلَفَع) رَأْسُهُ؛ إِذَا حَلَقَهُ. قال ابن فارس: الفاء فيه زائدة، وهو من الصَّلَع^(٤).

(القاف): ومن متحجّرات القاف:

بذقر/بذر: (ابْدَقَرَ) القومُ وابْدَعَرُوا: تَفَرَّقُوا، وهو من الثلاثي: بذر الشيء بذرًا: فَرَّقَهُ^(٥)، وَتَبَذَّرَ مِنْ يَدِي؛ أَي: تَفَرَّقَ.

زرفق/زرف: (الزَّرْفَقَة): السرعة، وأَزْرَفَقَ في سيره؛ إِذَا أَسْرَعَ^(٦)، وهو من الثلاثي زرف، تقول: أَرَزَفَ في المشي؛ أَي أَسْرَعَ، وناقَة زَرُوفٌ وَمِزْرَافٌ؛ أَي سريعة، وقد زَرَفْتُ، وَأَزْرَفْتُهَا أَنَا؛ أَي حَثَّيْتُهَا^(٧).

زهمق/زهم: (الزَّهْمَقَة) الزُّهُومَةُ السَّيِّئَةُ تَجْدُّهَا مِنَ اللَّحْمِ الْغَثِّ^(٨)، كالزخمة، قال القالي: «قال النَّضْرَبْنُ شُمَيْل: الزَّهْمَقَةُ حَبْتُ الرِّيحِ. يقال: إِنَّهُ لَزَهَمَقُ الرِّيحِ؛ أَي خَبِيثُهَا مَنْتَنُهَا، والقاف زائدة، كما زيدت في العَنَسَلِ؛ فَعَسَلٌ: عَنَسَلِقُ،

(١) الخليل، العين (ش ف ت ر)، ٦ / ٣٠١.

(٢) ابن منظور، اللسان (ش ت ر)، ٤ / ٣٩٤.

(٣) الجوهري، الصحاح (ش ت ر)، ٢ / ٦٩٣.

(٤) ابن فارس، المقاييس، ٢ / ٣٥٠.

(٥) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١١٢.

(٦) ابن دريد، الجمهرة، ٢ / ١١٥٠.

(٧) الجوهري، الصحاح (زرف)، ٤ / ١٣٦٩.

(٨) الخليل، العين، ٤ / ١١٠.

وهذا شاذ؛ لأن القاف ليست من الحروف الزوائد»^(١)، وأشار إلى زيادة القاف فيها كراع^(٢).

(الكاف): ومن متحجرات الكاف:

كلحب / لحب: (كَلَحَبَهُ) بالسَّيف: ضَرَبَهُ^(٣)، والكاف زائدة، وهو من الثلاثي لحب، بزيادة الكاف في أوله، يدل عليه الاشتقاق، قال ابن سيده: لَحَبَهُ وَلَحَبَهُ: ضربه بالسَّيف^(٤).

صعلك / صعل: (الصُّعْلُوكُ) واحد الصعاليك: وهم قوم لا مال لهم ولا اعتماد. يُقال: تَصَعَّلَكَ الرجلُ؛ إذا كان كذلك، ورجل مُصَعَّلُكَ الرَّأس: مدوِّره، واشتقاقه من الثلاثي: صعل، وفيه: الصَّعْلُ: الصَّغِيرُ الرَّأْس من كلِّ شيء، ورجل صَعْلٌ إذا صَغُرَ رأسه، وقد يُقال رجل أصعل وامرأة صعلاء^(٥).

ضبرك / ضبر: (الضُّبْرَاكُ وَالضُّبْرَاكُ) الرَّجُلُ الطَّوِيلُ مع صَخامة. والضُّبْرُكَ من النَّساء العظيمة الفَخْدَيْن، ويقال للأسد: ضُبَّارم وضبارك، والكاف زائدة، وهو من الثلاثي ضبر، ومما جاء فيه: الضُّبْرُ والتَّضْبِيرُ شِدَّةُ تَلْزِيهِ الْعِظَامِ واكْتِنَازِ اللَّحْمِ. وَجَمَلٌ مُضْبُورٌ وَمُضَبَّرٌ وَرَجُلٌ ضَبْرٌ شَدِيدٌ وَرَجُلٌ ذُو ضَبَارَةٍ مجتمَعُ الخَلْقِ^(٦).

(اللام): ومن متحجرات اللام:

لغذم / غذم: (المُتَلَعْذِمُ): الشَّدِيدُ الْأَكْل، وفعله تَلَعَّذَمَ، والظاهر أن اللام زائدة، وأنه من الثلاثي: غذم، ومنه: الغَذْمُ؛ وهو الأكل بجفاء وشدة نهم، يقال

(١) أبو علي القالي، البارع، ص ١٩١.

(٢) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٧٠١ / ٢.

(٣) ابن سيده، المحكم (ك ل ح ب)، ٣٦ / ٤.

(٤) ابن سيده، المحكم (ل ح ب)، ٢٧٤ / ٣.

(٥) الخليل، العين (ص ع ل)، ٢١ / ٢، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٥٣.

(٦) ابن سيده، المحكم (ض ب ر)، ١٣٠ / ٨، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٥٣.

منه: غدمت أغذم غذماً^(١)، وهو يَتَغَذَّمُ كُلَّ شَيْءٍ؛ إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْأَكْلِ، وَاغْتَذَمَ الْفَصِيلُ مَا فِي ضَرْعِ أُمِّهِ^(٢).

صملك / صمك: (الصَّمَلُكُ): الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْقُوَّةَ وَالْبُضْعَةَ، وَالْجَمِيعُ: الصَّمَالُكُ^(٣)، وَهُوَ مِنَ الثَّلَاثِي: صمك، ومنه: الصَّمَكُوكُ والصَّمَكِيكُ مِنَ الرِّجَالِ: الْغَلِيظُ الْجَانِي^(٤).

ربحل / ربح: وَرَجُلٌ (رَبْحَل) تَارَفِي طَوِيلٌ، وَقِيلَ: التَّامُّ، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «وَهُوَ مِنَ الرَّحْجِ: الزِّيَادَةُ، وَاللَّامُ مَزِيدَةٌ»^(٥).

(الميم): ومن متحجرات الميم:

جمخر / جنخ: (الْجُمُخُورُ): الْأَجُوفُ؛ أَيِ الْوَاسِعِ الْجَوْفِ، وَكُلُّ قَصَبٍ أَجُوفٍ مِنْ قَصَبِ الْعِظَامِ: جَمَخَرُ، كَجَعْفَرٍ^(٦)، وَاشْتَقَاقُهُ مِنَ الثَّلَاثِي: جَنَخَ، وَمِنْهُ: الْجَاخِرُ: الْوَادِي الْوَاسِعُ، وَهِيَ رَوَايَةُ الْأَزْهَرِيِّ عَنْ عَمْرٍو عَنْ أَبِيهِ عَمْرٍو الشَّيْبَانِي^(٧).

حملج / حلج: (حَمَلَجْتُ) الْحَبْلَ؛ إِذَا قَتَلْتَهُ^(٨)، وَاشْتَقَاقُهُ مِنَ الثَّلَاثِي: حَلَجَ الْقُطْنُ يَحْلُجُهُ وَيَحْلُجُهُ، وَهُوَ حَلَّاجٌ، وَالْقُطْنُ: حَلِيْجٌ وَمَحْلُوجٌ؛ أَيِ: مَفْتُولٌ^(٩).

جللط / جلط: (جَلَمَطَ) رَأْسَهُ؛ إِذَا حَلَقَهُ، وَكَذَلِكَ جَلَطَهُ^(١٠)، فَالْمِيمُ زَائِدَةٌ، وَالْإِشْتِقَاقُ مِنَ الثَّلَاثِي ظَاهِرٌ، وَأَحْسَبُ أَنَّهُ مِنْ فَكِّ التَّضْعِيفِ؛ أَيِ: أَنَّهُ جَاءَ مُضَعَّفَ الْعَيْنِ فِي جَلَطَ، فَقَلَبَ أَوَّلَ الْمُثْلَيْنِ جِيمًا؛ فَكَانَتْ زِيَادَةُ مُتَحَجَّرَةٍ.

(١) ابن سلام، غريب الحديث، ٥ / ٤١، وينظر: أبو علي القالي، البارع، ص ٣٧٥.

(٢) الجوهري، الصحاح (غ ذ م)، ٥ / ١٩٩٥.

(٣) الخليل، العين (ص م ل ك)، ٥ / ٤٢٤.

(٤) الجوهري، الصحاح (ص م ك)، ٤ / ١٥٩٦، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١١٥.

(٥) الزمخشري، أساس البلاغة (رب ح)، ص ١٥٠.

(٦) الزبيدي، التاج (ج م خ ر)، ١٠ / ٤٧١.

(٧) الأزهري، التهذيب (ج خ ر)، ٧ / ٤٦.

(٨) الخليل، العين (ح م ل ج)، ٣ / ٣٢٧.

(٩) الجوهري، الصحاح (ح ل ج)، ١ / ٣٠٧.

(١٠) ابن دريد، الجمهرة، ٢ / ١١٣٩.

هرمس / هرس: الهرماس الشديد من السباع، وهو الذي يهرس كل شيء؛ أي: يدقّه، قال أبو علي القالي: والميم فيه زائدة^(١).

(النون): ومن متحجرات النون:

رعشن / رعش: (رعشن) نونه زائدة وهو من الارتعاش والعثم.

زمخن / زمخ: (الزَمْخُنْ): المتكبر السّيء الخُلُق، والنون زائدة، وهو من قولهم: زَمْخَ الرجل بأنفه وشَمْخَ بأنفه؛ إذا تكَبَّرَ وتَعَزَّظَ^(٢)، والزامخ: الشامخ بأنفه كبراً.

شرنق / شرق: ثياب (شرانق) مُتَحَرِّقَة، وهو من الثلاثي: شرق، ومنه: شَرَقْتُ الشَّاةَ: إذا شَقَقْتُ أذنها، وله نظائر في اللغات السامية، ونقل الدكتور سالم الخمّاش عن المستشرق الأسكتلندي وليام سميث (Smith) قوله: «هذا الجذر موجود في بعض اللغات السامية بمعنى أعم، هو التمزيق»^(٣).

(الهاء): ومن متحجرات الهاء:

هدلق / دلق: جَمَلٌ (هَدْلِقُ): واسع الشّدق، وجمعه هَدَالِق، والهاء زائدة، وهو من: دلق، ومنه: دَلَقَ البعيرُ شِقْشِقَتَهُ يَدْلُقُهَا دَلْقًا؛ إذا أَخْرَجَهَا فاندَلَقَتْ^(٤)، ويحتمل أن تكون القاف هي الزائدة، فيكون من هدل، قال كراع: مَشْفَرٌ أَهْدَلُ وَهَيْلٌ وَهْدَلِقٌ، والجميع الهَدَالِقُ، وهو المسترخي^(٥).

جرهد / جرد: (جرهد) أسرع، والمُجْرَهُدُ: المسرع في الدَّهَاب، والهاء زائدة، وهو من الثلاثي جرد، ومنه: تَجَرَّدَ الفرس في سَيْرِهِ، وانجَرَدَ به السيرُ: امتدَّ وطال، وإذا جَدَّ الرَّجُلُ في سَيْرِهِ فمضى يُقال: انجَرَدَ فَذَهَبَ^(٦).

(١) أبو علي القالي، البارع، ص ٢١٦.

(٢) الأزهري، التهذيب (زم خ)، ٧ / ٢٢١، وابن منظور، اللسان (زم خ ن)، ١٣ / ٢٠٠.

(٣) سالم الخمّاش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٢٣.

(٤) ابن منظور، اللسان (دل ق)، ١٠ / ١٠٣.

(٥) كراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٢ / ٧٠١.

(٦) الزبيدي، التاج (ج رد)، ٧ / ٤٩٠، و(ج رهد)، ٧ / ٤٩٩.

علّض / علّض: (عَلَّضْتُ) العَيْنَ: إِذَا اسْتَخْرَجْتُهَا مِنَ الرَّأْسِ، وَعَلَّضْتُ رَأْسَ الْقَارُورَةِ: إِذَا عَالَجْتُ صِمَامَهَا لِنَسْتَخْرِجَهُ^(١)، والهَاءُ زَائِدَةٌ، وَهُوَ مِنَ الثَّلَاثِي: علّض، مِنْ قَوْلِهِمْ: عَلَّضْتُ الشَّيْءَ أَعْلِضَهُ عَلَّضًا؛ إِذَا حَرَكْتَهُ لِنَتْنَرَعِهِ نَحْوَ الْوَيْدِ وَمَا أَشْبَهَهُ^(٢).

(الواو): ومن متحجرات الواو:

عطود / عطد: (الْعَطَوْدُ): الشَّدِيدُ الشَّاقُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ مِنَ الثَّلَاثِي عَطَدَ، وَالْقَاعِدَةُ الصَّرْفِيَّةُ تَقْضِي بَزِيَادَتِهِ؛ إِذْ لَا يَكُونُ حَرْفُ الْعِلَّةِ أَصْلًا حِينَ يَصْحَبُهُ ثَلَاثَةُ أَصُولٍ، وَلَكِنْ الزِّيَادَةُ مُتَحَجِّرةٌ لَا صَرْفِيَّةٌ، فَهَمْ يَزْنُونَهُ بِ (فَعُولٍ) وَلَكِنَّهُ بِمِيزَانِ الزَّوَاوِدِ الْمُتَحَجِّرةِ (فَعَّلَ)؛ إِذْ يَقْتَرِحُ هَذَا الْبَحْثُ مَعَامِلَةَ الزَّائِدِ الْمُتَحَجِّرِ فِي الْمِيزَانِ مَعَامِلَةَ الْأَصْلِيِّ مَعَ اعْتِقَادِ زِيَادَتِهِ، كَمَا تَقْدُمُ فِي مَطْلَعِ هَذَا الْبَحْثِ.

بروع / برع: (بَرْوَعُ): اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النِّسَاءِ، قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: الْوَاوُ زَائِدَةٌ وَهُوَ مِنَ الْبَرَاعَةِ^(٣)، وَالْوَاوُ لَا تَكُونُ أَصْلًا إِنْ صَحِبَهَا ثَلَاثَةُ أَصُولٍ مُقْطُوعٌ بِأَصْلَتِهَا، وَلَكِنَّ الزِّيَادَةَ هُنَا مُتَحَجِّرةٌ.

دغول / دغل: (الدَّغَاوِلُ) الدَّوَاهِي وَالْغَوَائِلُ، قَالَ الْبَكْرِيُّ فِي شَرْحِ أَمَالِي الْقَائِي: وَلَا يُدْرَى مَا وَاحِدُهَا، وَيُرْوَى أَنَّهَا: دَغَوْلَةٌ^(٤). وَالْوَاوُ فِيهَا مُقْطُوعٌ بِزِيَادَتِهَا؛ لِلْقَاعِدَةِ الصَّرْفِيَّةِ الْمَعْلُومَةِ، وَلَكِنَّهَا زِيَادَةُ مُتَحَجِّرةٌ؛ فَيَكُونُ وَزْنُ الدَّغَوْلَةِ: فَعْلَلَةٌ، وَوَزْنُ جَمْعِهَا فَعَالِلٌ لَا فَعُولَةٌ وَفَعَاوِلٌ، عَلَى الْمَنْهَجِ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي هَذَا الْبَحْثِ.

نخورش / خرش: (نَخَوْرِشُ) وَهُوَ الْجُرُودُ إِذَا تَحَرَّكَ وَخَدَشَ، وَكَانَ الْمَبْرَدُ يَرَاهُ خَمَاسِيًّا عَلَى زِنَةِ جَحْمَرِشِ^(٥) وَتَابِعَهُ ابْنُ عَصْفُورٍ^(٦). وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْوَاوَ مَعَ التَّاءِ زَائِدَتَانِ،

(١) الفارابي، ديوان الأدب، ٤٨١/٢.

(٢) ابن دريد، الجمهرة (ع ل ض)، ٩٠٣/٢، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٢٧.

(٣) ابن دريد، الجمهرة (ب ر ع)، ٣١٦/١.

(٤) البكري، اللآلي في شرح أمالي القائي (مطبوع بعنوان سمط اللآلي)، ١/٧٦٨.

(٥) المبرد، المقتضب، ٦٨/١.

(٦) ابن عصفور، الممتع، ٩٤/١.

والاشتقاق خير شاهد؛ فهو من الخرش، وهو مذهب كُراع^(١)، ولكن الزيادة فيه لغوية؛ أي متحجرة لا صرفية، فوزنه فَعْلَلٍ كما قال المبرد وابن عصفور، وهو ملحق بِجَحْمَرٍش.

(الياء): من متحجرات الياء:

ينبت / نبت: (اليَنْبُوتَة) ضرب من الشجر، وهي واحد اليَنْبُوت، واشتقاقه من النبت والنبات، والياء في أوله زائدة، ومثله: يَهْمُور: رمل كثير، ويحمور: دابة من الوَحْش، ويعبوب: فرس شديد الجري، ويَجْبُور: طائر، والجمع يحابر، وزيادة الياء فيهن متحجرة؛ فتعامل معاملة الأصول في الميزان.

يستعر/سعر: (يَسْتَعُور) مكان موحش أو حرة في المدينة، واشتقاقه من السَّعِير أو التَّسْعَر. قال صاحب بن عباد: اليَسْتَعُورُ: السَّعِيرُ^(٢). قلت: اختلفوا في وزنه؛ فهو عند ابن دريد يَفْتَعُول، وعند البصريين فَعْلُلُول بأصالة الياء؛ لأنها لا تكون زائدة وبعدها أربعة أحرف أصول، قال الخليل: يَسْتَعُور خماسي، جعل الياء من نفس الحرف؛ لأن «الحروف الزوائد لا تلحق بنات الأربعة أولاً، إلا الميم التي في الاسم الذي يكون على فعله، كمُدحرج وشبهه، فصار كفعل بنات الثلاثة المزيد»^(٣). ودرسته في «عويص التصريف»، وانتهيت فيه إلى أَنَّ الياء زائدة^(٤)، وأزيد هنا وأقول: إنَّ زيادة الياء فيه زيادة متحجرة؛ فتعامل معاملة الأصول في الميزان، ويكون وزنه فَعْلُلُول، كما قال البصريون، ولكن مع القول بزيادة الياء،

(١) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ٦٩٢.

(٢) صاحب بن عباد، المحيط (س ع ر)، ١/ ٣٥٨.

(٣) ينظر: سيبويه، الكتاب ٤/ ٣١٣، وابن السراج، الأصول ٣/ ٢٣٥، وابن جني، المنصف ١٤٥/ ١، وابن جني، الخصائص ١/ ٢٣٦، وأبو العلاء المعري، رسالة الملائكة ٢٤٦، وابن عصفور، المتع ١/ ١٦٤.

(٤) عبد الرزاق الصاعدي، عويص التصريف (نظرات في أوزان وصيغ مشكلة)، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد الثالث والعشرين، عدد: ٣، (رجب - رمضان) ١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م، ص ٢٣ - ٣٩.

ومن هنا جعل أبو عليّ الفارسي ياء الينجلب أصلية، فحملها على فعلل، مع ظهور الاشتقاق، والفارسيّ يصدر في هذا عن معيار صرفيّ بصري يقضي بأنّ الياء لا تكون زائدة وبعدها أربعة أحرف أصول، وتخرج الصرفيون بعده غاية التحرج من عدها أصلية؛ لأنّ الاشتقاق ينادي بزيادتها، ولكنهم لم يلتفتوا إلى التفريق بين الزيادة الصرفية والزيادة المتحجرة التي تبيح لهم عدها كأصلية، فلا بأس من موافقة الفارسي والقول إنّ وزن الينجلب فعلل كالجحمرش، مع اعتقاد زيادة الياء، وكذلك ياء اليربوع، زيدت وتحجرت وجاء فيها الإبدال جيماً، فاليربوع والجربوع في لهجاتنا على معين واحد، ووزنهما واحد، وهو فعلول لا يفعول وجفعول، كما تقدم في الكلام على وزن الزائد المتحجر في صدر هذا المبحث.

المبحث الثالث: مواضع الزيادات المتحجرة في الكلمة:

تقع الزوائد المتحجرة في مواضع الأصول من الكلمة الرباعية أو الخماسية؛ فتكون في موضع الفاء، وفي موضع العين، وفي موضع اللام الأولى، وفي موضع اللام الثانية، وفي موضع اللام الثالثة من الخماسي، فتعامل معاملة الأصول في الميزان الصرفي، مع اعتقاد زيادتها زيادة لغوية لا صرفية؛ للتفريق في الميزان بين الزيادتين الصرفية واللغوية التي يسميها هذا البحث: الزيادة المتحجرة.

المطلب الأول: متحجرات في موضع الفاء في الرباعي:

تأتي هذه الزيادة قبل الفاء في البناء الثلاثي، وحين أصفها بأنها في موضع الفاء إنما أنظر إلى ما آلت إليه هذه الزيادة التي غدت جزءاً من الكلمة، وأعدها في الميزان كأصول، فهي فاء الكلمة مع القول بزيادتها، والزوائد المتحجرة تألف هذا الموضع، وتقع فيه بكثرة، وليس من غرضي هنا الإحصاء والاستقصاء، وإنما أريد التمثيل والإيضاح، ومن اليسير أن نلاحظ أنّ من المتحجرات في هذا الموضع ما له سمة تخصّه، كزيادات العننة؛ وهي قلب الهمزة عيئاً، وزيادات الهننة؛ وهي قلب الهمزة هاء، وزيادات التوهم؛ وهي زيادات طريفة لطيفة تدلّ على

شجاعة العربية وإقدام العربي الفصيح، إلى جانب الزيادات الاعتبارية المتنوعة التي لا يكاد يجمعها جامع.

أولاً: متحجرات العننة:

العننة قلب الهمزة عيناً في لغة بعض القبائل، ومنها تميم وبعض الحجازيين^(١)، وهي ظاهرة صوتية قديمة، وعند تأمل بعض الرباعيات التي فأوها عين نراها ثلاثة أنواع: نوع العين فيه أصل، ونوع العين فيه زائدة زيادة متحجرة، ونوع العين فيه معننة من الهمزة فثبتت فيه العين وهي زيادة متحجرة أيضاً، والنوعان الثاني والثالث متقاربان ويصعب التفريق بينهما، ومن أمثلة متحجرات العننة:

عجرد / جرد: جَرَدْتُهُ مِنْ ثِيَابِهِ تَجْرِيدًا، وَعَجَرَدْتُهُ: عَرَيْتُهُ فَهُوَ مُعَجَرَدٌ^(٢)، وقال أبو عبيد: المُعَجَرَدُ: العريان، وكأنَّ اسمَ عَجَرْدٍ مأخوذ منه^(٣)، يعني من الأجرد، وقالوا: شَجَرُ عَجَرْدٍ وَمُعَجَرْدٌ: عار من ورقه، وقال ابن فارس: العَجَرْدُ: العُرْيَانُ، وهذا أيضاً مما زيدت فيه العين، وإنما هو من جَرَدَ وَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ^(٤)، قلت: وهو جذر معنعن من الثلاثي المزيد بالهمزة (أجرد)، والعلاقة المعنوية بين العجرد والأجرد ظاهرة: وهي التجرد من الشيء، ومكان أجرد من النبات وأرض جرداء، إذا جَرَدَها القَحْطُ تجريداً، ورجل أجرد: لا شعر على جسده، (أجرد = عجرد)، والعربية تميل إلى توظيف الصيغ الرباعية لتدلّ بها على الأسماء والصفات، ونقلت هذه العين الاسم الثلاثي المزيد زيادة صرفية إلى رباعي مجرد مزيد بالعين زيادة متحجرة.

(١) لم تزل ظاهرة العننة باقية جارية على ألسنة كبار السن في قبائل حجازية بين الحرمين إلى عهد قريب، وكنت أسمعها على لسان جدي ووالدي -رحمهما الله-، في نحو: مسعلة، هيلة؛ أي: مسألة، هيئة.

(٢) كُراع النمل، المنتخب من غريب كلام العرب، ص ٣٩٥.

(٣) أبو عبيد، الغريب المصنف، ١/ ٢٢٠.

(٤) ابن فارس، المقاييس، ٤/ ٣٦٤.

عمهج / مهج: العَمَهَجُ والعُمَاهِجُ: الخاطِطُ من اللَّبَن عند أوّل تَعْيِيرِهِ، وقال ابن الأعرابي: العَمَاهِجُ: الألبان الجامدة، وقال الزّبيدي: العُمَاهِجُ: (اللّبَن الخائر) من ألبان الإبل^(١)، والصّلة المعنوية ظاهرة بين هذا وقولهم: الأمهج والأُمهُجَانُ^(٢): الرّقيق من اللَّبَن ما لم يتغيّر طعمه، والأرّجح أنّ الهمزة قلبت عيناً فتحجّرت، ونقلت الاسم إلى بنية الرباعي (أمهج = عمهج)، والأصل الثلاثي: مهج.

عريد / ريد: العَرِيدُ والعَرِيدُ: كلاهما حيّة تَنْفُخُ ولا تُؤْذِي^(٣)، أو هي الحيّة الخبيثة، والأصل الثلاثي: ريد^(٤)، كأنهم زادوا همزة في أوّله، أريد أو إريد، ثم غُعن في بعض القبائل، فكسروا العين والباء، ومما يرجّح عنعنة الهمزة أننا نجد في المعاجم أنّ الأَرِيدُ: ضرب من الحَيّات خبيث^(٥)، فهو: (أريد = عريد)، والأصل الثلاثي: ريد.

عظلم / ظلم: العُظْلَمُ: ضرب من الشجر، وعُصارَةُ شجر لونه أخضر إلى الكُدرة، والليل المظلم، يقولون: ليل عِظْلَم، وتعظلم الليل: أظلم واسودَّ^(٦)، وعينه إما مزيدة زيادة اعتباطية كأكثر المزيادات المتحجّرة، أو معنونة من الهمزة: (أظلم = عَظْلَم)، ثم كسرت العين بعد انتقال اللفظ إلى الوزن الرباعي والتسمية به، وهو على ذلك من الثلاثي ظلم، ومنه: الظلام: ذهاب النور.

(١) الزبيدي، التاج (ع م هج)، ٦ / ١١٤.

(٢) ينظر: إسماعيل عمايرة وصلاح سعيد، رد الرباعي المبدوء بالعين إلى أصله الثلاثي: بحث صغير منشور ضمن كتاب: نوافذ على المنهجية، ص ٣٢٢.

(٣) الحميري، شمس العلوم، ٧ / ٤٤٨٨.

(٤) ينظر: إسماعيل عمايرة وصلاح سعيد، رد الرباعي المبدوء بالعين إلى أصله الثلاثي: بحث صغير منشور ضمن كتاب: نوافذ على المنهجية، ص ٣٢٣.

(٥) الخليل، العين (رب د)، ٨ / ٣٠.

(٦) ابن السكيت، الألفاظ، ص ٣٠٥، وابن دريد، الجماهر (ع ظ ل م)، ٢ / ١١٥٩، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٤٣.

عنفس / نفس : عنفش : قال الأزهري: وفي النوادر: أتانا فلان مُعْنَفِشاً بلحيته، ومقْنَفِشاً ومفْنَشياً. وفلان عِنْفَاشُ اللَّحْيَةِ وَعِنْفَاشِي اللَّحْيَةِ^(١). والأصل الثلاثي هو نفس، والنَّفْسُ: مَدُّكَ الصَّوْفِ حَتَّى يَنْتَفِشَ بَعْضُهُ عَنْ بَعْضٍ وَيَتَفَرَّقَ. وقالوا: باتَتْ إِبِلُهُمْ نَفْشاً؛ إِذَا تَرَكَوْهَا تَرعى بِاللَّيْلِ لَيْسَ مَعَهَا رَاعٌ، وَقَدْ أَنْفَشَ الْقَوْمُ وَهِيَ إِبِلٌ نَوَافِشٌ، فَاتَّقِلْ بِالْعِنْعَنَةِ مِنَ الثَّلَاثِي إِلَى الرَّبَاعِي: (أنفش = عنفش)، والأصل الثلاثي: نفس.

عثكل / ثكل: عَثْكُولٌ وَعِثْكَالٌ عِذْقُ النَّخْلَةِ. قال الخليل: الْأَثْكُولُ لُغَةٌ فِي الْعَثْكُولِ^(٢)، وقال ابن دريد: وَالْإِثْكَالُ وَالْأَثْكُولُ لُغَتَانِ مِثْلُ الْعِثْكَالِ وَالْعَثْكُولِ، وَهُوَ عِذْقُ النَّخْلَةِ^(٣)، وأقول: العنعة في هذا ظاهرة: (أثكل = عثكل)، والأصل الثلاثي: ثكل.

ثانياً: متحجرات الهنئة:

اقترحت مصطلح الهنئة منذ سنوات، فوجد قبولاً لدى الباحثين؛ لمشاكلته العنعة مع دقته في المدلول الاصطلاحي، والمراد بالهنئة قلب الهمزة هاء، ومن متحجرات الهنئة:

هبرق / برق: الْهَبْرَقِيُّ وَالْهَبْرَقِيُّ: الْحَدَّادُ، وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ مَنْ عَالَجَ صِنَاعَتَهُ بِالنَّارِ، وَهُوَ الثَّوْرُ الْوَحْشِيُّ أَيْضاً، وَهَؤُلَاءِ مُنْقَلِبَةٌ عَنْ هَمْزَةٍ، أَصْلُهُ: الْأَبْرَقِيُّ، وَقَدْ لَمَحَ ذَلِكَ الصَّغَانِيُّ فَقَالَ: الْهَبْرَقِيُّ: الثَّوْرُ الْوَحْشِيُّ؛ وَهُوَ الْأَبْرَقِيُّ؛ لِبَرِيقِ لَوْنِهِ^(٤): (أبرق = هبرق).

(١) الأزهري، التهذيب (ع ن ف ش)، ٣ / ٣٢٧.

(٢) الخليل، العين (ث ك ل)، ٥ / ٤٣١.

(٣) ابن دريد، الجمهرة (ث ك ل)، ١ / ٤٣١.

(٤) الصغاني، التكملة والذيل والصلة (ه ب ر ق)، ٥ / ١٧٠، وينظر: ابن منظور، اللسان (هبرق)،

هثمل / ثمل: قال ابن سيده: الهَثْمَلَةُ: الفساد والاختلاط^(١). قلت: والظاهر أنه مُهْنَن من الأثمل، من قولهم: ثَمِلَ ثَمَلًا؛ إذا سكر واختلط^(٢)، فهو ثَمِلٌ وأثمل: (أثمل = هثمل).

هطلس / طلس: الهَظْلَسَةُ: الذهاب في الأرض^(٣)، والدَّئِبُ؛ لَأَنَّهُ يُهْطَلِسُ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ؛ أي يَحْتَال، والهَظْلَسُ: اللَّصُّ الْقَاطِعُ، وَتَهْطَلَسُ اللَّصُّ: احْتَالَ فِي الطَّلَبِ^(٤)، وهذا كله من الأطلس، وهو من صفات الدَّئِبِ، يُقَالُ: ذئب أَطْلَسُ: (أطلس = هطلس).

ومن المتحجرات الصرفية النادرة في العربية متحجرات الهاء التي تقع في بنية الفعل الأجوف قبل فائه، وهي زيادة شاذة تؤدي إلى تشويه صرفي، وأشهر مثالين مستعملين لهذه البنية قولهم: (أَهْرَاقَ الْمَاءَ يُهْرِيقُهُ وَأَهْرَاحَ الدَّابَّةَ يُهَرِّجُهَا)، فمن أين جاءت هذه الهاء؟ وكيف دخلت في أَهْرَاقَ وَأَهْرَاحَ؟ الجواب: هي همزة مُهْنَنَة متخفية خلف الإبدال، وكان دخولها في أول أمرها جاريًا على سنن كلام العرب في تعاقب الحروف المتقاربة في المخرج والصفات؛ فأبدلوا الهاء من همزة أفعل: (أَرَاقُ = هَرَاقُ) و(أَرَاحُ = هَرَاحُ) كبَدَلَهَا فِي أَيَّهَاتَ وَهَيْهَاتَ وَالْأَجِيجَ وَالْهَجِيجَ، فَلَمَّا تَمَكَّنَتِ الْهَاءُ فِي هَرَاقَ وَهَرَاحَ تَشَبَّثَتْ بِالْكَلِمَةِ وَخَفِيَّتْ، فَتَوَهَّمُوا أَصَالَتَهَا، وَأَدْخَلُوا عَلَيْهَا هَمْزَةَ التَّعْدِيَةِ؛ فَقَالُوا: أَهْرَاقَ وَأَهْرَاحَ، وَلَخَفَانَهَا وَشَدَّوْذَ بَنِيَّتَهَا؛ اضْطَرَبَتْ لُغَاتُهُمْ فِيهَا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَفْتَحُ الْهَاءَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَكِّنُهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْذِفُهَا، وَمِنْهُمْ يَبْقِيهَا، قَالُوا: أَهْرَاقَ يُهْرِيقُ، وَأَهْرَاقَ يُهْرِيقُ، وَهَرَاقَ يُهْرِيقُ أَوْ يُهْرِيقُ، إِلَى جَانِبِ الْأَصْلِ: أَرَاقَ يُرِيقُ.

(١) ابن سيده، المحكم (هـ ث م ل)، ٤/ ٣٥٢، وينظر: الفيروزي، القاموس (هـ ث م ل)، ١٣٨٢.

(٢) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٤٦.

(٣) كُرَاعُ النَّمْلِ، الْمُتَنَخَّبُ مِنْ غَرِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ، ١/ ٣١٩.

(٤) الزبيدي، التاج (هـ ط ل س)، ١٧/ ٣٥.

ويلحق بهذا البناء الشاذ متفرقات زيدت فيها الهاء فدقّت وخفيت، ومنها هَيْمَنَ فهو مُهَيْمَنٌ، يجوز أن يكون أصله: أفعِلْ، وقياسه في الأصل: أَيْمَنَ فهو مُوَيْمَنٌ، كما قالوا: في أَيْسَرَ وأَيْقَنَ: مُوسِرٌ ومُوقِنٌ، وأصلهما: مُيسِرٌ ومُيقِنٌ، فتكون مُهَيْمَنٌ على وزن مُفْعِلٍ بعد الهاء زيادة متحجرة، ولو تعمّدت إظهارها في الميزان لقلت: مُهَفْعِلٌ، وهي بدل من همزة، كهاء هراق وأهراق، كأنهم بنوا من اليُمن فعلاً على أفعِلَ؛ فقالوا: أَيْمَنَ، ثم كرهوا أن يأتوا به على الأصل على حدّ قولهم: مُورنب ومُؤكرم، فأبدلوا من همزة أفعِلْ هاء؛ فقالوا: مُهَيْمَنٌ والأصل مُوَيْمَنٌ، ولو عدلوا به إلى مُوَيْمَنٍ كمُوسِرٍ؛ لالتبس باسم الفاعل من: آمَنَ فهو مؤمن / مومن، على لغة التسهيل.

ثالثاً: متحجرات التوهم:

يرد في مواضع من الاشتقاق توهم أصالة الحرف الرائد، أو توهم زيادة الحرف الأصلي، نحو: مُسلان جمع مَسِيل، ومَيَاسِم جمع مَيْسَم، واشتقاقهم من: المُسْكِن والمُدْرَعَة: تَمَسْكَنَ وتَمَدَّرَع. والتوهم في الاصطلاح: اشتقاق لفظ من لفظ، مع إعطائه حكم لفظ آخر يشاكله؛ بتوهم أصالة حرف زائد أو زيادة حرف أصلي. وقد يتجنبون به لبساً محتملاً لدلالة صيغة مقيسة يفرون منها، فاشتقاق الفعل المقيس من المدرعة: تَدَّرَع؛ بمعنى لبس المدرعة، ولكن هذا الفعل تَدَّرَع لا يخلو من لبس؛ لأنك لا تدري أهو من الدَّرَع أو المدرعة، فعدلوا عن القياس واشتقوا قاصدين بتوهمهم أصالة الميم، فقالوا: تَمَدَّرَع، وقالوا: تَمَذَّهَبَ فلان بمذهب الشافعي، يتركون القياس: تذهب؛ خشية اللبس، ولأنّ تذهب لا يحمل الدلالة المركزة المرادة في قولهم: تمذهب المستفادة من الميم الزائدة هنا، وبقاؤها في هذا الفعل يمنع التباسها بالمشق من الذهب أو الذهاب في الأرض؛ فمن أجل المعنى خالفوا القياس. وفعلوا مثل هذا في الاشتقاق من المسكين والمندبل والمنطقة؛ فقالوا: تَمَسْكَنَ وتَمَنَدَل وتَمَنَطَق، مع إمكانهم النطق بالقياس من هذا، وهو دليل على أنهم يتركون القياس قصداً وعمداً لا غلطاً، وهذا حسن بالغ، وهو ضرب من ضروب شجاعة العربية.

ومما جاء على مَفْعَلٍ وما يلحق به ملحقاً ببناء فَعَّلَ ما رُوي عن ابن الأعرابي وغيره أنّه سمع من العرب قولهم: مَرَحَبَكَ اللهُ وَمَسْهَلَكَ، من قولهم مَرَحَبًا وَسَهْلًا. ومنه مَذَرَقَ به، رواه صاحب في المحيط، قال: «مَذَرَقَ به وَدَرَقَ به؛ أي: رَمَى به»^(١)، ورواه الصّغاني في التكملة، والفيروزي في القاموس، والزبيدي في التاج في الرّياضي (م ذرق) مع الإشارة إلى زيادة الميم. ومنه مَخَرَقَ الرجل^(٢)، من المخاريق واحدها المِخْرَاق، والقياس: خَرَقَ، وقالوا منه أيضًا: تَمَخَرَقَ، ومنه: مَرَعَزَ الثوب، فهو مُمرَعَز، اشتقّوه من المِرْعَزَ، أو المِرْعَزَاء. ومنه مَسَقَعَ الخطيبُ، رواه عبداللطيف البغدادي، وذكر أنهم يقولون: فلان يُمَسَقِعُ علينا فهو مُمَسَقِع، ولا يقال بالشين، وهو من قولهم: خطيب مِسَقَع؛ لتبجّحه وكثرة كلامه^(٣)، ونقلها الصّفدي في تصحيح التصحيف^(٤). ومنه المُمَرَجَل (وفعله مَرَجَل)؛ وهو ضرب من ثياب الوشي فيه صور المَرَاجل، وذهب أبو العلاء المعري إلى زيادة ميم (مَرَجَل)؛ اعتمادًا على الأصل المذكور. وجعل ثبوتها في التصريف كثبوت ميم (تمسكن) من (المسكنة). ومنه قول العرب: مَرَهَمَ الجرح؛ إذا وضع عليه المَرَهَمَ، والميم زائدة، وهو على وزن مَفْعَلٍ على مذهب بعض العلماء، قال ابن سيده: والمَرَهَمُ: طلاء يُطلى به الجرح، وهو أَلْيَنُ ما يكون من الدّواء، مُسْتَقٌّ من الرّهْمَةِ؛ لئِنَّه^(٥).

وأما الوزن فلك فيه وجهان: إن شئت راعيت الأصل؛ فقلت: تمسكن تمفعّل؛ لتدلّ على زيادة الميم، وهو مذهب الجمهور^(٦)، وإن شئت راعيت مرادهم بالتوهم وجعلتها على وزن (تفعّل) كتدحرج، وهذا اختيار الشيخ مصطفى الغلاييني من المحدثين، ووصفه بأنه رأي المحققين، قال: «فقد توهموا أصالة الميم في هذه

(١) الصّاحب بن عباد، المحيط، ٦/ ١٠٤.

(٢) ابن جني، الخصائص، ١/ ٢٢٨، وابن جني، سر صناعة الإعراب، ١/ ٤٣٣.

(٣) البغدادي، ذيل الفصيح، ص ٦٢٩.

(٤) الصّفدي، تصحيح التصحيف، ص ٤٨١.

(٥) ابن سيده، المحكم (رهم)، ٤/ ٢٢٦.

(٦) ينظر: سيبويه، الكتاب ٤/ ٢٨٦، وابن جني، سر الصناعة ١/ ٤٣٣، وابن خالويه، ليس في

كلام العرب ص ٥٦، وابن عصفور، الممتع ١/ ١٦٨.

الأسماء فبنوا الفعل عليها، فوزنها (تَفَعَّلَ) لا (تَمَفَّلَ) هذا هو الحقُّ الذي عليه المحققون من العلماء»^(١)، ولا أدري من أين جاء بأنه رأي المحققين، وهو خلاف رأي سيبويه وعامة البصريين، ومع ذلك أرى أن اختيار الشيخ الغلاييني هو الأرجح؛ لأنَّ الزيادة متجبرة، فتعامل معاملة الأصول على النهج الذي ذهبت إليه في هذا البحث؛ لأنَّ قياس البنية للفعل في هذه الألفاظ تصريحاً ووظيفة يأبى الحكم عليها بالزيادة الصرفية، فتعامل معاملة الأصول مع اعتقاد الزيادة فيها من جهة اللغة والاشتقاق، كميم زرقم وأخواتها حين وضعها أكثر المعجميين في الجذر الرباعي، مع قولهم بأنَّ الميم زائدة.

رابعاً: متجبرات اعتباطية متفرقة:

وهي كثيرة من حروف شتى، لا ينتظمها نظام صريح، الغرض منها الإلحاق أو التكرير أو التهويل، ومن أمثلتها:

بلهق / لهق: امرأة بلهق: حمقاء كثيرة الكلام، والباء زائدة، وهو من الثلاثي لهق، ومنه تلهق، قال ابن منظور: التَّلَهُق: كثرة الكلام والتَّعَرُّفيه^(٢).

هبلع / بلع: الهَبْلَع: الأَكُول، العظيم اللَّقْم. والاشتقاق يقضي بأنَّ الهاء زائدة، وهو من البلع، قال ابن جني: «وذهب أبو الحسن [الأخفش] إلى أنَّ الهاء في هَجَرَ وهَبْلَع زائدتان؛ لأنهما عنده من الجَرَْع والْبَلْع، وذلك أنَّ الهَجَرَ هو الطويل، والجَرَْع المكان السَّهل المنقاد، والهَبْلَع الأَكُول، فهذا من البَلْع، فمثالهما على هذا هِفْعَل»^(٣)، وهذا رأي البصريين فكلَّ زائد عندهم يظهر في الميزان، ولكن هذا زائد لغوي لا صرفي، فينبغي التفريق بينهما، ويعامل معاملة الأصول؛ فيكون وزنهما: فِعْلَل، ويظهر أثر هذا الرأي في الصناعة المعجمية، كما سيأتي في المبحث الرابع.

(١) الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص ٢٢٣.

(٢) ابن منظور، اللسان (ل هـ)، ١٠ / ٣٣٣، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٤٧.

(٣) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ٢ / ٥٦٩.

سنبس / نبس: السَّنْبِسُ السَّرِيعُ، وَسَنْبَسَ إِذَا أَسْرَعَ يُسْنِبُسُ سَنْبَسَةً، قَالَ أَبُو عُمَرَ الرَّاهِدُ: السَّيْنُ فِي أَوَّلِ سِنْبِسٍ زَائِدَةٌ. يُقَالُ: نَبَسَ إِذَا أَسْرَعَ^(١).

عضنك / ضنك: الْعَضْنُكَ: الْمَرْأَةُ اللَّفَاءُ الْعَجْزَالِي ضَاقَ مُلْتَقَى فَخَذِيهَا لِكَثْرَةِ اللَّحْمِ، وَاشْتَقَّاهُ مِنَ الثَّلَاثِي ضَنْكَ ظَاهِرٍ، قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: «وَهَذَا مِمَّا زِيدَتْ فِيهِ الْعَيْنُ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الضَّنْكَ، وَهُوَ الضَّيْقُ»^(٢).

نفطر / فطر: النَّفَاطِيرُ: وَاحِدُهَا نَفْطُورَةٌ؛ وَهِيَ الْكَالَةُ الْمُتَفَرِّقُ. وَقَالَ الدِّينَوْرِيُّ: قَالَ اللَّحْيَانِيُّ: يُقَالُ فِي الْأَرْضِ نَفَاطِيرُ مِنْ عُسْبٍ؛ أَيْ تَبَذُّ مُتَفَرِّقٌ^(٣)، وَالِاشْتِقَاقُ يَقْضِي بَزِيَادَةِ النُّونِ، وَهُوَ مِنَ الثَّلَاثِي فَطَرَ: الْفَطْرُ: الشَّقُّ، وَالْفُطْرُ: ضَرْبٌ مِنَ الْكَمَاءِ أَيْضٌ عِظَامٍ، الْوَاحِدَةُ فُطْرَةٌ. يُقَالُ: فَطَرْتُهُ فَأَنْفَطَرَ. وَتَفَطَّرَتِ الْأَرْضُ بِالنَّبَاتِ؛ إِذَا انْصَدَعَتْ^(٤).

المطلب الثاني: متحجرات في موضع العين في الرباعي:

يقع الزائد المتحجر هنا بين الفاء والعين من الثلاثي، ومع القول بزيادته يعامل معاملة الأصول؛ فيكون هو العين وينقل الكلمة من الثلاثي إلى الرباعي، والزوائد هنا كثيرة في هذا الموضع، تقع في أكثر الحروف، وبعض المتحجرات في عين الكلمة الرباعية ينتج عن فك التضعيف في عين الثلاثي، ومن أمثلة متحجرات موضع العين:

دحرج / درج: الدُّحْرُوجَةُ: كُلُّ مَا دَخَرَجْتَهُ مِنْ طِينٍ أَوْ غَيْرِهِ مِثْلُ الْبُنْدُوقَةِ الْمُدَوَّرَةِ، وَجَمْعُهُ: دَحَارِيْجٌ، وَدَخَرَجْتُ الشَّيْءَ دَخْرَجَةً وَدَحْرَجًا، فَتَدَحْرَجُ. وَالِاشْتِقَاقُ يَشِيرُ إِلَى زِيَادَةِ الْحَاءِ، وَالْجَذَرُ دَرَجٌ: دَرَجُ الصَّبِيِّ يَدْرَجُ: دَبَّ يَدَبُّ، دَرَجَ الشَّيْءُ يَدْرَجُهُ دَرَجًا طَوَاهُ، وَأَدْخَلَهُ، كَدَرَجَ تَدْرِيجًا وَأَدْرَجَ. وَالْإِدْرَاجُ: لَفُّ الشَّيْءِ، وَيُقَالُ لِمَا طَوَيْتَهُ:

(١) الأزهري، التهذيب (ن ب س)، ١٣ / ١٣.

(٢) ابن فارس، المقاييس، ٤ / ٣٦٠.

(٣) الصغاني، التكملة والذيل والصلة (ف ط ر)، ٣ / ١٥٣.

(٤) الأزهري، التهذيب (ف ط ر)، ١٣ / ٣٣٠.

أَدْرَجْتَهُ؛ لأنه يُطَوَى على وجهه، والدَّرَاجَة: الَّتِي يَدْرُجُ عَلَيْهَا الصَّيِّ أَوَّلُ مَا يَمْشِي،
وَأَحْسَبُ أَنَّ زِيَادَةَ الْحَاءِ تَجِبَتْ عَنْ فَكِّ التَّضْعِيفِ: دَرَجٌ = دَحْرَجٌ.

خرشم / خشم: الْخُرْشُومُ: أَنْفُ الْجَبَلِ الْمُشْرِفِ عَلَى وَادٍ أَوْ قَاعٍ^(١)، والرَّاءُ فِيهِ
زَائِدَةٌ^(٢)، بِدَلَالَةِ الْإِشْتِقَاقِ؛ فَهُوَ مِنَ الْخَشْمِ، وَقَالُوا فِيهِ: الْخِشُومُ، وَجَذَرُهُ
الْثَلَاثِي: خ ش م.

درعب / دعب: اُدْرَعَبَتِ الْإِبِلُ: مَضَتْ عَلَى وَجُوهِهَا^(٣)، والرَّاءُ زَائِدَةٌ^(٤)، وَالْأَصْلُ
دَعَبٌ، وَمِنْهُ: مَاءٌ دَاعِبٌ؛ يَسْتَنُّ فِي سَبِيلِهِ^(٥).

درفق / دَفَقَ: اِدْرَنْفَقَتِ النَّاقَةُ؛ إِذَا مَضَتْ فِي السَّيْرِ وَأُسْرِعَتْ. وَالْمُدْرَنْفَقُ:
الْمُسْرِعُ فِي سَيْرِهِ. وَيُقَالُ: اِدْرَنْفَقَ مُرْمَعًا؛ أَي: اَمْضِ رَاشِدًا^(٦)، والرَّاءُ زَائِدَةٌ بِدَلَالَةِ
الْإِشْتِقَاقِ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: جَمَلَ دَفَقٌ؛ سَرِيعٌ، وَدَفَقَ الْمَاءُ وَالْدَّمَغُ وَتَدَفَّقَ: انْصَبَّ.

سرمد / سَمَدٌ: السَّرْمَدُ: دَوَامُ الزَّمَانِ مِنْ لَيْلٍ وَنَهَارٍ. وَالسَّرْمَدُ: دَوَامُ الْعَيْشِ^(٧)،
وَهُوَ مِنَ الثَّلَاثِي سَمَدٌ، وَمِنْ قَوْلِهِمْ: السَّمَدُ: السَّيْرُ الدَّائِمُ، وَسَمَدَتِ الْإِبِلُ تَسْمُدُ
سُمُودًا لَمْ تَعْرِفِ الْإِعْيَاءَ، وَالسَّمَدُ: السَّيْرُ الدَّائِمُ، وَسَمَدَ: ثَبَّتَ فِي الْأَمْرِ وَدَامَ، وَلَكِنْ
ابْنُ فَارِسٍ يَرَى أَنَّ الْمِيمَ فِيهِ هِيَ زَائِدَةٌ، وَأَنَّهُ مِنْ سَرَدَ^(٨)، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ.

(١) الخليل، العين (خ رش م)، ٤ / ٣٢٥.

(٢) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٥٥.

(٣) الزبيدي، التاج (درع ب)، ٢ / ٤٠٧.

(٤) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٥٦.

(٥) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٥٦.

(٦) ابن منظور، اللسان (د ف ق)، ١٠ / ٩٦.

(٧) الخليل، العين (س رم د)، ٧ / ٣٤١.

(٨) ابن فارس، المقاييس، ٣ / ١٦٠.

بعثق / بثق: البعثقة: خروج الماء من غائل حَوْضٍ أو من جابية، وتبعثق الماء من الحَوْض؛ إذا انكسر منه ناحية فخرج منها^(١)، وهو من الثلاثي بثق، من قولهم: بَثَّقَ السَّيْلُ المكان؛ إذا حَرَقَهُ وَشَقَّهُ فانبَثَقَ؛ أي: انفَجَرَ^(٢)، والعين زائدة.

قلع / قفع: القلْفُ، مثالُ الخِنْصِر: الطَّيْنُ الَّذِي إِذَا نَضَبَ عَنْهُ الْمَاءُ يَيْسَ وَتَشَقُّقٌ وَتَقْلَعُ، قال الجوهري: وَاللَّامُ زَائِدَةٌ^(٣)، اشتقه من قولهم: أَذُنٌ قَفْعَاءُ؛ كَأَنَّهَا أَصَابَتْهَا نَارٌ فَانزَوَتْ، وَرِجْلٌ قَفْعَاءُ؛ إِذَا ارْتَدَّتْ أَصَابِعُهَا إِلَى الْقَدَمِ، وَرِجْلٌ أَقْفَعُ وَامْرَأَةٌ قَفْعَاءُ بَيْنَا الْقَفْعِ، وَقَوْمٌ قَفَعُ الْأَصَابِعِ.

صمقر / صقر: صَمَقَرَ اللَّبَنُ وَاصْمَقَرَ، فَهُوَ مُصْمَقَرٌ: اشْتَدَّتْ حُمُوضَتُهُ^(٤). وَاصْمَقَرَتِ الشَّمْسُ: اتَّقَدَّتْ، وَأَشَارَ الْأَزْهَرِيُّ إِلَى زِيَادَةِ الْمِيمِ فِيهِ، وَاشْتَقَّ مِنْ قَوْلِهِمْ جَاءَنَا بِصَفْرَةٍ مَا تُذَاقُ حُمُوضَتُهُ^(٥)، أَوْ هُوَ مِنْ قَوْلِكَ صَقَرْتُ النَّارَ؛ إِذَا أَوْقَدْتَهَا.

نهر / نبر: النَّهَابِر: تَلَالِ الرَّمْلِ الْمَشْرِفَةِ، فَسُمِّيَتْ الْمَهَالِكُ نَهَابِرَ مِنْ ذَلِكَ، الْهَاءُ زَائِدَةٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: نَبَرَ الشَّيْءُ يَنْبِرُهُ؛ إِذَا رَفَعَهُ، وَالْمَنْبِرُ: الْمَكَانُ الْعَالِي^(٦).

قهيل / قبل: يَقُولُونَ: حَيَّا اللَّهَ قَهَبَلْتَهُ؛ أَي: حَيَّا اللَّهَ وَجْهَهُ. ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: حَيَّا اللَّهَ قَهَبَلَهُ وَمُحْيَاهُ سَمَامَتُهُ وَظَلَلُهُ وَآلَهُ. أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ: الْهَاءُ زَائِدَةٌ؛ فَيَبْقَى: حَيَّا اللَّهَ قَهَبَلْتُكَ؛ أَي: مَا أَقْبَلَ مِنْكَ^(٧).

(١) ابن دريد، الجمهرة (ب ع ث ق)، ١١١٢ / ٢.

(٢) الحميري، شمس العلوم ١ / ٤٢٧، والرازي، مختار الصحاح ص ٢٩، وسالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ٧٠.

(٣) الجوهري، الصحاح (ق ف ع)، ١٢٧٠ / ٣.

(٤) ابن دريد، الجمهرة (ص م ق ر)، ١١٥٣.

(٥) الأزهري، التهذيب (ص م ق ر)، ٣٨٧ / ٩.

(٦) سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٠٢.

(٧) الصغاني، التكملة والذيل والصلة (ق ه ب ل)، ٤٩٦ / ٥.

المطلب الثالث: متحجرات في موضع اللام الأولى في الرباعي:

يقع الزائد المتحجر هنا بين العين واللام، ومع القول بزيادته زيادة متحجرة يعامل معاملة الأصول؛ فيكون الزائد هنا هو اللام الأولى في بناء رباعي، إذ ينقل الكلمة من الثلاثي إلى الرباعي، وهذه الزوائد كثيرة أيضاً، ومن أمثلتها:

شمرج / شمع: (الشُّمْرُجُ) الرقيق من الثياب وغيره في قول القائل: عَدَاةَ الشَّمالِ الشُّمْرُجُ الْمُتَنَصِّحُ، وذكر ابن فارس أنَّ الرِّاءَ زِيدَتْ فيه، قال: يقولون: شَمَجَ الثَّوْبَ؛ إذا خاط خياطة مُتَبَاعِدَةً. فهذا إذا رَقَّ فكأنَّ سَلَكَهُ يتباعد بعضُه عن بعض^(١).

حذلق / حذق: يقال: إنه لَيَتَحَذَّقُ علينا؛ إذا أظهر الحَذَقَ، وادَّعى أكثرهما عنده، وفيه حذقة وتحذلق وهو من المتحذلقين. وذكر الجوهري والزمخشري أنَّ اللام فيه زائدة^(٢).

دلامص / دلص: دُلامِصٌ، بزيادة الميم، وهو عند سيبويه فعامل^(٣)، قال المبرد: وكذلك دُلامِص الميم زائدة؛ لأنَّهم يقولون: دَلِيسٌ ودِلاص فتقديرها فُعَامِلٌ^(٤)، وقال ثعلب: «الدلامص: البيضة، أخذت من ولص يدلص، والميم زائدة، يزيدون الحرف على الحرف. والدلامص والدلص: من الدليص، والدليص والدلاص: البراق»^(٥).

صمرد / صرد: الصَّمْرُدُ بالكسر، من الإبل: النَّاقَةُ القليلة اللَّبَن، قال الجوهري: وأرى الميم زائدة^(٦).

(١) ابن فارس، المقاييس، ٣ / ٢٧٢.

(٢) الجوهري، الصحاح (ح ذق)، ٤ / ١٤٥٧، والزمخشري، أساس البلاغة (ح ذق)، ص ٧٨.

(٣) سيبويه، الكتاب، ٤ / ٢٧٤.

(٤) المبرد، المقتضب، ١ / ٥٩.

(٥) ثعلب، مجالس ثعلب، ١ / ٣٠٥.

(٦) الجوهري، الصحاح، ٢ / ٤٩٧.

قصم / قصم: قَصَمَهُ؛ أي: قَطَعَهُ، والقصملة دُويبة تقع في الأسنان فلا تلبث أن تُقَصِمَها حتى يتَهْتَكَ فم الإنسان، ورأى الأزهري أنها مأخوذة من القَصْل، وهو القَطْع، وسيُفْ مَقْصَل وقَصَّال قَاطِع، والميم عنده زائدة^(١).

جلمط / جلمط: جَلَمَطَ: جَلَمَطَ رَأْسَهُ؛ حَلَقَ شَعْرَهُ، قال الجوهري: والميم زائدة^(٢).

جذمر / جذم: الجَذْمُور والجَذْمار: قطعة من أصل السعفة تبقى في الجذع إذا قطعت. ذكر الجوهري أن الميم زائدة^(٣).

متحجرات موضع اللام الأولى ناشئة بفك التضعيف:

ثمة زوائد متحجرة في موضع اللام الأولى ناشئة بفك التضعيف، كما وقع في الموضع السابق: أعني العين، ومن ذلك: قولهم: خَرَّقَ عمله خَرْقَةً: أفسده، الأصل: خَرَّقَ، فكَّوا التضعيف بقلب ثاني المثليين، (خَرَّقَ = خربق) وزوائد الفك زوائد متحجرة لا صرفية، وتستوي فيه -أي في الفك- جميع حروف الهجاء إلا الألف، ومنه المَصْلَفُح: العَرِيض من الرُّؤوس، اللام زائدة^(٤)، وهو مفكوك من المَصْفَح بقلب أول المثليين لامًا، (صَفَّق = صلفق). وشَبَرَقْتُ الثوب إذا قددته، مفكوك من شَرَّقْتُ الثوب تَشْرِيقًا، (شَرَّقَ = شبرق).

وهناك ألفاظ رباعية في لهجاتنا من المفكوكات نجد فيها زوائد متحجرة، ومنها الصَّلْفَقَة؛ وهي التحول من حال إلى حال، كالروحة والحيّة على وجه يشبه الإجبار، والصلفقة تكرار السائل بين قدحين، والفعل: صلفقه فتصلفق، ومنه قولهم في فعل الأمر من: صلفق الدلال؛ وهو إفراغ ما في دلة في أخرى، وتدويرها في الإفراغ، ويظهر أن صَلْفَقَ مفكوك من الثلاثي: صَفَّق الشيء: (صَفَّق = صلفق).

(١) الأزهري، التهذيب (ق ص م ل)، ٣٨٨ / ٩.

(٢) الجوهري، الصحاح (ج ل ط)، ١١٨ / ٣، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١١٨.

(٣) الجوهري، الصحاح (ج ذ ر)، ٦١١ / ٢.

(٤) الزبيدي، التاج (ص ل ف ح)، ٥٥٢ / ٦.

ومن ذلك قولهم: كرمشي القطُّ بأظافره؛ إذا خدشك بأظافره، وهو رباعي مفكوك من كرشه يكرشه: (كَرْش = كرمش). ومنه مَرَدَعٌ، فإن كان من الرَدْعَةِ؛ فهو مشتقٌّ على التوهّم، ووزنه مَفْعَلٌ ملحق بِمَفْعَلٍ كمعجم الكلمة ومرحبك ومسهلك، وهذا باب لطيف جداً في العربية. ومن ذلك في لهجاتنا: مَرَدَغُهُ يُمردغه؛ إذا صرعه ومرغه في المراغة، وهو مفكوك من (مَرَّغ = مدرغ) بقلب ثاني المثليين دالاً، ومنه في لهجاتنا: لولج بالطفل يلولج به؛ أي: دلاه وأرجحه يميناً وشمالاً، ولَوْلَجَ بولده فوق البئر؛ لتخويفه، ولَوْلَجَ بالسقاء؛ أرجحه وهو معلق، ولَوْلَجَ بيده؛ أشربها، ومصدره: اللَوْلَجَةُ، وهذا الفعل ظاهر الفك من: (لَوْح = لولج). ومنه قولهم: وكذلك عَرَمَشَ العظم؛ إذا أخذ عظم الذبيحة بيديه ونهس بقايا اللحم عليه بأسنانه، وكذلك اعترشه، وهو مفكوك من عَرَشَ، بقلب ثاني المثليين راء: (عَرَش = عرمش) ووزنه هذا كله فَعْلٌ؛ لأنَّ الحرف المتحجّر بعد الفك زائد على بنية الثلاثي، وينقل الفعل إلى البناء الرباعي، والمتحجّرات في الميزان كالأصول.

متحجرات صيغة أَفْعَلَّ المتحوّلة من افعال:

وفي هذا الموضع - أعني متحجّرات اللام الأولى - نجد صيغة أَفْعَلَّ التي أصلها افعال، وعلّة الزائد المتحجّر فيها؛ أنه لا يلتقي ساكنان في بنية الكلمة إلا في مدّ بعده إدغام في نحو دابةً وحمارة القيظ، وكذلك بناء افعال، التي تتحول إلى بناء افعّل، وأقدم إشارة وقفت عليها في هذا كانت للأزهري حين ذكر مواضع زيادة الهمزة، فجعل منها: «الهمزة التي تُزاد ثلثاً يجتمع ساكنان، نحو: اطمأنّ، واشمأزّ، وازبأزّ، وما شاكلها»^(١)، فلم يزد على الإشارة إلى الفرار من الساكنين في البنية، فالأصل عنده: اشمأزّ، فريدت الهمزة في موضع الألف للتخلص من الساكنين، ويرى جمهور البصريين أصالة الهمزة في نحو: زَرِمَ وازرأَمَ؛ أي: انقطع، وخَصَلَ واخْصَأَ؛ أي: ابتل وندي، وأزهرَ وازْهَأَ، وَصَفَدَ وَاضْفَادَ؛ إذا كثر لحمه وثقل،

(١) الأزهري، التهذيب، ١٥/ ٦٨٢.

وَزَلِمَ الْقَوْمَ وَازِلًا مُوَا؛ إِذَا أَسْرَعُوا، وَيَقُولُونَ إِنَّ تِلْكَ الْبَنَى الْمُتْقَارِيَةَ أَصْلَانِ ثَلَاثِيَّ وَرِبَاعِيَّ، كَسَبَطَ وَسَبَطَر، وَرَفَضَ ابْنُ جَنِي^(١) حَمَلَهَا عَلَى بَابٍ: شَأْمَلٍ وَشَمَائِلٍ مِنْ قَوْلِهِمْ: شَمَلَتِ الرِّيحُ؛ لَقَلَّتْهُ. وَيُلْزِمُهُ أَنْ يَدْخُلَ هَذَيْنِ -أَيْضًا- فِي الرِّبَاعِيَّ -أَعْنِي: شَمَائِلًا وَشَأْمَلًا- وَيَكُونُ قَوْلُهُمْ: (شَمَلَتِ الرِّيحُ) أَصْلًا ثَلَاثِيًّا مُسْتَقْلًا لَا صِلَةَ لَهُ بِشَمَائِلٍ، وَشَأْمَلٍ إِلَّا بِمَعْنَاهُ؛ لِيَدْخُلَ فِيمَا ذَكَرَ، وَهَذَا بَعِيدٌ؛ فَالِاشْتِقَاقُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ظَاهِرٌ، وَهُوَ سَيِّدُ الْأَدْلَةِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الرِّبَاعِيَّاتِ مَتَحَوَّلَةٌ مِنَ الثَّلَاثِيَّاتِ بِرَوَايَدٍ مُتَحَجِّرَةٍ، كَمَا تَقْدُمُ.

وَوَافَقَ ابْنُ فَارِسٍ أَبَا مَنْصُورَ الْأَزْهَرِيَّ وَرَأَى أَنَّ الْهَمْزَةَ زَائِدَةً فِي هَذَا الْبِنَاءِ، قَالَ: أَرْزَأَمَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُزْرِيئٌ؛ إِذَا غَضِبَ. وَهَذَا مِمَّا زِيدَتْ فِيهِ الْهَمْزَةُ، وَهُوَ مِنْ زَرِمَ؛ إِذَا انْقَطَعَ^(٢)، وَرَأَيْهِمَا هُوَ الْأَقْرَبُ؛ لِقُوَّةِ الْاشْتِقَاقِ، وَقَدْ لَهَمَا رَمَضَانُ عَبْدُ التَّوَابِ^(٣)، وَذَكَرَ أَنَّ صِيغَةَ أَفْعَالٍ تَحَوَّلَتْ إِلَى أَفْعَالٍ؛ لِأَسْبَابٍ مِنْهَا نَفُورُ الْوِزْنِ الشَّعْرِيِّ مِنَ التَّقَاءِ سَاكِنِينَ إِلَّا مَا يَقَعُ مِنْهُ بَيْنَ الصَّدْرِ وَالْعَجْزِ، وَهُوَ نَادِرٌ، قَالَ: «يَبْدُو أَنَّ كُلَّ صِيغَةٍ عَلَى وَزْنِ (أَفْعَالٍ) قَدْ جَاءَتْ فِي الْعَرَبِيَّةِ عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ، حَتَّى وَلَوْ يَوْجَدُ إِلَى جَوَارِهَا صِيغَةُ (أَفْعَالٍ) فِي الْإِسْتِعْمَالِ»^(٤)، وَذَكَرَ مِنْ هَذَا أَفْعَالًا، كَاطْمَأَنَّ، وَاشْرَأَبَ، وَاقْشَعَرَ، وَازْمَهَرَ، وَارزَأَمَ، وَاجْتَأَلَ، وَاشْمَأَزَّ، وَاتِمَأَزَّ، وَاجْتَأَلَ، وَاجْذَأَزَّ، وَاجْرَأَشَّ، وَاجْفَاطَ، وَاحْزَأَلَ، وَاحْظَأَبَ، وَارْفَأَنَّ، وَازْمَأَزَّ، وَازْلَأَمَ، وَاسْمَأَدَّ، وَاشْرَأَبَ، وَامْطَأَنَّ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ تَخَلَّصَتْ مِنَ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ بِحَرْفَيْنِ آخَرَيْنِ غَيْرِ الْهَمْزَةِ، هُمَا الْعَيْنُ فِي نَحْوِ: اشْمَعَلَّ، وَابْذَعَرَ، وَاقْصَعَلَّ، وَالهَاءُ فِي نَحْوِ: اكْفَهَرَ، وَاجْرَهَدَّ، وَادْلَهَمَّ، وَيَرَاهُمَا مَبْدَلَتَيْنِ مِنَ الْهَمْزَةِ، وَمَا ذَكَرَهُ فِي تَحَوُّلِ الْبَنِيَّةِ حَسَنٌ بِالْخِ، وَلَكِنْ وَزْنَ الْمَهْمُوزِ عِنْدَهُ: (أَفْعَالٍ) وَفِيهِ نَظَرٌ، وَيُلْزِمُهُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ اشْمَعَلَّ (أَفْعَعَلَ)، وَإِنْ اكْفَهَرَ (أَفْعَهَلَ)، وَالَّذِي أَرَاهُ هُوَ أَنَّ زِيَادَةَ الْهَمْزَةِ فِي هَذِهِ الْبَنِيَّةِ،

(١) ابْنُ جَنِي، الْخَصَائِصُ، ٢/ ٥١.

(٢) ابْنُ فَارِسٍ، الْمَقَابِيصُ، ٣/ ٥٤.

(٣) رَمَضَانُ عَبْدُ التَّوَابِ، فَصُولُ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ، ص ١٩٣ وَمَا بَعْدَهَا.

(٤) رَمَضَانُ عَبْدُ التَّوَابِ، فَصُولُ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ، ص ١٩٧، ١٩٨.

وزيادة العين أو الهاء هي زيادة لغوية متحجرة لا صرفية، تعامل في الميزان معاملة الأصول، فيكون الوزن (أفعلّ) وهو ما أراه في كل الزوائد المتحجرة؛ أقول بزيادتها وأعاملها معاملة الأصول في الوزن.

المطلب الرابع: متحجّرات في موضع اللام الثانية في الرباعي:

يقع الزائد المتحجّر هنا بعد لام الثلاثي، ومع القول بزيادته يعامل معاملة الأصول، فيكون هو اللام الثانية في بناء رباعي؛ إذ تنتقل الكلمة به من الثلاثي إلى الرباعي، والزوائد في هذا الموضع كثيرة أيضاً، وتظهر في متحجّرات هذا الموضع ما يسمّى عند بعض الباحثين المعاصرين بالتمييم، فيمكننا أن نقسم متحجّرات هذا الموضع قسمين: متحجّرات التمييم ومتحجّرات اعتباطية.

أولاً: متحجّرات التمييم:

التمييم مصطلح أطلقه بعض الباحثين المعاصرين؛ ليشاكل التنوين، ولكنه يباينه في أنّه يبقى ولا يذهب ذهاب التنوين، كما أنه يدخل الأسماء والأفعال خلافاً للتنوين، فما التمييم؟

التمييم: زيادة ميم في آخر الرباعي في بعض اللغات السامية، ومنها العربية^(١)، وهي زيادة سماعية غير مطردة، ينتقل اللفظ بها من الثلاثي إلى الرباعي، ليأخذ حكم الرباعي في التصريف، وأشار سيبويه إلى هذه الميم الزائدة، ولكنه لم يسمّها وهي عنده كغيرها من الميمات الزوائد، وذكر لها أمثلة قليلة، منها: دُلا مص وزُرِّم وسُتُّهم، وأشار إلى أنها مما زيدت فيها الميم بثبت، يعني الاشتقاق؛ لأنها من الدليص والأزرق والأسّته^(٢)، ولم يزد على هذا، والاشتقاق عند أهل العلم سيّد الأدلة في الحكم على الحروف بالأصالة أو الزيادة.

(١) ينظر: حسن العوفي، التمييم في العربية ومقارنته ببعض اللغات السامية، ص ١٠، ومحمد بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، ص ٧٦، ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٥٢ / ١٣.

(٢) سيبويه، الكتاب، ٤ / ٣٢٥.

وقد وردت هذه الميم المتحجرة (ميم التمييز) في طائفة من ألفاظ العربية، وهي كثيرة، جمع منها ابن السكيت في كتابه «الإبدال» أو «القلب والإبدال» طائفة من الألفاظ في باب ما تزداد فيه الميم آخرًا، رواها عن الأصمعي^(١)، وجمع الدكتور سالم الخماش طائفة صالحة منها مما جاء في معجم لسان العرب لابن منظور في بحثه «أصول الجذور الرباعية»^(٢)، وتوسع فيها الدكتور حسن بن عبد المنعم العوفي في بحث له يتناول ظاهرة التمييز، جعله بعنوان: «التمييز في العربية ومقارنته ببعض اللغات السامية»^(٣)، وسأذكر هنا أمثلة من زوائد التمييز مصنّفة على أوزان ما جاء فيه التمييز، وهي: فَعَلَّلَ / فَعْلَمَ، وفُعِّلَ / فُعِّلِمَ، وفعلّل / فعلّم، وفعلّل / فعلّم، وفعلّل / فعلّم، وفعلّل / فعلّم.

١- مما جاء على فَعَلَّ / فَعَلِمَ:

(شَبْرُمُ): وهو قصير القامة، اشتقوه من الشبر، وهو إلى القصر أقرب.
(وَحَلَجَمُ): من الحَلَج؛ وهو الانتراع^(٤). و(سَلَطَمُ): من السلاطة؛ وهو الطويل^(٥).
(وَدَلْهَمُ): من الدَّله؛ وهو التحير^(٦). و(كَرْدُمُ): وهو من قولهم: كَرَدْتُ الرجلَ؛ إذا
عدا بين يديك عدوً فَرَعَ. و(كَلْدَمُ): وهو من الصلابة، قال ابن دريد: من قولهم:
أرض كَلْدَة^(٧). و(كَتْعَمُ): الرَّكَبُ النَّائِي الصَّخْمُ من المرأة. وامرأة كَتْعَمٌ؛ إذا عَظُمَ
ذلك منها، ومعنى الثلاثي (كتع) عند ابن فارس: تراكب شيء على شيء وتَجَمَّع.

(١) ابن السكيت، الإبدال، ص ١٤٧، ١٤٨.

(٢) ينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٦٦ وما بعدها.

(٣) اقترحت عليه قبل سنوات الكتابة في موضوع التمييز وإجراء موازنات مع بعض اللغات العروبية (السامية)، وكتب بحثًا مميزًا لمَّ فيه أشتات التمييز والفاظه، وأفدت من بحثه في هذا الموضوع من بحثي.

(٤) ابن دريد، الجمهرة، ٣ / ١٣٣٢.

(٥) ابن دريد، الحمرة، ١٣٣٢/٣، وينظر: الصحاري، الإبانة، ١/٣٠٨.

(٦) ابن دريد، الحمرة، ١٣٣٢/٣.

(٧) ابن دريد، الحمهرة، ٣ / ١٣٣٢.

يقال: شَفَّة كائِنة؛ إذا كَثُرَ دَمُهَا. وَكَثَعَ اللَّبَنُ: عَلَا دَسَمُهُ. وَكَثَعَتْ لِحْيَتُهُ: طَالَتْ وَكَثُرَتْ^(١). وَ(كَرَشَمَ): تقول العرب: قَبَحَ الله كَرَشَمَتَهُ أَي: وجهه، ميمه زائدة، وهو من الكَرَشِ^(٢). وَ(صَلَقَمَ): وتردد فيه ابن سيده، فقال في موضع إن ميمه زائدة^(٣)، ثم قال في موضع آخر: الصَّحِيح أَنَّهُ رِبَاعِيٌّ^(٤). وَ(الشَّدَقَمَ والشَّدَقَمِي): الأَشْدَقُ، زادوا فيه الميم كزيادتهم لها في فَسْحُمَ وَسُتْهُمْ، وجعله ابن جني رباعياً من غير لفظ الشَّدَق على منهجه في باب سبطرودمثر، ومن هذا: (دَخَشَمَ)، وَ(الْجَلَعَمَ)، وَ(الْجَحْظَمَ)، وَ(الْجَذَعَمَ)، وَ(الْبَلَعَمَ)، وَ(الْصَلَقَمَ).

٢- ومما جاء على فُعْلُل / فُعْلُم:

(زُرُقَمَ): من الزُّرْقَةِ، قال بعض العرب: زُرُقَاءُ زُرُقَمَ، بيديها تَزُرُقَمُ^(٥)، وَسُتْهُمْ: وهو عظيم الأُستة، ويقال للواسعة الدُّبُر: ستهاً وَسْتَهُمُ^(٦). وَ(فُسْحُمَ): الواسع الصَّدْر، وهو من الفساحة^(٧)، وَ(جُلْهُمَ): وهو جلهة الوادي أو ناحيته^(٨). وَ(حُلْكَمَ): وهو الأسود، واشتقاقه من الحَلَك: شِدَّة السَّوَاد^(٩). وجعل الفراء الحُلْكَمَ من باب فُعْلُل^(١٠)، وهو الصواب من جهة الوزن الحادث لا الاشتقاق؛ لأن هذه الميم زائدة لغوية متحجرة غير صرفية، فتعامل معاملة الأصول.

(١) ابن فارس، المقاييس، ١٦١/٥.

(٢) ابن سيده، المحكم (كرشم)، ١١٨/٨.

(٣) ابن سيده، المحكم، ١٢٨/٦.

(٤) ابن سيده، المحكم، ٣٧٨/٥.

(٥) الخليل، العين (زرق م)، ٢٥٥/٥.

(٦) الخليل، العين (س ت هـ)، ٥/٤.

(٧) ابن دريد، الجوهرة، ١٣٣٢/٣.

(٨) ابن السكيت، الإبدال، (القلب والإبدال)، ص ١٤٨.

(٩) ابن السكيت، الألفاظ، ص ١٥٣.

(١٠) الأزهري، التهذيب (ح ل ك م)، ٣٠٧/٥.

٣- ومما جاء على فَعِلَل / فَعِلِم:

(خَدَلِم): الغليظة الساق المستديرتها. قال الجوهري: امرأة خَدَلَاءُ بَيِّنَةُ الخَدَلِ والخَدَالَةِ، وهي الممتلئة الساقين والذراعين، وكذلك الخَدَلِمُ بالكسر، والميم زائدة^(١). و(صَلِم): قال ابن دريد: ناقة صَلِمٍ من الصَّلْد؛ وهو الصلابة^(٢). و(جَرَضِم): للصلابة والشدة، قال ابن فارس: ومن ذلك قولهم للأَكُولِ: جَرَضُم، فهذا ممّا زيدت فيه الميم. و(السَّرْطُم): الواسع الخلق، السريع البلع مع جِسْمٍ وخلق^(٣)، قال ابن سيده: وقد تقدم في الثلاثي؛ لأن بعضهم يجعل الميم زائدة^(٤)، و(الدَّرْدُم): كالإدرد، قال ابن سيده: ميمه زائدة^(٥)، والدَّرْدَاءُ من الإبل: التي لَحِقَتْ أَسنانها بِدُرْدُرها من الكبر.

٤- ومما جاء على فَعَلَل / فَعَلَم:

(دَقَعَم): الدَّقَعَاء؛ وهو التراب. و(دَلَقَم): يقال: شاة دَلَقَم، وناقَة دَلَقَم: إذا انكسرت أسنانها وسال لعابها، قال الأزهري: الدَّلُوق والدَلَقَم: الناقة التي تكسر أسنانها هَرَمًا، فهي تمجّ الماء^(٦).

٥- ومما جاء على فُعْلُول / فُعْلُوم:

(حُلْقُوم): وهو من الحلق، و(العُلْجُوم): الظُّلْمَةُ المُتَرَاكِمَةُ، ذكر ابن فارس أنّ ميمه زائدة^(٧)، و(البُلْعُوم): وهو مجرى الطّعام في الحلق، واشتقاقه من البلع^(٨).

(١) الجوهري، الصحاح (خ دل)، ١٦٨٣ / ٤.

(٢) ابن دريد، الجمهرة، ١٣٣٢ / ٣.

(٣) الخليل، العين (س ر ط م)، ٣٣٧ / ٧.

(٤) ابن سيده، المحكم، ٤٣٠ / ٨.

(٥) ابن سيده، المحكم (د رد)، ٢١٧ / ٩.

(٦) الأزهري، التهذيب (دل ق)، ٣١ / ٩.

(٧) ابن فارس، المقاييس، ٣٦٥ / ٤.

(٨) ابن فارس، المقاييس، ٣٢٨ / ١.

قال ابن فارس: «زَيْدٌ عليه ما زَيْدٌ لِجِنْسٍ مِنَ الْمُبَالِغَةِ فِي مَعْنَاهُ... كما يفعلون ذلك في زُرْقَمٍ وَخَلْبِنٍ. لَكِنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةُ تَقَعُ أَوَّلًا وَغَيْرُ أَوَّلٍ»^(١).

وأقول هنا: إن الاشتقاق يقضي بزيادة الميم فيما تقدم من ألفاظ، ولكنها ليست زيادة صرفية؛ فلم تدلّ على معنى، وإنما هي زيادة متحجرة ناقلة الثلاثي إلى الرباعي؛ للإلحاق أو التّكثير، ولعلها بقايا تنوين قديم متحوّل من لغات عروبية قديمة، فالتبست ميمه المتحجرة بالأصول، واضطربت فيها المعاجم كما سيأتي.

ثانياً: متحجرات اعتبارية:

وهي كثيرة أيضاً في هذا الموضع (اللام الثانية)، ومنها:

غرقاً/ غرق: الغرقى: قُشِرَ الْبَيْضُ الَّذِي تَحْتَ الْقَيْضِ. قال الفراء: همزته زائدة؛ لأنه من الغَرْق، وكذلك الهمزة في الْكِرْفَنَةِ وَالطُّهْلَنَةِ زائدتان^(٢).

جلدب/ جلد: الْجَلْدَب: الصلب الشّدِيد، وهو من الْجَدَد؛ وهو ما صلب من الأرض واستوى متنه، والجميع أجلاذ، وهذه أرض جِلْدَة، ومكان جِلْد^(٣).

حرب/ حثر: الْحُثْرُبُ: الْوَضْرُ، يَبْقَى فِي أَسْفَلِ الْقِدْرِ، وَحَثَرَتِ الْبِئْرُ؛ إِذَا كَدُرَ مَآؤُهَا وَاخْتَلَطَتْ بِهَا الْحَمَاءُ، وَهُوَ مِنَ الثَّلَاثِي حَثْرٌ، وَحَثِرَ الْعَسَلُ؛ إِذَا تَحَبَّبَ لِيَفْسَدَ، حَثَرَتْ عَيْنُهُ؛ خَرَجَ فِيهَا حَبُّ أَحْمَرٍ^(٤)، وَحَثَارَةُ النَّبِيِّ: حُطَامُهُ.

حثلب/ حثل: الْحِثْلِبُ: عَكَرُ الدَّهْنِ أَوِ السَّمْنِ، وَهُوَ مِنَ الثَّلَاثِي حَثَلٌ، وَمِنْهُ الْحِثَالَةُ: ثَفَلُ الدَّهْنِ وَغَيْرِهِ مِنَ الطَّيِّبِ، وَرَبِمَا قَالُوا: حِثَالَةُ الْبُرْلُرْدِيِّ^(٥).

(١) ابن فارس، المقاييس، ١/ ٣٣٢.

(٢) الجوهري، الصحاح (غ رق أ)، ١/ ٦٢.

(٣) الخليل، العين (ج ل د)، ٦/ ٨١، وأبو علي القالي، البارع (ج ل د)، ص ٦٢٩.

(٤) ابن سيده، المخصص، ١/ ١٠٦، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٢٩.

(٥) ابن دريد، الجمهرة (ح ث ل)، ١/ ٤١٧.

زغرب / زغر: الرَّغْب: الماء الكثير، والزغبة من الآبار؛ الكثير الماء الباقية، وهو من الثلاثي زغر، الرَّغْر: الكثرة^(١).

عبدل / عبد: العبدلُ: العبد، ولامه زائدة^(٢)، أو هو منحوت من كلمتين، ومثله زيدل، وقريب منهما: طيسل وفيشلة، اللام في هذا كله زائدة زيادة متحجرة.

الرَّعْشَنُ: المُرْتَعِشُ، وَجَمَلُ رَعْشَنُ: سريعٌ لاهتزازِه في السَّيْرِ، نونه زائدة؛ بدلالة الاشتقاق في قولهم: نَاقَةُ رَعْشَنَةٍ وَرَعْشَاءُ كَذَلِكَ، وقال الخليل: ويقال: أدخلت النونُ في رَعْشَنٍ بدلًا من الهمزة في أرعش، وكذلك الأصيد من الملوكة يقال له: الصَّيْدَنُ^(٣)، والنون على الوجهين زائدة زيادة متحجرة.

هذرب / هذر: الهَذَرِيَّةُ: كثرة الكلام في سرعة، وهو من الثلاثي هذر، الهَذَرُ: الكثير الرديء^(٤).

ربحل / ربح: رَجُلٌ رِيحَلٌ، قال الزمخشري: هو من الرَّجْح: الزيادة، واللام مزيدة^(٥).

هندك / هند: الهنادكة الهَنُودُ. قال الجوهري: الكاف زائدة، نُسِبُوا إِلَى الْهِنْدِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ^(٦)، وروى الزبيدي عن الأزهري: سَيُوفٌ هِنْدِيَّةٌ؛ أي: هندية، والكاف زائدة، يُقَالُ: سَيُوفٌ هِنْدِيٌّ وَرَجُلٌ هِنْدِيٌّ^(٧).

سبطر / سبط: السَّبْطَرُ الطويل، واشتقاقه من سَبَطَ، الرَّاء زائدة زيادة متحجرة، وهي أصلية عند البصريين؛ لأنها ليست من حروف الزيادة، والسَّبَطُ

(١) الشيباني، الجيم، ٥٨ / ٢، وابن سيده، المحكم (زغ ر)، ٢٦٣ / ٥، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٣٠.

(٢) ابن سيده، المحكم (ع ب د)، ١٩ / ٢.

(٣) الخليل، العين (رع ش)، ٢٥٥ / ١.

(٤) ابن سيده، المحكم (هذر ر)، ٢٠٨ / ٤، وينظر: سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية، ص ١٣٣.

(٥) الزمخشري، أساس البلاغة (ربح)، ص ١٥٠.

(٦) الجوهري، الصحاح (هدك)، ١٦١٦ / ٤.

(٧) الزبيدي، التاج (هدك)، ٤١٠ / ٢٧.

والسَّبَطُ أصلان عند البصريين، وكذلك دَمَتْ وِدَمَتْ. وَحَبَّجٌ وَحَبَّجٌ^(١)، ولا يلتفتون إلى الاشتقاق الجلي؛ لأن الحرف من غير حروف الزيادة العشرة. ونجد إشارة خفية في كلام سيبويه توجي إلى أن في سَبَطٍ زيادة الراء على الثلاثي سَبِطٍ، بدلالة المعنى والحروف المتفقة، قال سيبويه: «وقد يجعلون للنَّسَب في الإضافة اسماً بمنزلة جعفر، ويجعلون فيه من حروف الأول والآخر، ولا يخرجونه من حروفهما ليعرف، كما قالوا سَبَطُ، فجعلوا فيه حروف السَّبِط؛ إذ كان المعنى واحداً»^(٢)، وهذه الراء زائدة عند الكوفيين، وهو الراجح فيما أذهب إليه في هذا البحث، ولكنها ليست زيادة صرفية بل زيادة لغوية جاءت لقيمة صوتية صرفية؛ وهي نقل اللفظ من بنية ثلاثية إلى بنية رباعية، فيعامل هذا الحرف معاملة الأصول مع القول بزيادته على البنية الثلاثية، ويكون الحرف الزائد المتحجّر في حكم الحرف الأصلي، وبهذا يمكن التوفيق بين الجماعتين.

المطلب الخامس: متحجّرات في موضع اللام الثالثة:

يقع الزائد المتحجر هنا بعد اللام الثانية في الرباعي أو الثلاثي المزيد، ومع القول بزيادته يعامل معاملة الأصول، فيكون هو اللام الثالثة في بناء خماسي؛ إذ تنتقل الكلمة به من الرباعي إلى الخماسي، والزوائد في هذا الموضع ليست كثيرة؛ لقلة المروي من الخماسيات في اللغة، مع غموض اشتقاقها، ومن أمثلة الخماسيات التي يمكن أن تكون لامها الثالثة زائدة: (الصَّلْحَدَم): الشديد من الإبل، قال الجوهري: الميم زائدة^(٣)، و(الدَّرْدَيْسُ): الدَّاهية والعجوز، والسين زائدة، وقال الراجز:

أُمُّ عِيَالٍ فَخَمَّةٌ تَعُوسُ
قَدْ دَرَدَبْتُ وَالشَّيْخُ دَرْدَيْسُ

(١) ابن جني، الخصائص، ٤٩/٢، وينظر: ابن عصفور، المتع ١/ ٨٦، ٩٣/١.

(٢) سيبويه، الكتاب، ٣/ ٣٧٦.

(٣) الجوهري، الصحاح (ص ل خ د م)، ٥/ ١٩٦٧.



ومنه: (الشَمْرَدَلُ) وهو الرَّجُلُ الخفيف في أمره، ويُقال القَيِّ القَوِيُّ من الإبل، جعله ابن فارس من شَمِرَ^(١) بزيادة اللام وقبلها الدال. ومنه (العَنْقَفِير): الدَّاهِيَةُ، يرى ابن فارس أنه مما هُوَل بالزيادة، وأشار إلى زيادة الراء وقبلها الياء والفاء، وجعل اشتقاقه من العنقاء من أسماء الدَّاهِيَةِ^(٢)، وكذلك (العَلْطَمِيس): جارية تَارَةً حَسَنَةً القَوَام. وناقاة عَلْطَمِيسُ: شديدة ضُخْمَة، والأصل في هذا عَيْطَمُوسُ واللام بدل من الياء، والياء بدل من الواو. وكلُّ ما زاد على العين والطاء في هذا عند ابن فارس فهو زائد، وأصله العَيْطَاءُ: الطَّوِيلَةُ، والطَّوِيلَةُ العُنُقُ^(٣). ومنه (الْفَتَكْرَيْنَ) وهي الشَّدائد، وهو عنده من الفَتَكِ، وسائر زائد^(٤)؛ أي بزيادة الراء والنون ومعهما الياء. ومنه (عَنْكَبُوت) التاء زائدة، و(تَحْرِبُوت) وصف للناقاة، واختلفوا في وزنه؛ فهو عند سيبويه فَعَلَّلُوت^(٥) بزيادة التاء، وقيل هو خماسي ووزنه فَعَلَّلُوت^(٦)، وأرى زيادة التاءين في أوله وآخره زيادة متحجرة، وهو من خرب، فيكون وزنه: فَعَلَّلُوت، على المنهج في الزوائد المتحجرة.

المبحث الرابع: المعاجم ومَعْجَمَةُ الزوائد المتحجرة:

إن معرفة الأصول وتمييزها من الزوائد هي الأساس الذي تقوم عليه الصناعة المعجمية في مدارسها الثلاث؛ التقليبات والقافية والصدور، ولم يكن للمعاجم العربية نهج محرر في الزوائد المتحجرة؛ لأن التصريف لم يجررها، فظلت مبهمة أو محل خلاف؛ فحين ينكر البصريون الزيادة من غير الحروف العشرة في غير تضعيف وتكرير نجد إشارات متفرقة لزوائد من غير العشرة، أو من العشرة

(١) ابن فارس، المقاييس، ٣ / ٢٧٤.

(٢) ابن فارس، المقاييس، ٤ / ٣٧٢.

(٣) ابن فارس، المقاييس، ٤ / ٣٧٢.

(٤) ابن فارس، المقاييس، ٤ / ٥١٢.

(٥) سيبويه، الكتاب، ٤ / ٢٩٢.

(٦) أبو الحسن السخاوي، سفر السعادة، ١ / ٣٨٤.

ولكنها زوائد لغوية متحجرة كهاء هبلع، وميم زُرْقَم، وكاف هنادكة، فالمعجميون مضطربون في شأنها؛ تارة يعتدّون بالحرف الزائد فيعاملونه معاملة الحروف الأصول، وتارة يعاملونه معاملة الزائد الصرفي، وتارة يذكرونه في الموضوعين؛ موضع الأصالة وموضع الزيادة.

فمن الزوائد المتحجرة ما عومل معاملة الأصل، وهو النهج الأمثل في الصناعة المعجمية؛ لما ذكرته فيما سلف، وهو كثير في معاجمنا، فمن ذلك: القَصْمَلَة: شِدَّة العَصِّ والأكل، قال الأزهري: القَصْمَلَة مأخوذة من القَصْل؛ وهو القَطْع، والميم زائدة، ومع ذلك جعلها في باب الرباعي^(١)، وكذلك فعل ابن سيده وابن منظور والزيدي. ومن ذلك اصمقرّ، وقولهم: يوم مصمقرّ؛ إذا كان شديد الحرّ، جعله الأزهري في الرباعي مع إقراره بزيادة الميم، ومثله في المحكم واللسان والتاج، والفعل: جَلَمَطَ رأسه؛ بمعنى حلق شعره، قالوا: إنّ ميمه زائدة، فوضعه ابن سيده وابن منظور والزيدي في الرباعي (ج ل م ط)، مع نصّهم على زيادة الميم، وهو النهج المعجمي الأمثل في الزوائد اللغوية المتحجرة.

ومن الزوائد المتحجرة ما عومل معاملة الزائد الصرفي؛ فالفعل اطمأنّ مزيد بالهمزة زيادة متحجرة؛ فوضع في الثلاثي (ط م ن)، ومثله: اشمأزّ، ازراًم، اضمفأد، اجظأر، ازلاًم، كلها وضعت في الثلاثي، وأمّا اتمألّ فوضع في الرباعي (ت م أ ل)، وهذا خلاف نهجهم في المزيادات بالهمزة في بناء افعللّ المحوّل من افعال، وأمّا الزوائد المتحجرة غير الهمزة في هذا البناء - أعني افعللّ المحوّل من افعال - فعاملوا الزيادة فيه معاملة الأصل، ومن ذلك: اقشعرّ جاء في (ق ش ع ر)، وابدعرّ في (ب ذ ع ر)، وارثعنّ في (ر ث ع ن)، واسمعدّ في (س م ع د)، واشمعلّ في (ش م ع ل)، وهذه كلها مزيدة بالعين، ومن ذلك اتمهلّ في (ت م ه ل)، واجرهدّ في (ج ر ه د)، وادرهمّ

(١) الأزهري، التهذيب (ق ص م ل)، ٩ / ٣٨٨.

في (د ر هـ م)، واكفهر في (ك ف هـ ر)، واسلهب في (س ل هـ ب)، وهذه مزيدة بهاء متحجرة، والهمزة والعين والهاء أخوات في المخرج؛ ولذا وقعت الزيادة منها في هذا البناء، ويقع فيها الإبدال أيضاً، ومنه قولهم: ارفأَنَّ عن الأمر وارفهنَّ^(١)، وكذلك اسماء واسمعد، إذا امتلأ غضباً.

ومما اضطربت فيه معاجمنا من هذا البناء المزيدة بهمزة متحجرة: اهوانٌ فهو مُهَوَّنٌ ومهوانٌ، وضعه الأزهري في (وهن) وهذا عجيب، ووضعه الصغاني في (هون)، فيكون وزنه افعالٌ، ووضعه صاحب في (م هـ ن)؛ لأنه قرأه: (المُهَوَّان) بنون خفيفة قبلها ألف، وهو تصحيف، وتردد فيه ابن فارس؛ فقال في جذر (هـ ون) في المجمل^(٢): وأرى أن المُهَوَّان في باب إلهاء والواو والياء أحسن، وأن النون والهمزة فيهما زائدتان؛ فيكون عنده من (هـ و ي) وهذا غريب، ويكون وزن اهوانٌ على هذا: افعانٌ، ووضعه الجوهري في (هـ و أ)؛ فيكون وزنه افعَلَنٌ، ووضعه ابن منظور والزبيدي في (هـ أ ن)؛ فيكون وزنه افوعَلٌ، قال ابن بري: «جَعَلَ الجوهريُّ مُهَوَّاناً في فصل هـ و أ، وهمُّ منه؛ لأنَّ مُهَوَّاناً وزنه مُفَوَّعَلٌ. وكذلك ذكره ابنُ جني، قال: والواو فيه زائدة؛ لأنَّ الواو لا تكون أصلاً في بنات الأربعة»^(٣)، وأرى أن أصل اهوانٌ: اهوانٌ، ثم طرأ على هذه البنية تحوّل قديم بزيادة متحجرة هي الهمزة، كما تقدّم؛ فصارت: اهوانٌ على وزن افْعَلَلٌ وليس افعالٌ، فيكون جذرها مع المتحجر: (هـ و أ ن)، وجذرها دون المتحجر: (هـ و ن)، فالواو أصل فيها خلافاً لابن جني الذي حكّم القاعدة الصرفية ولم يلتفت إلى الزوائد اللغوية المتحجرة.

(١) ابن منظور، اللسان (رفن)، ١٣ / ١٨٤.

(٢) ابن فارس، المجمل (هون)، ٨٩٥.

(٣) ابن بري، التنبيه والإيضاح (هـ و أ)، ١ / ٣٥، وينظر: ابن منظور، اللسان (هـ و أ)، ١ / ١٨٧.

وفي الجدول الآتي تلخيص لطريقة المعجميين في التعامل مع هذه البنية ومتحجراتها:

المحول من أَفْعَلَّ وأصله أفعالٌ بحرف حلقى وموضعه في المعاجم الكبيرة			
الكلمة	الزائد المتحجر	جذر ثلاثي	جذر رباعي
اجثأَلَّ	أ	ج ث ل	
احزأَلَّ	أ	ح ز ل	ح ز أ ل
اطمأَنَّ	أ	ط م ن	
اشمأَزَّ	أ	ش م ز	
اتمأَلَّ	أ		ت م أ ل
اسمأَدَ	أ	س م د	
ازرأَمَ	أ	ز ر م	
ازمأَرَّ	أ	ز م ر	
اضفأَدَ	أ	ض ف د	
اهوَأَنَّ	أ	ه و ن / ه أ ن / هو أ / ه و ي / وه ن	
اجظأَرَّ	أ	ج ظ ر	
ازلأَمَ	أ	ز ل م	
اقشعَرَ	ع		ق ش ع ر
ابذعَرَ	ع		ب ذ ع ر
ارثعَنَّ	ع		ر ث ع ن
اسمعدَ	ع		س م ع د
اشمعلَ	ع		ش م ع ل
اتمهلَ	ه		ت م ه ل
اجرهدَ	ه		ج ر ه د
ادرهمَ	ه		د ر ه م

المحول من أَفْعَلًا وأصله أفعال بحرف حلقى وموضعه في المعاجم الكبيرة			
الكلمة	الزائد المتحجر	جذر ثلاثي	جذر رباعي
اكفهرَ	هـ		ك ف هـ ر
اسلهبَ	هـ		س ل هـ ب

ويظهر من هذا الجدول أن المعجميين ينظرون في هذا البناء إلى حرفه الزائد؛ فإن كان همزة، مثل: اطمأنَّ واشمأزَّ جعلوها زائدة، وربما وضعوا بعضه في الرباعي أيضًا، كما في احزأل، وربما اضطربوا في بعضه كاهوأنَّ، فإن كان الزائد غير الهمزة عاملوه معاملة الأصل، مثل: اقشعرَّ واكفهرَّ، والعين والهاء أخوات الهمزة في المخرج، كما تقدّم، وكثيراً ما يقع الإبدال بينها كما رأيناه في المنعنات والمهنهات، فباب هذه الأحرف واحد، وهو أن تعامل معاملة الأصول مع اعتقاد زيادتها؛ لأنها زوائد غير صرفية، فلا تعامل معاملتها، ولو فعلوا هذا؛ لآطرد لهم المنهج في هذا البناء.

كيف تعاملت المعاجم مع ميم التميميم؟

تقدّم أن الميم فيما سماه بعض الباحثين تميمياً زائدة، ولكنها زيادة لغوية متحجرة لا زيادة صرفية، فكيف تعاملت معها المعاجم؟ الإجابة يكشفها الجدول الآتي، وفيه يتضح أن منهم من وضعها في الرباعي إذ عدّها من الأصول مع إشارته إلى زيادتها، ومنهم من وضعها في الموضعين الثلاثي والرباعي، وندر وضعها في الثلاثي دون الرباعي، والجدول الآتي يلخّص منهج أكبر معجميين في العربية اللسان والتاج في معجمتهما متحجرات التميميم:

متحجرات التميميم في لسان العرب وتاج العروس			
الكلمة	الزائد المتحجر	الجذر الثلاثي	الجذر الرباعي
زُرُقُمُ	م	زرق	زرق م
تَعْلُمُ	ت		ت غ ل م

متحجرات التميميم في لسان العرب وتاج العروس			
الكلمة	الزائد المتحجر	الجذر الثلاثي	الجذر الرباعي
تَقَدَّم	ت		ت ق د م
جُلْهَمَة	م		ج ل ه م
فُسْحَم	م	ف س ح	ف س ح م
حُلْكَم	م		ح ل ك م
شُبْرَم	م		ش ب ر م
سَلْطَم	م		س ل ط م
كَرْدَم	م		ك ر د م
كَنْعَم	م		ك ث ع م
كَرْشَم	م		ك ر ش م
صَلَقَم	م	ص ل ق	ص ل ق م
بَلْعَم	م	ب ل ع	ب ل ع م
شَذَقَم	م	ش ذ ق	ش ذ ق م
جَحْظَم	م	ج ح ظ	ج ح ظ م
جَلْعَم	م	ج ل ع	ج ل ع م
جَذَعَم	م	ج ذ ع	ج ذ ع م
صَلِيم	م		ص ل د م
جِرْضَم	م		ج ر ض م
دُعْرِم	م		د ع ر م
دَلْقَم	م	د ل ق	د ل ق م
دَرْدَم	م	د ر د	د ر د م
دَقْعَم	م	د ق ع	



يَحْكُمُونَ عَلَى الْحَرْفِ بِالزِّيَادَةِ وَيَعْدُونَهُ ضَمْنَ الْأَصُولِ:

لم يفرق أهل اللغة بين الزيادتين الصرفية واللغوية المتحجرة، كما تقدّم، ولكننا نجد المعجميين - على الرغم من اضطرابهم في بعضها - ينظرون إليها نظرة مباينة للروايد الصرفية؛ فمع أنهم يحكمون على الحرف بأنه زائد إلا أنهم يعدّونه ضمن الأصول، فيجعلونه ضمن جذر الكلمة، وهو النهج الأمثل كما تقدم، وهذا غير قليل في معاجمنا وإن كانوا متردّدين فيه أحياناً فيجعلونه في الجذرين الثلاثي والرباعي، كما تقدّم، ونجد صاحب معجم العين حين يحكم بزيادة حرف لا يعتدّ به في أصول الكلمة، بل يُطرحه كما يُطرح الزائد الصرفي الذي هو محلّ إجماع عند الصرفيين وصُنّاع المعاجم، ومن ذلك القنْدَاوَةُ، اشتقّها الخليل من قداء، والنون زائدة والواو صلة؛ ولذا وضعها في (ق د أ)، وحكم على نون فلسطين بالزيادة؛ فوضعها في الرباعيّ (ف ل س ط)، وحكم على نون رَعَشَن في قولهم: جمل رَعَشَن وناق رَعَشَنَ بأنها زائدة^(١)؛ فوضعها في الثلاثي (رع ش)، إلا أنّه خالف منهجه في بعض المواضع، ومن ذلك حكمه على نون العُنْظَوَان - نبات إذا استكثر منه البعير وَجَعَ بطنه - بالزيادة، واشتقّها من قولهم عَظِيَ البعير عَظَى فهو عَظٍ، والنون زائدة، قال: «أصل الكلام: العين والطاء والواو»^(٢)، ومع ذلك وضعها في عنظ! ومثل هذا صنيعه في الزيتون؛ حكم على نونها بالزيادة ولكنه وضعها في مادّة (ز ت ن)، واشتقاقها ظاهر، فهي من الزيت لا محالة، وجذرها: (زي ت)؛ ولعلّ هذا الاضطراب مما حشاه الليث أو مما أقحمه النّسّاخ أو بعض أهل العلم في القرن الثالث.

(١) الخليل، العين (رع ش)، ١/ ٢٥٥.

(٢) الخليل، العين (ع ن ظ)، ٢/ ٨٧.

وسأذكر هنا طائفة يسيرة مما عومل معاملة الحرف الأصلي مما جاء في بعض المعاجم الشهيرة:

مما في معجم الجمهرة لابن دريد (٣٢١هـ):

جاء في أبواب الرباعي في الجمهرة ألفاظ ثلاثية نص ابن دريد على زيادة حرف فيها، ومنها قوله: هَنْبَص: اِسْم، والنُّون زائدة، واشتقاقه من الهَبَص، عَدُوٌّ مِنْ عَدُوِّ الذَّنْب^(١)، ومن ذلك قوله: تَغْلَم: اِسْم موضع، وأحسب التَّاء زائدة^(٢)، ومنه: الجَحْظَم، وهو العظيم العَيْنَيْن، قال: وأحسبه من الجَحَظ، الميم زائدة كزيادتها في زُرْقَم وسُتْهُمْ^(٣)، وقال: وَحَرَشَن: اسم النُّون فيه زائدة، وأصله من الْحَرَش^(٤)، وقلنس الشيء؛ إذا غَطاه وستره، زَعَمُوا، والنُّون فيه زائدة^(٥)؛ فجعلها في الرباعي مع قوله بزيادة الحرف.

مما في معجم تهذيب اللغة للأزهري (٣٧٠هـ):

وضع الأزهري جملة من الألفاظ ذات الزوائد المتحجرة في أبواب الرباعي معتداً بالزائد، كقوله في جذر (ك ع س م): الكُغْسوم: الحمار بالحميرية. ويقال: بل الكسعوم، والأصل فيه الكُسعة، والميم زائدة. وجعل (قرضم) في الرباعي مع قوله: والميم فيه زائدة، وقرضمت الشيء: قطعته. والأصل قَرَضْتُهُ^(٦)، ووضع (المُصمقر) في الرباعي (ص م ق ر) مع قوله إن الميم زائدة^(٧). ووضع هراق

- (١) ابن دريد، الجمهرة (ه ن ب ص)، ١١٢٦ / ٢.
- (٢) ابن دريد، الجمهرة (ت غ ل م)، ١١٢٩ / ٢.
- (٣) ابن دريد، الجمهرة (ج ح ظ م)، ١١٣٤ / ١.
- (٤) ابن دريد، الجمهرة (ح ر ش ن)، ١١٤١ / ٢.
- (٥) ابن دريد، الجمهرة (ق ل ن س)، ١١٥٦ / ٢.
- (٦) الأزهري، التهذيب (ق ر ض م)، ٣٨٥ / ٩.
- (٧) الأزهري، التهذيب (ص م ق ر)، ٣٨٧ / ٩.

في (ه ر ق)، قال: هَرَقَبَتِ السَّمَاءُ مَاءَهَا، وهي تُهَرِّيقُ، والماءُ مُهَرِّاقٌ، الهاءُ في ذلك متحرَّكة؛ لأنَّها ليست بأصليَّة، إنَّما هي بدلٌ من همزة أراق. قال: وَهَرَقْتُ مثل أَرَقْتُ. فاعتدَّ الأزهري بهذه الزوائد المتحرَّجة وعاملها معاملَة الأصول، وهو النهج الأمثل، إلا أنَّ منهجه في هذا غير مطرد كسائر المعاجم دون استثناء في هذه المسألة.

مما في معجم الصَّحاح للجوهري (نحو ٣٩٢هـ):

ومما وضعه في حرفه الزائد: الكِرْفُ: السَّحاب المرتفع الذي بعضه فوق بعض، قال: وهمزته زائدة، ومع ذلك وضعه في (ك ر ف أ)^(١). وجعل الغَلْفُقُ -الخضرة على رأس الماء، ويقال: نبت ينبت في الماء ذو ورق عراض- في الرباعي، وقال: ويقال: اللام في هذه الحروف زائدة^(٢)، غير أنَّني وجدته يقول بالزيادة في بعض الألفاظ فيعامل الزائد المتحرَّج معاملَة الزائد الصرفي، فعل ذلك في الدقم، والغطامط، والحظم، والجلعم، قال بزيادة الميم فيها؛ فجعلها في الثلاثي.

مما في معجم اللسان لابن منظور (ت ٧١١هـ):

وضع السُّتْهُمْ -بمعنى الأسْتَه- في الرباعي (س ت هـ م) مع حكمه على الميم بأنَّها زائدة^(٣)، وكذلك الدَّلْقم والحُلْكم والجَحْظَم وضعها في الرباعي، ووضع الهمَرْجَل -الجواد السَّريع- في الخماسي مع قوله إن الميم زائدة^(٤)، ووضع الهركولة في الخماسي مع قوله إن الهاء زائدة، وذكر أنَّ القَصْمَلَة مأخوذة من القَصْل؛ وهو القَطْع، وأن الميم زائدة، ومع ذلك ذكره في الرباعي؛ لأن هذه الزوائد متحرَّجات وليست زوائد صرفية.

(١) الجوهري، الصحاح (ك ر ف أ)، ٦٧ / ١.

(٢) الجوهري، الصحاح (غ ل ف ق)، ١٥٣٨ / ٤.

(٣) ابن منظور، اللسان (س ت هـ م)، ٢٨٠ / ١٢.

(٤) ابن منظور، اللسان (هـ م ر ج ل)، ٧١١ / ١١.

مما في معجم تاج العروس للزبيدي (١٢٠٥هـ):

وهو كالمعجمين قبله، وهو يشرح معجم الفيروزي صاحب القاموس، ويقع لهما عدُّ بعض الزوائد المتحجرة أصولاً، مع النصّ على زيادتها أحياناً، ومن ذلك في التاج: حَبَنْطاً، جعله في الرباعي (ح ب ط أ) مع أنّه نصّ على زيادة الهمزة^(١)، وجعل الكِرْفَنَةَ -قشرة البيض العليا اليابسة- في الرباعي (ك ر ف أ) وذكر أنّ همزتها زائدة. ومن ذلك: (الهِرَامِيْتُ) الرِّكَايَا، مفردها هَرْمِيْتُ أو هُرْمُوتُ، قال: التَّاء فيها زائدة؛ لأنّها من الهَرَمِ، وجعلها في الرباعي (ه ر م ت). ومن ذلك (الْخُنْبُثُ) وهو الخبيث، ذكر أنّ النُّون زائدة، وأنّه مبالغة في الخبيث، ومع ذلك وضعه في الرباعي (خ ن ب ث) وهو نهج سديد في الزوائد المتحجرة، إلا أنّه قد يخالف هذا المنهج فلا يعتدّ بالزائد المتحجر، فمن ذلك قوله في مادة (ف ح ج): الْفَحْجَلُ: الْأَفْحَجُ، زيدت اللام فيه كما قيل: عَدَدُ طَيْسٍ وَطَيْسَلٌ: أي كثير، ولذَكَرَ النَّعَامَ: هَيْقٌ وَهَيْقَلٌ^(٢)، وكذلك وضع الصُّمَارِحُ -الخالص من كلّ شيء- في الثلاثي (ص رح)؛ لأنّه حكم على الميم بالزيادة.

(١) الزبيدي، التاج (ح ب ط أ)، ١٨٦ / ١.

(٢) الزبيدي، التاج (ف ح ج)، ١٤١ / ٦.

نتائج البحث

بعد دراسة الرّوائد في المباحث الأربعة، والوقوف على أمثلة كثيرة من الرّوائد التي لم تأت لمعنى مطّرد يمكن تلخيص نتائج البحث فيما يأتي:

١. حروف الزيادة نوعان: زوائد صرفية ولها عشرة أحرف عند جمهور الصرفيين، وثمانية عند بعض العلماء، وأراه الأرجح، وزوائد لغوية «متحجرة» وحروفها حروف الهجاء كلها إلا الألف؛ لأنها لا تكون إلا مبدأ.
٢. الزيادة الصرفيّة مطّردة، وتأتي لمعانٍ مطّردة، وأمّا الزيادة اللّغويّة «المتحجرة» فغير مطّردة، وهي زيادة لفظيّة متحجرة في اللفظ، تأتي غالباً؛ للإلحاق، أو تكثير حروف الكلمة، أو للتحويل، أو لغير علّة ظاهرة، وليس لمعنى لغويّ مطّرد من معاني زوائد الصيغ الصرفية.
٣. قد يكون في الكلمة زائدان؛ أحدهما صرفي والآخر متحجر، ومن ذلك قولهم: يوم مُصَمِّقٌ شديد الحرّ، فالميم الأولى زائدة زيادة صرفية، والميم الثانية زائدة زيادة متحجرة؛ ولذا وضعها صاحب اللسان والتاج في الجذر الرباعي: ص م ق ر، مع قولهما بزيادة الميم الثانية.
٤. الزيادة الصرفية تظهر في الميزان، ككاتب ومكتوب ومكتب واستكتب (فاعل ومفعول ومفعول واستفعل)، وأمّا الزيادة اللغوية فمتحجرات تعامل معاملة الأصول، كالباء في زَعَدَب، ووزنها (فَعَلَل) لا (فَعَلَب)، والراء في بَعَثَ، ووزنها (فَعَلَل) لا (فَعَلَر)، والميم في دَقِمِ ودَقِّعِم، للدقاء والدقعاء، ويدرِم للدرء، وزنهَن (فَعِلَل) لا (فَعِلِم) ونحو ذلك مما يقع في بعض الألفاظ، يقال فيه بالزيادة ولكنها لا تظهر زوائد في الميزان خلافاً للرّوائد الصرفية؛ لأنّ تلك الرّوائد شاكلت الأصول وتشبّثت بالكلمة، ونقلتها من الأصل الثلاثي إلى الرباعي أو الخماسي، فتعامل معاملة الأصول في الميزان.

٥. يمكن لحروف الزيادة الصّرفيّة أن تكون زوائد لغويّة «متحرّجة» في بعض الكلمات، ولا يمكن للزوائد اللغويّة من غير العشرة أن تكون زوائد صرفيّة.
٦. الزوائد اللغويّة المتحرّجة ملتبسة بالأصل أو كالملتبسة، أمّا الزوائد الصرفيّة فظاهرة غير ملتبسة، إلا في مواضع تداخل الأصول وهذه مسألة مختلفة، لها أسبابها، بسطت القول فيها في كتابي تداخل الأصول اللغويّة.
٧. لا ضابط مطّرد للزوائد المتحرّجة في مواضع الزيادة؛ فقد يكون الزائد المتحرّج أولاً في موضع الفاء، أو ثانياً في موضع العين، أو ثالثاً في موضع اللام، أو رابعاً في موضع اللام الثانية، أو خامساً في موضع اللام الثالثة في الخماسي.
٨. الزوائد عند كراع النمل ثلاثة: زوائد من العشرة، وهي الزوائد الصرفيّة المعلومة، وزوائد من أخوات الزوائد العشرة، وذكر منها أربعة: الدال، والزاي، والطاء، والجيم، وزوائد من غير أخوات الزوائد العشرة، وذكر منها: العين، والغين، والقاف، والكاف، والحاء، والفاء، والراء، والباء.
٩. القول بالزيادة اللغويّة المتحرّجة يخدم المعجميين في التّأثيل والأحافير اللغويّة، ويستوعب نظرية الثنائية ونظرية ابن فارس في زوائد الرباعي والخماسي، ويعين الباحثين في التّأصيل والتحليل، ومحاولة الكشف عن الزوائد المتحرّجة الموغلة في القدم التي تبدو لصاحب الفكر البصري أصولاً في الكلمات.
١٠. لا يلزم أن تكون الزوائد المتحرّجة قديمة، وإن كان أكثرها موغلاً في القدم، فقد تُرتجل كلمة معاصرة ارتجالاً لتوظيفها في مصطلح، ويكون فيها زيادة متحرّجة، كالمثال الذي ذكرته من مقترحات تَمَام حسان، وهو دسَخن؛ فالدال متحرّجة وإن كانت الكلمة حديثة النشأة، وكذلك الفعل مَعَجَم الكلمة يمجمها معجمة، وقد اقترحه مجمع اللغة الافتراضي قبل خمس سنوات، بتوهم أصالة الميم للإلحاق بدحرج، فزيادة الميم فيه متحرّجة.



١١. لاحظت عند جمع المادّة اللّغويّة أنّ الزوائد تكثُر في بعض حروف الذلاقة (الميم والراء والباء والنون)، ويليهما العين والهاء، ولم أجد مثلاً لمتحجّرات الصاد.

١٢. لا تقع المتحجّرات في الثلاثي؛ لأنّه أقلّ الأصول في عصر نضج العربيّة بعد انتقالها من الثنائيّة إلى الثلاثيّة، وتقع في الرباعي والخماسي، ولها أثر بالغ في نشأة هذين النوعين، ولم يزل فيهما كلمة باقية لم نسمعها بعد؛ فأنصح الباحثين بدراستهما.

وفي الختام أقول: إنّ هذا المذهب الذي أقول به يدفع الخلط بين الزيادتين الصرفيّة واللّغويّة «المتحجّرة»، ويعيد الهيبة والاعتبار لعلماء اللّغة الكوفيين، ويخدم البحث المعجمي التحليلي، ويفتح آفاقاً واسعة للدلالة وصناعة المصطلح، ويعين على التعرّف على الأصول المغرقة في القدم، وتتبع التطور التاريخي لها والكشف عن علاقاتها وما بينها من وشائج قُربى مما يشبه العوائل اللفظيّة، ويستوعب هذا المذهب نظرية الثنائيّة ومفكوكاتها الثلاثيّات والرباعيّات، ويعين على فهم نظرية ابن فارس في زوائد الرباعي والخماسي.

فرغت من هذا البحث في ١٥ رمضان ١٤٤٣ هـ

فهرس المصادر والمراجع

- ابن برّي، التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح، تحقيق مصطفى حجازي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ابن جني:
- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، ط٢.
- سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداي، دمشق، دار القلم، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، تحقيق حسن هنداي، دمشق، دار القلم، وبيروت، جاز المنارة، ١٤٠٧هـ.
- المنصف في شرح تصريف المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ.
- ابن خالويه، ليس في كلام العرب، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧هـ.
- ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ابن السكيت:
- الإبدال، تحقيق حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٨هـ-١٩٨٧م.
- الألفاظ، تحقيق فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

- ابن سيده:
- المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق مصطفى السّقا وحسين نصّار، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربيّة، ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م.
- المخصص، بعناية محمد محمود التركيّ الشنقيطي ومعاونة عبد الغني محمود، طبعة بولاق، ١٣٢١هـ.
- ابن عصفور، الممتع، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت، دارالآفاق الجديدة، ط٤، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- ابن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٢هـ.
- ابن فارس:
- مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، إيران، قم، دار الكتب العلميّة، إسماعيليان نجفي.
- ابن القطاع:
- أبنية الأسماء والمصادر، تحقيق أحمد محمد عبد الدايم، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصريّة، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
- الأفعال، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- ابن القوطيّة، الأفعال، تحقيق علي فوده، العضو الفني للثقافة بوزارة المعارف، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

- ابن مالك، شرح التسهيل، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، دار هجر، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ابن محمد معصوم الحسيني المعروف بابن معصوم المدني، الطراز الأول، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قدم له علي الشهرستاني، الأردن، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر.
- ابن يعيش، شرح المفصل، تحقيق عبد اللطيف الخطيب، مكتبة دار العروبة، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.
- أبو بكر الزبيدي، مختصر العين، تحقيق نور حامد الشاذلي، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- أبو الحسن السخاوي، سفر السعادة وسفير الإفادة، تحقيق محمد أحمد الدالي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- أبو حيان الأندلسي:
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق رجب عثمان الطيب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- البحر المحيط، تحقيق صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ.
- أبو سعيد السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، مكة المكرمة، توزيع مكتبة عباس أمجد الباز، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- أبو العباس أحمد بن يحيى «ثعلب»، مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط ٦.



- أبو عبيد البكري، اللآلي في شرح أمالي القاضي، (مطبوع بعنوان سمط اللآلي)، تحقيق عبد العزيز الميمني، بيروت، دار الكتب العلمية.
- أبو عبيد القاسم بن سلام:
- غريب الحديث، تحقيق محمد عبد المعيد خان، حيدرآباد، الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- الغريب المصنّف، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دمشق-بيروت، دار الفحاء، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- أبو عليّ القاضي، البارع في اللغة، تحقيق هاشم الطّعان، بغداد، مكتبة النهضة، وبيروت، دار الحضارة العربية، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٥م.
- أبو عمرو الشيباني، الجيم، تحقيق إبراهيم الأبياري ومحمد خلف الله أحمد، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٤هـ.
- أحمد رضا، قاموس ردّ العامي إلى الفصح، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤هـ.
- إسماعيل عميرة، نوافذ على المنهجية والتأصيل المعجمي، الأردن، عمّان، دار وائل للنشر، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- إسماعيل عميرة وصلاح أحمد سعيد، رد الرباعي المبدوء بالعين إلى أصله الثلاثي: دراسة تأصيلية في ضوء فقه اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، بحث صغير منشور ضمن كتاب: إسماعيل عميرة، نوافذ على المنهجية، الأردن، عمّان، دار وائل للنشر، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

- الأصفهاني، المجموع المغيث في غريب الحديث، تحقيق عبدالكريم العزباوي، مكة المكرمة، منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أمّ القرى، ١٤٠٦هـ.
- تَمَام حَسَّان، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- الثماني، شرح التصريف، تحقيق إبراهيم البعيمي، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- حسن بن عبد المنعم العوفي، التميمي في العربية ومقارنته ببعض اللغات السامية، ١٤٤١هـ.
- خالد الأزهرى، التصريح بمضمون التوضيح، تحقيق عبدالفتاح بحيري إبراهيم، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٣هـ.
- الخليل، العين، تحقيق مهدي الخزومي وإبراهيم السامرائي، بيروت، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الرازي، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- الرضي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محبي الدين عبدالحميد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.



- رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٦، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
- الزمخشري:
- أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٢هـ.
- الفائق في غريب الحديث، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٣، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- سالم الخماش، أصول الجذور الرباعية في لسان العرب، جامعة الملك عبدالعزيز، مركز النشر العلمي، ١٤٢٧هـ.
- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد الحق وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الفكر.
- الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق مجموعة من الباحثين، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- شهاب الدين الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي (حاشية الشَّهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي)، بيروت، دار صادر.
- صاحب بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسين آل ياسين، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٦٩هـ ١٩٦٠م.
- الصحاري، الإبانة في اللغة العربية، تحقيق عبدالكريم خليفة وآخرين، عمان، مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

- الصغاني، التكملة والذيل والصلة، تحقيق عبد العظيم الطحاوي، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.
- الصفدي، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تحقيق السيد الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- عبد الرزاق الصاعدي، عويص التصريف (نظرات في أوزان وصيغ مشكلة)، بحث منشور في مجلة الدراسات اللغوية، المجلد الثالث والعشرون، العدد الثالث، رجب - رمضان ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.
- عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح التكملة، تحقيق أحمد عبد الله الدويش، الرياض، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٨هـ.
- عبد اللطيف البغدادي، ذيل الفصيح، صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه محمد بدر الدين النعساني الحلبي.
- الغلاييني، جامع الدروس العربية، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ.
- الفيروزي، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، الدلائل في غريب الحديث، تحقيق محمد بن عبد الله القناص، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- كُراع النمل، المنتخب في غريب كلام العرب، تحقيق محمد العمري، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ.
- المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت، عالم الكتب.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الأعداد من ٨١ إلى ١٠٢.
- محمد بافقيه وآخرون، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.



- مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تحقيق جماعة من العلماء، طبعة الكويت، بيروت، دار الفكر، ط ١، ١٤١٤هـ.
- المعري، رسالة الملائكة، تحقيق محمد سليم الجندي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط ٣، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني، بيروت، دار الفكر المعاصر، ودمشق، دار الفكر، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

References

- Aibn Brry, Altanbih wal'iidah eamaa waqae fi alsahahi, tahqiq mustafaa hijazy, alqahirat, alhayyat almisriat aleamat lilkitab, 1980m 1400h.
- Abn Jini:
 - Alkhasayisu, tahqiq muhamad eali alnjjar, bayrut, dar alhudaa liltibaeat walnashri, t. 2.
 - Siru sinaeat al'iierabi, tahqiq Hasan hindawiin, dimashqa, dar alqalami, 1405h 1985mi.
 - Almabhiy fi Tafsir 'Asma' Shueara' Alhamasati, tahqiq Hasan Hindawiin, dimashqa, dar alqalami, bayrut, jar almanart, 1407h.
 - Almunsif fi Sharh Tasrif Almazni, tahqiq 'Ibrahim Mustafaa & Abdallah 'amin, alqahirat, matbaeat eisaa albab alhalbi, 1373h.
- Abn Khaluayh, Lays fi Kalam Alearabi, tahqiq 'ahmad eabdalghufur eatar, dar aleilm lilmalayini, 1979m 1399h.
- Abn dirid, Jamharat allughati, tahqiq Ramziun Munir Baelabaki, bayrut, dar aleilm lilmalayini, 1987m 1407h.
- Iabn Alsaraji, Al'usul fi alnahuw, tahqiq Abdalhusayn Alfatli, bayrut, muasasat alrisalati, 1985m 1405h.
- Ibn alsakiit:
 - Al'iibdali, tahqiq husayn muhamad sharaf, alhayyat aleamat lishuwn almatbie al'amiriat, 1398h 1987m.
 - Al'alfazi, tahqiq fakhr aldiyn qabawata, maktabat lubnan 1998m 1419h.
- Abn Sayida:
 - Almuhamd walmuhit al'aezami, tahqiq Mustafaa Alssqa wahusayn nssar, maehad almakhtutat bijamieat alduwal alearabiati, 1377h t 1958m.



- Al mukhasasu, tabeat bulaq 1321hi bieinayat muhamad mahmud altarakazii alshanjitii wamueawanat eabdalghani mahmud.
- Ibn Ousfur, Al mumtaei, tahqiq Fakhr Aldiyn Qabawata, bayrut, dar alafaq aljadidataltabeat alraabieat, 1399h 1979m.
- Abn Atiah al'andalsi almuharibii, Almuharir Alwajiz fi Tafsir Alkitaab Aleaziza, tahqiq eabd alsalam eabd alshaafi muhamad, bayrut, dar al kutub aleilmiati, 1422h.
- Abn faris:
 - Mujmal Allughati, tahqiq zuhayr eabd almuhsin sultan, bayrut, muasasat alrisalati, t.2, 1406h 1986m.
 - Maqayis Allughati, tahqiq Abdalsalam Harun, 'iiran, qim, dar al kutub aleilmiati, 'iismaeilyan najfi.
- Aibn alqitaei:
 - 'Abniat al'asma' walmasadira, tahqiq 'Ahmad muhamad eabdaldayim, alqahirati, matbaeat dar al kutub almisriat, 1999m 1419h.
 - Iabn Alqawtiati, Al'afeali, tahqiq Ali Fudahi, alqahirat, aleudw alfaniyu lilthaqafat biwizarat almaearifi, maktabat alkhaniiji altabeat althaaniati, 1993m 1413h.
- Abn Malk, Sharah Altashila, tahqiq Abdalrahmin Alsayida, Muhamad Badawii Almakhtuna, dar hijr 1410h 1990m.
- Abn muhamad Maesum Alhusaynii Almaeruf bi abn maesum almadanii, Altiraz Al'awal, tahqiqu muasasat al albayt li'iihya' altarathu, qadam lah eali alshahristani, al'urdun, muasasat al albayt li'iihya' altarathi.
- Abn Manzur, lisan Alearabi, dar sadir.
- Abn Yaeish, Sharah Almfssl, tahqiq Abdallatif Alkhatib, maktabat dar aleurubati, 1435h 1014m.

- 'Abu bakr alzubaydi, Mukhtasar Aleayn, tahqiq Nur Hamid Alshaadhli, bayrut, ealim alkitab, 1417h 1996m.
- Abu Alhasan Alsakhawi, Safar alsaeadat wasafir al'iifadati, tahqiq Muhamad 'Ahmad Aldaali, dimashqa, matbueat majmae allughat alearabiat, 1403h 1983m.
- Abu Hyyan Al'andalsi:
 - Artishaf aldarb min lisan alearabi, tahqiq rajab euthman altayib, alqahirati, maktabat alkhajji, 1418h 1998m.
 - Albahr almuhiya, tahqiq sidqi muhamad jamil, bayrut, dar alfikri, 1420h.
- Abu Aaeid Alsiyafi, Sharh kitab sibwihi, tahqiq 'Ahmad Hasan Mahdali waeali sayid eulay, makat almukaramati, tawzie maktabat eabaas 'amhad albazi, 1429h 2008m.
- Abu aleabaas 'Ahmad bin Yahyaa «thaelabi», Majalis Thaelabi, tahqiq eabdalsalam harun, alqahirati, dar almaearifi, t 6.
- Abu eubayd albakri, Allaly fi Sharh 'amali alqali, tahqiq Abd Aleaziz Almimani, bayrut, dar alkitab aleilmiati .
- Abu Ubayd Alqasim Bin Salam:
 - Gharib Alhadith, tahqiq Muhamad Abd almueid khan, haydar abad, matbaeat dayirat almaearif aleuthmaniati, 1384h 1964m.
 - Algharayb Almsnnf, tahqiq Safwan Adnan Dawudi, dimashqa -birut, dar alfayha', 1426h 2006m.
- Abu Aly Alqali, Albarie fi allughati, tahqiq hashim alteeen, bibaghdad, maktabat alnahdat, wabayrut, dar alhadarat alearabiat, 1975m 1395h.
- 'Abu Eamrw Alshaybani, Ajim, tahqiq 'Ibrahim al'abyarii wamuhamad khalf allah 'ahmadu, alqahirat, 1394h.



- Ahmad Rida, Qamus rd Aleamiyi 'Ilaa Alfasihi, bayrut, dar alraayid alearabii, 1401h 1981m.
- Al'azhari, Tahdhib allughati, tahqiq Abdalsalam harun wakhrin, alqahirat, aldaar almisriat liltaalif waltarjamatu, 1384h.
- 'Ismaeil Amayrath, nawafidh ealaa almanhajiat waaltaseel Almajmy, Amman, al'urduni, dar wayil lilynashri, 1436h 2015m.
- Ismaeil Aimayrah and Salah 'Ahmad Saeid, Radu alrubaei almabdu' bialeayn 'iilaa 'aslih althalathii: dirasat tasiliat fi daw' fiqh allughat alwasfi waltaarikhiu walmuqarani, bahath saghir manshur dimn kitabi: i'ismaeil eumirat, nawafidh ealaa almanhajiat.
- Al'asfahani, Almajmue Almughayath fi Gharib Alhadithi, tahqiq Abdalkarim Aleizbawi, makat almukaramat, manshurat markaz albahth aleilmii bijamieat am alquraa, 1406h.
- Tmmam Hssan, Allughat Alearabiat Aaenaha wamabnaha, alqahirat, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, 1405h 1985m.
- Althamanini, Sharah Altasrifi, tahqiq 'Ibrahim Ilbaeimi, alriyad, maktabat alrushdi, 1419h 1999m.
- Aljawhari, Alsahah, tahqiq 'Ahmad Abdalghufur Attar, bayrut, dar aleilm lilmalayini, t. 2, 1399h 1979m.
- Hasan bin eabdalmuneim aleufi, Altamyim fi alearabiat wamuqaranatih bibaed allughat alsamiati, 1441h.
- Khalid Al'azhari, Altasrih bimadmun altawdihi, tahqiq eabdalfataah buhayri 'iibrahim, alqahirati, alzahra' lil'iiealam alearabii, 1413h.
- Alkhalil, Aleayn, tahqiq Mahdii Almakhzumii and 'Ibrahim Alsaamaraayiy, bayrut, muasasat al'aelaa lilmatlueati, 1408h 1988m.

- Alraazi, Mukhtar Alsahihlilraazi, tahqiq Yusif Alshaykh Muhammad, bayrut, almaktabat aleasriati- aldaar alnamudhajiati, t 5, 1420h 1999m.
- Alradi, Sharh shafiat aibn alhajib, tahqiq Muhammad nur Alhasan wamuhamad alzafzaf wamuhamad muhyi aldiyn eabdalhamid, bayrut, dar alkutub aleilmiati, 1402h 1982m.
- Ramadan Abdaltawabi, Fusul fi Fiqh allughati, alqahirati, maktabat alkhani, t. 6, 1420h 1999m.
- Alzamakhshari:
 - 'Asas albalaghati, tahqiq eabdalrahim mahmud, bayrut, Dar Almaerifati, 1402h.
 - Alfayiq fi Gharayb Alhadithi, tahqiq Aali Muhammad Albijawi wamuhamad 'abu alfadl 'Ibrahim, dar alfikri, t.3, 1399h 1979m.
- Salim Alkhamashi, 'Ausul aljudhur alrubaeiat fi lisan allearabi, jamieat almalik eabdialeaziz, markaz alnashr aleilmi, 1427h.
- Sibwyhi, Alkitabi, tahqiq Abdalsalam Harun, ealim alkutub, t.3, 1403h 1983m.
- Alsuyuti, Almuzhar fi Olum Allughat wa'anwaeuha, tahqiq muhamad 'ahmad jad alhaq waeali albijawi wamuhamad 'abu alfadl 'iibrahim, bayrut, dar alfikri.
- Alshaatibi, Almaqasid Alshaafiat fi Sharh alkhulasat alkafiat Ibn Malik, tahqiq A group of researchers, makat almukaramati, maehad albuuth aleilmiat wa'iihya' alturath al'iislamii bijamieat 'umi alquraa, 1428h 2007m.
- Alshihab alkhafajii, Einayt Alqadia Wkifayt Alrradia ealaa Tafsir Albaydaww (hashiat alshihab alkhafajii ealaa tafsir albaydawi), birut, dar sadr.
- Alsaahib bn Abbad, Almuhit fi Allughati, tahqiq Muhammad Husayn al yasin, birut, ealim alkutub, 1414h 1994m.
- Subhi Alsaaliha, Dirasat fi fiqh allughatu, bayrut, dar aleilm lilmalayini, 1369h 1960m.



- Alsahari, Al'iibanat fi allughat alearabiati, tahqiq eabdalkarim khalifat wakhrin, Oman, masqat, wizarat alturath alqawmii walthaqafati, 1419h 1999m.
- Alsaghaani, Altakmilat waldhayl walsilatu, tahqiq Abdialeazim altahawi, alqahirat, matbaeat dar alkutub, 1389h 1970m.
- Alsafadii, Tashih altashif watahrir altahrifi, tahqiq Alsayid alsharqawii, alqahirati, maktabat alkhajji, 1407h 987m.
- Abdalrazaaq Alsaai, Always altasrif (Looks at problem weights and formulas) bahath manshur fi majalat aldirasat allughawiati, almujaalad althaalith waleishruna, aleadad althaalitha, rajab –rmadan, 1442h 2021m.
- Abdalqahir Aljirjani, Almuqtasid fi Sharh altakmilati, tahqiq 'Ahmad Abdallah Alduwish, Riyadh, Publications of Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1428h.
- Abd allatif albaghdady, Dhayl alfasihi, sahaah wadabt alfazih waealaq hawashih Muhamad Badr Aldiyn alnuesanaa alhalbaa.
- Alghalayini, Jamie aldurus alearabiati, bayrut, almaktabat aleasriatu, 1406h.
- Alfiruzi, Alqamus Almuhi, bayrut, muasasat alrisalati, 1407h 1987m.
- Qasim Bin Thabit bin Hazm Aleufi Alsarqisti, Aldalayil fi gharayb alhadithi, tahqiq muhamad bin eabd allh alqanaasi, alriyad, maktabat aleabikan, 1422h 2001m.
- Kuraa Alnamla, Almuntakhab fi Gharayb Kalam Alearabi, tahqiq muhamad aleamri, makat almukaramatu, maehad albuqhuth aleilmiati, jamieat 'umi alquraa, 1409h.
- Almuqaradi, Almuqtadabu, tahqiq Muhamad Abdalkhaliq eadaymatu, birut, ealam alkitab.
- The Academy of the Arabic Language in Cairo, Issues 81 'ilaa 102.

- Muhamad eabdalqadir bafiqih wakhrin, Selections from the ancient Yemeni inscriptions, tunis, almunazamat alearabiat liltarbiat walthaqafat waleulumi, 1405h 1985m.
- Murtadaa Alzzabydy, Taj alearus, tahqiq A group of scholars, tabeat alkuayti, bayrut, dar alfikr, t.1, 1414 h.
- Almaeri, Risalat almalayikati, Muhamad Salim Aljundi, bayrut, dar alafaq aljadidati, t. 3, 1399h 1979m.
- Nashwan bin Saeid alhamiri, Shams Aleulum Wadawa' Kalam Alearab min alkumu, tahqiq husayn bin eabd allah aleumari wamutahar bin ealiin al'iiryanii, bayrut, dar alfikr almueasiri, wadimashqa, dar alfikri, 1420h 1999m.



الوحدات المعجمية العبارية

خصائصها وأصنافها

أ.د. عبد العزيز المسعودي

جامعة القصيم

(قدم للنشر في ١٤٤٤/٥/٢٦ هـ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٨/٢١ هـ ونشر في ١٤٤٥/٤/١ هـ)

ملخص البحث

يقترح البحث تعريف الوحدات المعجمية العبارية بصفاتها موضوع مجال فرعي من مجالات المعجم، كما يقترح مقاييس واضحة للتمييز بين أصنافها بعد الإحاطة بأبرز خصائصها الشكلية والدلالية، والسبب الداعي إلى توضيح المفاهيم وتمييز الأصناف هو ما لاحظناه من ندرة في دراسة هذا المبحث بالعربية، مع ما ترتب على ذلك من خلط في المفاهيم لدى بعض الباحثين بحكم تشابه المقولات وتضارب المصطلحات وقلة المراجع العلمية المختصة بالعربية.

وقد رأينا زيادة في توضيح مفهوم الوحدات العبارية أن نقدم أصناف الوحدات المعجمية عامة بدءاً من الوحدات البسيطة وصولاً إلى أكثرها تشعباً، وبحكم التقاطع بين المعجم العام والمعجم المختص أشرنا إلى بعض المفاهيم الأساسية في المجالين المصطلحي والمعجمي، وقد فعلنا كل ذلك حتى نقترح أصنافية واضحة

الحدود، شاملة لوحدات المعجم العام والمعجم المختص مع التركيز أساساً على
الوحدات العبارية وأصنافها الفرعية، وهي المتلازمات اللفظية والعبارات
الخاصة والعبارات المثلّية والعبارات التداولية.

الكلمات المفتاحية:

الأصنافيّة، العبارية، المتلازمات اللفظية، العبارات الخاصة، العبارات التداولية.

Phraseological Items in Arabic: Characterization and Typology

Prof. Abdelaziz Messaoudi

Qassim University

Abstract:

We suggest a brief study of phraseological units as a sub-field of lexicon and establish clear-cut outlines between their sub-categories, after defining them and taking note of their most prominent formal and semantic characteristics. The reasons for clarifying concepts and distinguishing types of phraseological items are the scarcity we have observed in studying this linguistic data in Arabic, the consequent confusion of concepts among some researchers, the conflicting translation of linguistic terms and the lack of scientific reference in Arabic.

For further clarification of the concept of phraseological units, we introduced simple and complex lexical items. And due to the intersection between the dictionary of general language and the dictionary of specific terms, we referred to the deficit of basic concepts in the terminological and lexical fields. We have done all this so that we propose a clear taxonomy for the phraseological domain with fourfold components: collocations, idioms, proverbs and pragmatic idioms.

Keywords:

Typology, idioms, Phraseology, collocation, set expressions, pragmatic idioms.

١ - مقدمة البحث

وحدة الوصف المعجمي - كما استقر في البحث اللساني - ليست الكلمة ولا المفردة وإنما الوحدة المعجمية؛ لأنّ المعجم لا يتكوّن من مفردات غير قابلة للتحليل التركيبي، مثل: قلم وجسر ورجل، وإنما يتكوّن أيضاً من وحدات مركبة، مثل: القلم الفحمي والجسر الجوي ورجل المطافي، ويتكوّن من تجمّعات أكبر منتظمة في شكل سلاسل من المفردات المتضامّة المتلازمة التي تقوم بدور الوحدة المعجمية، فهي من الناحية اللفظية تتصاحب في الاستعمال وتُخزّن في الذاكرة مجتمعة، ومن ثمّ يكون استحضارها عند الحاجة، مثل: عبارة بلسان القلم، وزاد الطين بلة، وفي الاتحاد قوة.. وهذا الصنف من الوحدات المعجمية متنوع من حيث درجات تشعبه تركيبياً ودلالياً، ومن حيث الانتماء المقولي لمكوّناته المعجمية ومركّباته النحوية، بل إنّ بعض هذه التجمّعات لا ينتمي إلى مقولة تركيبية نظامية، مثل: عبارة أما بعد، وعبارة فيها ونعمت، ويضطلع مع ذلك بوظيفة تداولية يحددها السياق النصي ومقام التلفظ.

هذا النوع من التجمّعات المعجمية مهمّ نوعياً من حيث وظائفه الدلالية والتداولية. ومهمّ كمياً لأنّه يمثّل قرابة ربع الرصيد المعجمي حسب بعض الإحصاءات المختبرية^(١)، وهو أيضاً مهمّ استراتيجياً للنمذجة اللسانية^(٢) ولستقبل الذكاء الاصطناعيّ والمعالجة الآلية للغات الطبيعية، سيما بعد أن شكّل عقبة كأداء أمام هذا الضرب من المشاريع العلمية منذ بدايات النصف الثاني من القرن العشرين.

(١) المقصود هو المختبر الفرنسي بسان كلود (Saint- Cloud (Mejri, S.1997

(٢) شكّلت العبارات الخاصّة والمتلازمات اللفظية مشكلة حقيقية لمناويل النحو التوليدي فلم تقدّم لها حلولاً تمثيلية.



لقد أصبح هذا الصنف من المادة المعجمية يستقطب اهتمام الباحثين العرب مؤخراً، لكن تحديات كبيرة واجهت بحوثهم وما زالت تواجهها، وفي صدارة هذه التحديات الفوضى المصطلحية والضبابية المفهومية الغالبة على بعض البحوث في مجال العربية. فمصطلح التلازم^(١) على سبيل المثال يُستعمل بمفهوم مضيق يقابل المصطلح الأجنبي collocation ويُستعمل بمفهوم أعمّ فيشمل العبارات الخاصة idioms والعبارات المثلية ويصبح مرادفاً للعبارية Phraseology أو لمفهوم التكلس المعجمي عامة^(٢).

ولهذه الأسباب تبدو الحاجة ملحة إلى درس ظاهرة التكلس المعجمي وضبط المفاهيم الأساسية المرتبطة بها، ووضع أصنافية شاملة للوحدات المعجمية على اختلاف خصائصها الشكلية والدلالية؛ لأنّ دقة المصطلحات ووضوح الجهاز المفهومي ضروريان للتقدم في هذا المبحث المعجمي الذي لا ينفك يثير فضول اللسانيين، ويبشّر بفتح آفاق رحبة أمام مجالات علمية طموحة تنتمي إلى هندسة اللغة والمعالجة الآلية للغات الطبيعية.

ويقتضي اقتراح أصنافية شاملة لعناصر المعجم التمييز بين الوحدات المعجمية والوحدات المصطلحية، وبين البسيط منهما والمتشعب، وتحديد أصناف التجمعات المتكلسة باعتبارها مادة معجمية متنوعة الخصائص والوظائف ما انفكت تشدّ اهتمام المختصين في اللسانيات الحاسوبية والترجمة المدعومة بالحاسوب، بل أصبحت هذه المادة المعجمية - بحكم أهميتها - تشكل موضوع

(١) من الباحثين من يستعمل مصطلحات أخرى إلى جانب التلازم منها التصاحب والتوارد والتضام... وهذا قد يخلق تشويشاً في الأذهان سيما عند عدم ذكر المقابل الأعجمي.

(٢) التكلس المعجمي مسار تتحوّل بموجبه سلسلة متعاقبة من المفردات إلى تركيب متضام العناصر إذا حذفنا مكوناً من مكوناته أو تصرفنا فيه بالتحويل أو الاستبدال شدّ بناؤه وفقد معناه العرفي الإجمالي. وقد خصّصنا بحثاً مستقلاً للتكلس المعجمي وهو قيد الإعداد للنشر.

تخصّص قائم بذاته هو العباريّة أو علم العبارات phraseology/ phraseologie ، وهو تخصّص يدرّس المتلازمات والعبارات الخاصّة والأمثال والأقوال المأثورة (Jafarova, 2016).

وقد ظهر مصطلح العباريّة «فرازيولوجيا» في بداية القرن العشرين مع عالم اللسان السويسريّ شارل بالي Bally ، ثم أصبحت العباريّة موضوعاً لسانياً قائماً بذاته في اللسانيّات الروسيّة مع بوليفانوف (Polivanov, 1931) ، وفي أواخر القرن العشرين ظهرت الجمعيّة الأوروبيّة للعباريّة (EUROPHRAS Arsenteva, 2014) وتكفّلت بتنسيق أعمال الباحثين في هذا المجال.

ويقتضي التصنيف المقولي للوحدات المعجميّة الانطلاق من مفهوم الوظيفة المعجميّة^(١)، وهو في تقديرنا مقياس تصنيفيّ عامّ تتوزّع في ضوئه عناصر المعجم أيّاً كان نوعها على وظيفتين أساسيتين هما الوظيفة الإحاليّة والوظيفة التعبيريّة:

المقصود بالوظيفة الإحاليّة إحالة الوحدة المعجميّة في إطار المعجم اللغوي العامّ على شيء أو مفهوم ينتمي إلى الاستعمال الجاري، كما تعني أيضاً إحالة الوحدة المصطلحيّة في إطار المعجم الخاص على شيء أو مفهوم ينتمي إلى مجال نشاط معيّن، مثل: الطب أو الزراعة أو الفلسفة... وتكون الوحدات المعجميّة بسيطة (جسر)، أو مركّبة (جسر جوي)، أو متشعّبة (ماسحة زجاج النافذة) وتكون الوحدات المصطلحيّة كذلك بسيطة (أكسجين)، أو مركّبة (غاز السارين)، أو متشعّبة (ثاني أكسيد الكربون). وكلّ هذه الوحدات المعجميّة والمصطلحيّة على اختلاف درجات تركيبها وظيفتها الأساسيّة تسميّة^(٢) الأشياء والمفاهيم سواء انتمت إلى المعجم العامّ أو المعجم المختصّ.

(١) مفهوم الوظيفة المعجميّة مفهوم عامّ ميّزنا في ضوئه بين التعبيريّة والإحاليّة ولا علاقة له بالوظائف المعجميّة عند إيغور مالتشوك.

(٢) التسمية: مسار تصبّح بموجبه الأسماء خاصّة بالمراجع.



تقترن الوظيفة التعبيرية باستعمال المتلازمات اللفظية والعبارات الخاصة والأمثال السائرة، وهو استعمال لا تغيب منه الإحالة على مفهوم معين، غير أن المتكلم يفضل هذا النوع من العبارات على الوحدات المعجمية العادية سعياً إلى التأثير في المتلقي. فإذا قارنا صاح برفع عقيرته وجدنا في الاختيار الثاني شحنة تعبيرية و طاقة تأثيرية لا تتوفر في الاختيار الأول، وكذلك الشأن في أهمله وضرب به عرض الحائط، وفي جميعهم وعلى بكرة أبيهم... ومصدر التعبيرية في هذه التجمعات المعجمية هو الإطناب و ثراء الصورة وخروجها عن المألوف؛ ورغم الاستعمال المتكرر الذي يرسخ العبارة في العرف اللغوي فإنه لا يفضي بها ضرورة^(١) إلى الابتذال، بل قد يثبتها في الرصيد اللغوي مظهرًا من مظاهر الفصاحة والبلاغة وعلامة على التمكن من الرصيد المعجمي، وهذا أمر تسهل ملاحظته أثناء تعلم اللغات الأجنبية^(٢).

٢- أصناف العبارات:

العبارات أو الوحدات العبارية unités phraséologiques أو phraseme تجمعات «تركيبية جاهزة قد تواتر استعمالها منذ أجيال»^(٣) [...] حتى تجمدت أو تكلست

- (١) متى تبتدل العبارات وتصبح كليشيهات؟ هذا موضوع جدير ببحث مستقل.
- (٢) نحيل في هذا الصدد على حادثة عاشها الدكتور إبراهيم السامرائي مفادها أن طالبًا ناطقًا بغير العربية سأل عن عبارة تدهور الوضع الأمني بعد أن بحث في المعجم ووجد تدهور الحجر سقط من الأعلى، فلم يساعده المعجم على فهم المقصود، فقال له إبراهيم السامرائي: هذه لغة جديدة. راجع: إبراهيم السامرائي، مع المصادر في اللغة والأدب، ج٢؛ وفي هذه الحادثة دليل على أن التمكن من معجم لغة من اللغات لا يكتمل إلا بمعرفة استعمال عباراتها، وأن معاجمنا الحديثة مقصرة في جمعها.
- (٣) العبارات جزء متجدد من الرصيد المعجمي شأنها شأن المفردات لذلك نلاحظ دومًا ظهور متلازمات وعبارات جديدة من قبيل جسر جوي ومظلة صاروخية وأعطاه الضوء الأخضر...

أو تلازمت عناصرها فصارت بتلازمها وحدات معجمية»^(١)؛ لذلك يمكن أن نوافق إبراهيم بن مراد في استعمال مصطلح «الوحدات المعجمية العبارية»؛ لأنها فعلاً صنف من الوحدات المكونة للمعجم وإن اضطلعت أساساً بوظيفة تعبيرية. ويشكّل هذا الصنف من الوحدات موضوع علم العبارات Phraseology، وهو تخصص دقيق يُدرّس في بعض الجامعات الغربية باعتباره فرعاً من فروع العلوم المعجمية، ويُدرّس في جامعات أخرى بالتوازي مع تخصص الترجمة أو اللسانيات الحاسوبية بحكم ما أضحى تتطلبه اللسانيات التطبيقية من تضافر بين التخصصات المختلفة.

والوحدات العبارية أربعة أصناف كبرى، هي: المتلازمات اللفظية والعبارات الخاصة والعبارات المثلية والعبارات التداولية، وفي ما يلي نعرضها تباعاً، ونتعرّف على أصنافها الفرعية ثم نبين خصائصها المشتركة وخصائصها التمييزية.

٢-١- المتلازمات اللفظية:

وُلدت المتلازمات اللفظية مرتين (Alonso & alii, 2017) الأولى مع بالمر (Palmer, 1933) في مقارنته الوظيفية التي أثّرت في هورنباي Hornby فأولاهها اهتماماً واضحاً في المعجم الإنجليزي الشهير Oxford Advanced Learner's، كما كان لمقاربة بالمر تأثير في دراسة المتلازمات اللفظية في الألمانية مع هوسمان (Hausmann, 1985)، وفي الروسية مع إيقور مالتشوك (Mel čuk, 1996).

أما الولادة الثانية فكانت سياقية مع فيرث (Firth, 1957) في دراسته الرائدة التي قال فيها «عليك أن تحكم على الكلمة بالمُصاحبات التي تلازمها في السياق»، وكان لآرائه التأسيسية أثر كبير في سانكلير Sinclair فطوّر ما أسسه فيرث عبر

(١) إبراهيم بن مراد، من المعجم إلى القاموس، فصل «الوحدة المعجمية بين الأفراد والتضام والتلازم»، ص ٤٧.

التقنيات الحاسوبية التي عالج بها مدونة لغوية إنجليزية كان من بين ثمارها المعجم السياقي الإنجليزي COLLINS COBUILD.

أما في مستوى الخلفيات النظرية فقد كانت لسانكثير إضافات وتصورات مهمة (Sinclair, 1991: 110) من بينها أن الإنتاج اللغوي يشتغل بمبدأين: مبدأ الاختيار المفتوح وهو المدروس في المناويل النحوية المعروفة مثل المناويل التوليدية، ومبدأ التعبير الخاص idiomaticity القائم على الاختيار الأحادي المقيد والمتمثل في استعمال عبارات وجمل شبه جاهزة ومتلازمات، وفي هذا السياق عرّف التلازم^(١) باعتباره توارداً مرتفع التواتر لكلمتين أو أكثر.

ثم تطوّر درس المتلازمات في الإطار السياقي نفسه مع لoo (Louw, 1993) ثم ستابز (Stubbs, 1996, 2008) في نظرية التناغم الدلالي Semantic prosody فدرس دور التلازم في تغيير المعاني الإيحائية للكلمات وإكسابها قيماً سلبية أو إيجابية.

لقد أفرز هذا التنوع في المقاربات تعريفات كثيرة، لكنها متقاربة من حيث المضمون، لذلك اخترنا عينات منها تعريف هووي (Hoey, 2013) للتلازم بكونه نزوعاً شبه اعتباطي لتوارد مفردتين في السياق التركيبي لكل واحدة منهما، ومنها تعريف مالتشوك وبولفير (٢٠٠٦) للمتلازمات اللفظية الطرازية باعتبارها توليفة من الوحدات المعجمية تنظم في علاقة بقيود خاصة، وتتكوّن من أساس base يختاره المتكلم بحرية في ضوء ما يريد التعبير عنه، وملازم collocatif يختاره للتعبير عن معنى معين، مثل: كلمتي حجة ودامغة للتعبير عن وظيفة التكثيف. وفي ما يلي عبارات تأليفية تتكوّن من كلمتين أساس base وملازم collocatif (collocatif Mel'čuk, 2013) نضع تحته سطرًا لإبرازه، مثل: جرح بليغ ووجه تهمة. والعنصران المتلازمان يتردّان في الاستعمال إلى درجة أننا إذا سمعنا أحدهما استحضرنّا الآخر.

(1) A highly frequent co-occurrence (Sinclair, 2003).

وهو ما يمكن توضيحه من المركبات النعتية في إطار وظيفة التقوية Magn عند إيغور ملتشوك (Mel'čuk, 1982). فلو ذكرنا - على سبيل الاختبار- المنعوت أو الأساس فإن السامع سيستحضر النعت بصفة آلية والعكس بالعكس، وهذا ينسحب على: حباً + جمّاً، أمطار + غزيرة، رياح + عاتية، أضرار + جسيمة، نجاح + باهر، ارتفاع + شاق، فشل + ذريع... وسبب هذا الاستدعاء الفوري لأحد العنصرين هو تصاحبهما شبه الدائم في الخطاب وترابطهما في الذاكرة المعجمية، وهو ما تؤكده بعض المناويل العرفانية للمعجم الذهني مثل منوال الاستعداد المعجمي Lexical Priming عند هووي (Hoey, 2013).

هذا التعاضد بين الواقع النفسي الذي كشفت ملامحه مناويل الذهن، والعرف الاجتماعي ممثلاً في مأسسة هذه التجمعات اللغوية وتثبيتها في الاستعمال هو منشأ التصاحب شبه الدائم بين العناصر المتلازمة، وهو السبب الذي يمنعنا من التصرف في المتلازمات بتغيير خصائصها الانتقائية، فلا نقول مثلاً: #^(١) حباً باهراً، أو # نجاحاً جمّاً، أو # أمطار عاتية، أو # رياح غزيرة.. ورغم أن كل هذه المركبات سليمة نحوياً ويفهم منها معنى التكثيف والتشديد فإنها تعتبر غير مقبولة.

إن طبيعة التلازم اللفظي التي وضّحتها الأمثلة وأكّدها اختبارات التعويض تفصح عن أبرز خصائص المتلازمات اللفظية (Iman Farhan, 2019)، وهي:

الثبوت في مستوى الشكل وتكرارية الاستعمال التي تُرسخ المتوالية على صورة واحدة.

اعتباطية الوضع التي لا يمكن التكهن بها، والمقارنة بين المتلازمات المتكافئة في عدد من اللغات يوضح جيداً هذه الاعتباطية، مثلاً المطريكون غزيراً في العربية، وثقيلاً في الانجليزية Heavy rain، وقوياً في الفرنسية Pluie forte... والسؤال

(١) نستعمل بعد مالتشوك هذا الرمز # للتعبير عن اللحن الدلالي.



يُطرح في العربية فنقول: طرح سؤالاً، و«يوضَع» في الفرنسية un فيقولون e question Poser، و«يُعطى» في الروسية задать вопрос، و«يُعمل أو يُصنع» في الإيطالية Fare una questione ...

التأليفية: ظهر مبدأ التأليفية Compositionality في فلسفة اللغة عند فريغة، Frege ومفاده أن معنى العبارة المركبة يتحدّد بمعاني مكوناتها وبالقواعد التركيبية التي تؤلّف عناصرها، وهو عنده مختلف عن مبدأ السياقية contextualism الذي عبّر عنه بالقول: لا تسأل أبداً عن معنى الكلمة معزولة وإنما عن معناها في سياق الجملة (Janssen, 2001). ويقترح مالتشوك (٢٠١٣) هذه الصيغة المُرِيضة لمبدأ التأليفية:

«يكون المركب أب تأليفاً إذا وفقط إذا كان أب = أ + ب»

أي إن معنى المركب هو حسيطة معاني مكوناته. والمحتوى الدلالي في هذه الحالة يتصف بالشفافية وهي من أبرز السمات التي تختص بها المتلازمات اللفظية.

٢-١-١- أصناف المتلازمات

المتلازمات اللفظية أنواع تقبل التصنيف حسب مقاييس مختلفة مقولية ودلالية. مقولياً، يمكن تصنيف المتلازمات حسب الانتماء المقولي لرأس المركب إلى متلازمات اسمية، مثل: جمع غفير، وفعليّة وحرفيّة، مثل: على الريق، ومتلازمات فعليّة تكون عادة مبدوءة بفعل خفيف light verb ملازم للأساس الاسمي، مثل: ألقى محاضرة وقام بجولة، وهذا الصنف من الأفعال غير حملي، أي لا يعبر عن معنى الحدث، لأنّ الحدث موجود في الاسم الواقع مفعولاً، وهذا ما يوضّحه إجراء التحويل في (١):

(١) أ- ألقى محاضرة ← حاضَرَ

ب- قام بجولة ← تجوّل

الحدث في (أ) هو المحاضرة وليس الإلقاء، وفي (ب) هو الجولة وليس القيام، وهو ما يعني أنّ الاسم الحُمليّ يمثل الثقل الدلاليّ في الجملة، أمّا الفعل فمفرغ من الدلالة الحديثة، لكنّه حامل لسائر مقولات الفعل الأخرى؛ لذلك سمّوه فعلاً خفيفاً أو عماداً. واللافت للنظر أنّ هذا النوع من المركبات الفعلية موجود في العربية الفصيحة القديمة ومن العبارات التي شاعت قديماً وما زالت شائعة قولهم: اقترف ذنباً وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأبرم العقد^(١)، قد أصبح هذا التركيب شائعاً في العربية الحديثة. والسبب المباشر لشيوعه - في تقديرنا - هو احتكاك العربية باللغات الأجنبية. لكنّ وجود هذا التركيب في جلّ لغات العالم، ورّبما فيها كلّها، يجعله جزءاً من النحو الكوفي، ويجعل دراسته مفيدة من حيث التركيب والدلالة ومن حيث علاقته بظواهر تطويرية مثل الإنحاء^(٢). وهذا الموقف الموضوعيّ نفّضه على تجاهل العبارات التي يتصدرها فعل خفيف واعتبارها ضرباً من التراكيب غير الفصيحة.

مقولياً أيضاً يمكن تصنيف المتلازمات اللفظية حسب المقولة التركيبية التي تنتمي إليها المتلازمة. ونعني بالمقولات التركيبية المركب بالنعته أو بالإضافة أو بالعطف أو بالجر إلخ، وهذا الاختلاف المقولي واضح في مثل: هزيمة نكراء، ومركز أبحاث، وقلباً وقالباً، وفي لمح البصر.

من بين التصنيفات المهمّة - في هذا السياق - نشير إلى مقترح كوروساكي (Korosaki, 2012) وتمييزه بين المتلازمات المعجمية collocations والمتلازمات

(١) جاء في لسان العرب النقض: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، وفي الصحاح: النّقضُ نقضُ البناء والحبل والعهد.

(٢) اعتبرنا الأفعال الخفيفة نوعاً من الأفعال الناقصة وقدمنا الأدلة الاختبارية على ذلك. للتوسع في موضوع إنحاء الأفعال الخفيفة في العربية انظر: عبد العزيز المسعودي، التطور اللغوي بين المعجم والنحو، بحث لساني في ظاهرة الإنحاء، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، سلسلة دراسات عدد: ١٥، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م، ص ٩٩-١٠٤.



النحويّة وهو في الحقيقة صدى لثنائية التلازم والتضامّ colligation عند فيرث Firth (١٩٦٨: ١٨١)، ثم سائكليز (Leheka, 2015: 13 Sinclair 1998: 13)، الصنف الأول يقوم على التجاذب بين عنصرين معجميين، والثاني يقوم على التضامّ بين مقولتين نحويّتين أو بين عنصر نحويّ وعنصر معجميّ، مثل: **رغب عن ورغب في.. ولا يشقّ له غبار** حيث تتصدّر مقولة النفي الجملة ولا يجوز فيها الإثبات والقول: **فلان يُشقّ له غبار**.

ويمكن أن نعدّ من التضامّ أيضاً مركّبات الربط المحقّقة لاتساق الجمل داخل النص، وهي قوالب نحوية مثل: **إمّا... وإمّا، ما إن... حتى، من ناحية... ومن ناحية أخرى... ومثل: الحرف أنّ الذي يتضامّ مع فعل أو عبارة تفيد جهة الواجب، أو تعبر عن قيمة الضرورة، مثل: علم / وجد / من الثابت /.. أنّ، والحرف أنّ الذي يتضامّ مع فعل أو عبارة تفيد جهة غير الواجب أو تعبر عن قيمة الإمكان أريد / أرجو / يحسن / من المحتمل /.. أنّ^(١).**

غير أنّ التمييز بين النحويّ والمعجميّ يظلّ تمييزاً تقريبياً بحكم ما يوجد من استرسال بينهما. فهل نلحق بالتلازم المعجميّ الإتياع وهو حسب القدامى «أنّ تتبع الكلمة الكلمة على وزنها، أو رويها إشباعاً وتوكيداً»^(٢) مثل **حسن بسن** و **شيطان ليطان** و **عفريت نفريت**. فنعتبر الإتياع تلازماً معجمياً، لأنّه يتكوّن من كلمتين تشتركان في الوزن والقافية، أو يجوز إلحاقه بالتلازم النحويّ، لأنّنا إذا نظرنا في محتوى الكلمة الثانية مثل **بسّن** و **ليطان** وجدناها مفرغة من المعنى المعجميّ، لأنهم جاؤوا بها للتقوية اللفظية لا غير، فهي ضرب من التوكيد اللفظي.

(١) عبد العزيز المسعودي، المعاني الجهيّة والمظهرية، بحث لساني في المقولة الدلالية، سوسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م، الفصل الثاني.

(٢) السيوطي، المزهرة ٨٢٣/١.

يمكن أيضاً التفكير في تصنيف وظيفي للمتلازمات يميز بين الاستعمال الأسلوبي والاستعمال التداولي. ونعني بالأول اختيار المتلازمات بحثاً عن قوة تعبيرية لا توفرها التراكيب الحرة والتعابير العادية، وهذا هو الغرض من استعمال عبارة بحذفه بدلاً من بأكمله، والقليل والقال بدلاً من الإشاعات، وطرح سؤالاً بدلاً من سؤال، ونعني بالاستعمال التداولي ما يسميه البعض العبارات السياقية أو التداولية Pragmatème، وهي عبارات «مقيّدة بسياق الاستعمال» (Mel čuk, 2013)، ترد في سياقات نصية ومقامية مخصوصة، مثل تحية الصباح: صباح الخير، وحجاً مبروراً للتهنئة بأداء الفريضة، وممنوع الوقوف مكتوبة في مكان غير مناسب لوقوف العربات، وهكذا.

المتلازمات اللفظية إذن، تجمعات معجمية تتجاذب عناصرها المعجمية أو النحوية، فتصاحب حاملة معنى تأليفيّاً شفافاً، وتتواتر في الاستعمال لاعتبارات دلالية تسعى إلى تجاوز أساليب التعبير العادية بتقوية المعنى وتأكيده، أو لاعتبارات تداولية يفرضها المقام. ولهذه الأسباب الوظيفية والبنوية تنوّعت أصنافها.

٢-٢- العبارات الخاصة

العبارة الخاصة أو العبارة الاصطلاحية هي المقابل العربي للمصطلح الأعجمي idiom المشتق من الجذر اليوناني idios بمعنى «الخاص»؛ وهو فعلاً نوع خاص من المركّبات المعجمية لعدة أسباب نوّضحها في ما يلي:

- تشكّل العبارات الخاصة لغزاً ما انفكّ يثير فضول الدارسين بحكم خروجه عن المألوف من وجوه عدّة، أولها عدم التأليفية أي إنّ المعنى الإجمالي للعبارة لا يمثل حصيلة حسابية لمعاني الكلمات التي تتكوّن منها، بل إنّ «المعنى الإجمالي للعبارة يختلف أو يفوق مجموع معاني مكوناتها» (Roos, 1989)، ويظهر الاختلاف في عبارات من قبيل حبّ الملوك والفضول السوداني... أما تفوّق المعنى الإجمالي على التأليفي فيكون من حيث السمات الدلالية،



مثلاً المنزل الريفي ليس منزلاً في الريف فحسب، وإنما هو منزل فاخر في مزرعة كبيرة معدّ لقضاء الإجازات وممارسة الرياضات... وهذه العلاقة الخاصة بين الدال والمدلول تجعل معنى العبارات الاصطلاحية معتمّاً ولو جزئياً، ويفتح الباب أمام التأويلات والاجتهادات التي لا يخلو بعضها من التكلف سيما إذا تعلّق الأمر بعبارات قديمة. هذا هو الرأي السائد لدى جمهور اللسانيين لكن للعرفانيين رأي آخر يرى أن جلّ العبارات الاصطلاحية قابل للتعليل في ضوء الاستعارة والمجاز (Delibegović & Berberović – 2020)

- يثير التعقيم الدلاليّ تساؤلات حول مصدر العبارات الخاصّة وظروف نشأتها الغامضة، والطابع اللامنطقيّ للعلاقة بين تركيبها اللفظي ومدلولها الإجماليّ.
- تظلّ العبارات الخاصّة قاسماً مشتركاً بين اللغات الطبيعيّة تعكس خصوصيّاتها الثقافيّة، فكلّ لسان له عباراته الخاصّة من حيث التركيب والمعنى والأسلوب البلاغيّ؛ لذلك لا تقبل هذه العبارات الترجمة الحرفيّة كما تقبلها الأمثال «نتيجة الخصوصية الدلالية المغلّبة على العبارة مثل حنكته التجارب أي أحكمته»^(١).
- تمثل العبارات الخاصّة عقبة كأداء أمام المترجمين ومتعلّمي اللغات الأجنبيّة أيضاً. في المقابل يكتسب السليقيّ جملة من المعارف التي تمكّنه من فهم العبارات الخاصّة واستعمالها بصفة طبيعيّة. وهذا الغز آخر يحتاج إلى بحوث نفسيّة معمّقة.

(١) إبراهيم بن مراد، من المعجم إلى القاموس، فصل «الوحدة المعجمية بين الأفراد والتضام والتلازم»، ص ٣٥-٥٠.

نتبين من الملاحظات السابقة أنّ هذا الصنف من العبارات خاصّ بلسان معيّن يحيل على وحدة دلالية إجمالية تكون في الغالب ذات مدلول مجازي معتمّ مختلف عن المدلول الحرفي للمفردات التي تكونها؛ وهذه الخصائص تترتب عليها صعوبات تتعلّق بتحليلها، وتصنيفها، وتعلّمها، وترجمتها، ومعالجتها حوسبياً في مناويل نحويّة ومعجميّة ذات مطامح تفسيرية.

لقد تجاهل النحو التوليديّ المعجم في منوال البنى التركيبية (١٩٥٧)، ثم حاول تدارك ذلك تدريجياً بدءاً من منوال المظاهر (١٩٦٥)، لكنّه ظلّ يتعامل مع المعجم باعتباره خزاناً للمفردات، ولم يأخذ في الحسبان العبارات غير التأليفية، وعدّ ذلك ثغرة كبرى في ما تمّ اقتراحه من مناويل نحويّة.

وأول دراسة توليدية لفتت الانتباه إلى ظاهرة العبارات الخاصة كانت من خارج النحو التوليدي مع فيلمور وفريقه (Fillmore, & alii, 1988) في مقال تأسيسيّ ميّزوا فيه بين الاطراد والخصوصيّة في التراكيب النحويّة، وانتهوا بعد دراسة عبارات إنجليزية إلى وجود أجزاء حرّة في العبارات الخاصة، وهو أمر لا بد من أن يأخذه النحو والدلالة التوليديّين في الاعتبار، مثلاً إذا أخذنا من العربية عبارة **ضرب به عرض الحائط** وجدنا في التركيب أجزاء ثابتة لا تتغيّر هي: **ضرب ... بـ ... عرض الحائط** وأجزاء حرّة تتغيّر حسب السياق أي حسب اعتبارات دلالية وتداولية، وهذه الأجزاء غير الثابتة هي التي تحقّق اتساق النصّ وتُقجم العبارة في سياقها اللغويّ المباشر، وتبيح للمتكلّم أن يقول مثلاً: **ضربت به عرض الحائط**، ضربوا بها عرض الحائط، وضربا بهم عرض الحائط إلخ؛ وبناء على مثل هذه الملاحظات رأى فيلمور وفريقه أنّ المناويل النحويّة ذات الأهداف التفسيرية مطالبة بإقحام مبادئ دلالية وتداولية قادرة على تأويل العلاقة بين المعنى والتشكيلات اللغوية المتشعبة التي تتجاوز مستوى المفردات، وهي تشكيلات مرنة مُهيكلّة جيّداً ومنتجة لغوياً وليست متكلّسة كلياً.

مجمع الملك سلمان
العالمي للغة العربية

هذه المواد المعجمية المفترقة في كتب اللغة نراها قابلة للإلحاق بالعبارات الخاصة إذا رمنا توثيقاً لا يعتدّ بالفصل بين الاستعمالات القديمة والحديثة؛ لأنّ من هذه العبارات ما أصبح مهجوراً: مثل: قضّهم وقضّضهم، ومنها ما ظلّ مستعملاً إلى جانب عبارات خاصة جديدة، مثل: أعطاه الضوء الأخضر ووضعه على الرفّ.

٣-٢- العبارات المثليّة

المثل لغة هو الشبيه والنظير و«القالب الذي يُقدّر عليه مثله»^(١)، وهذا المفهوم اللغويّ يلخّص العلاقة بين المورد وهو الموقف الأصلي الذي قيل فيه المثل أوّل مرّة والمضرب وهو الموقف الذي يُشبهه ويكون حافزاً على استحضاره، والمثل اصطلاحاً: قول وجيز مأثور يتمثّل بما فيه من حكّم وحقائق عامّة ونصائح تلخّص تجارب الأجيال السابقة. ويمكن التوقف في الفقرات الآتية عند أبرز خصائص المثل الشكلية والدلالية والمرجعية:

تكون بنية المثل اللفظية في الغالب ثابتة لا تتغيّر، وهي لا تخلو غالباً من بعض الصور البلاغية والخصائص الإيقاعية مثل الاستعارة والمجاز والجناس والتقفية، وهي خصائص تسهّل حفظ الأمثال وتيسّر تداولها عبر الأجيال المتعاقبة؛ فتكوّن بمخزونها اللغويّ والمعرفي جزءاً من الرصيد الثقافي للشعوب يعبر عن حكمتها وقيمها وتجاربها في الوجود، والأمثال منها مرتبطة بحكاية تروي تفاصيل مضرب المثل أوّل مرّة، ومنها مجهول المصدر، وهي على العموم تحتاج خيال وعقل جمعيّين، مثل: الألغاز والنوادر والحكايات الشعبية.

هل يُعتبر المثل مقولة دلالية قائمة بذاتها أم هل هو عبارة متكلسة يمكن إلحاقها بالمعجم بصفاتها نوعاً من الوحدات المعجمية؟ يرى تورنييه (Tournier, 1988)

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١١/٦١٢.



أنَّ المثل صنف من الوحدات المعجمية بما أنَّه يعبر عن وحدة دلالية، وبما أنَّه ثابت لا تتغير مفرداته؛ فيحفظ مثل سائر الوحدات المعجمية. ويقدم تورنييه أدلة معجمية تدعمها تقاليد وضع المعاجم عندما تلحق ما شاع من الأمثال بالداخل الفرعية للمعاجم العامة، وتفرد لسائرها معاجم مختصة تستوعبها مع التعريف بمدلولها، وشروط استعمالها ومقام ضربها أول مرة.

علام يحيل المثل؟ يحيل المثل على المورد أي على موقف أصلي معروف؛ لذلك يقال عند ضرب المثل «مثله كمثل كذا...» ولعلَّ المثل من هذا المنظور يشبه الاسم العام عندما يحيل على جنس من الكائنات ولا يحيل على كيان بعينه، كما ذهب إلى ذلك جورج كليبار (Kleiber, 2010) عندما اعتبر المثل بمثابة اسم العلم لأنَّه علم لفظي يحيل على وضع عام يكون مثلاً يشبه به غيره. فالمثل ما كلَّ مرة تسلم الجرّة تسمية لوضع عام مفاده إخفاق المجازفة بعد أن حالها الحظ سابقاً، وقولهم الصيف ضيعت اللبن لكل إنسان يطلب شيئاً كان قد فرط فيه، وهكذا.

٢-٣-١- أصناف العبارات المثلية:

المثل والقول المأثور dicton والحكمة من المفاهيم التي تنتمي إلى جدول واحد. والمطلوب التمييز بين المثل والقول المأثور من ناحية وبين المثل والحكمة من ناحية ثانية: يرى البعض أنَّ القول المأثور هو المثل المحلي الخاص بمنطقة أو إقليم معين، غير أنَّه يبدو من الصعب أحياناً التمييز بين الإقليمي وغير الإقليمي. ولو فرضنا أننا استطعنا تحديد الانتماء الإقليمي للمثل فنحن في هذه الحالة سننسبه إلى جهة المنشأ فنقول هذا مثل شامي أو مغربي أو حجازي أو صعيدي إلخ؛ لذلك نميل إلى التعامل مع مصطلح القول المأثور باعتباره بديلاً لمصطلح المثل.

أما الحكمة فتتضح أبرز سماتها التعريفية بمقارنتها بسمات المثل كالآتي:

- الحكمة فكرة وجيزة تعبر عن مسلمة أو قاعدة أخلاقية أو سلوكية عامة. وهذا أيضاً ينسحب على الأمثال والأقوال المأثورة فجميعها معبر عن حكمة الشعوب.
- الحكمة قول مباشر يوجه نصيحة إلى المتلقي ناتجة عن تجربة، مثل قولهم: لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، وقد تكون هذه السمة بارزة في الحكمة لكنها حاضرة أيضاً في الأمثال.
- الحكمة في الغالب عبارة شفافة تخلو من الصور البلاغية، وهذا ينسحب أيضاً على طائفة واسعة من الأمثال المسماة حرفية، مثل قولهم: في الاتحاد قوة.

هذه السمات التعريفية ليست حاسمة في الفصل بين الحكمة والمثل؛ لأنها في مجملها سمات مشتركة، وإن كان بعضها أوضح في الحكمة، مثل: النصيح، لذلك لن يختلف الأمر كثيراً إذا صنّف بعضهم الحكم أمثالاً مادامت أقوالاً معبرة عن حكمة الشعوب، وهذا شأن عبارة في الاتحاد قوة فهي حكمة من ناحية كونها من المسلمات، وهي مثل من جهة تعبيرها عن حقيقة عامة. لهذا السبب نجد التعريفات الشائعة للمثل تتضمن معنى الحكمة والعكس بالعكس. فالمثل حسب الكاتب الإسباني سرفنتس Cervantes حكمة قصيرة تستند إلى تجربة طويلة، وهو في محصلة تعريفات كثيرة: «قول وجيز يعبر عن حكمة أو حقيقة عامة». فلما كانت الغاية جعل الحكمة بديهية لدى عامة الناس فقد التمييز بين الحكمة والمثل معناه.

وفي غياب مقاييس واضحة دقيقة تضبط الحدود بين المثل والحكمة والقول المأثور، رأينا الاقتصار على مصطلح العبارة المثلية إذ وجدنا فيه مفهوماً شاملاً كافياً للتعبير عن الوظيفة المعجمية لطائفة من الأقوال الوجيزة المعبرة عن الحكم والحقائق العامة.



وفي مستوى العلاقة بين اللفظ والمعنى يمكن التمييز بين العبارات المثلية الشفافة، مثل: في الاتحاد قوة، والعبارات المثلية الاستعارية والمجازية التي تقبل التحويل إلى عبارة شارحة غير معتمدة، وهذه خاصية تجعل العبارة المثلية قابلة للترجمة التقريبية (ج-د) أو الترجمة الحرفية التي تحافظ على الصورة البلاغية الأصلية (أ-ب)، وهذا ما توضحه ترجمة العبارة خطاف واحد لا يصنع الربيع في أربع لغات أوروبية:

(٢)

Une hirondelle ne fait pas le printemps	أ- الفرنسية
Una rondine non fa primavera	ب- الإيطالية
One swallow does not make a summer	ج- الإنجليزية
Eine Schwalbe macht keinen Sommer	د- الألمانية

تجدر الإشارة أخيراً إلى أنّ هذا الإجراء المتعلق بترجمة الأمثال يبدو متعذراً مع العبارات الخاصة، فلا يمكن ترجمة عبارة مثل: رفع عقيرته أو ضرب به عرض الحائط إلى لغة أخرى؛ لأنها عبارات خاصة باللغة العربية، ولا يمكن كذلك أن نعرب حرفياً العبارة الفرنسية casser sa pipe، أو الإنجليزية to kick the bucket إلا بعبارة مكافئة من قبيل قضى نحبه، والسبب في ذلك كونها عبارات خاصة بلسان معين لا تفصح عن حقائق كونية قابلة للترجمة كتلك التي يعبر عنها صنف الأمثال.

٤-٢- العبارات التداولية

العبارات التداولية^(١) pragmatèmes مصطلح اقترحه مالتشوك (١٩٩٥)، ثم ظهرت له بدائل في البحوث اللسانية منها العبارات الوظيفية Functional idioms، والعبارات الخاصة التداولية Pragmatic idioms، والقوالب الروتينية (Routine Formulae (Szeszunowicz, 2020).

(1) Pragmatic Phraseme

والعبارات التداولية من حيث المفهوم صنف من أصناف الوحدات العبارية، اقترح لها الدارسون تعريفات متقاربة فعرفها مالتشوك بكونها ملفوظاً يتشكل ويقتربن بسياقات حقيقية، أو هي «كليشيه» مقيّد بمقام عمل لغويّ (Catala, 2011: 137) (Mel' čuk, 2020:112)، وهي عبارة أو كلمة تكون ملفوظاً تاماً ذا مدلول مقيّد بالمقام التواصل الذي يستعمل فيه (Blanco, 2015 : 17)، أو هي عبارة عرفية مستعملة في سياقات متكررة (Szeszunowicz, 2020) مثل: عيد ميلاد سعيد، وكيف حالك، وعبارة التدخين مضر بالصحة على علبة سجائر... وحسب بلانكو يمكن أن تكون العبارة التداولية مختزلة في كلمة واحدة، مثل: ادفع أو اجذب في لافتة على باب محل تجاريّ، ومثل: شكراً ومرحباً، ومثل: قف في إشارة المرور إلخ. والخلاصة من التعريفات السابقة أن العبارة التداولية عبارة جاهزة من حيث بنيتها اللفظية وطبيعة العمل اللغوي الذي تنجزه.

٢-٤-١- أنواع العبارات التداولية

لقد شدّ تنوع العبارات التداولية اهتمام الدارسين فاقترحوا لها تصنيفات سريعة بناء على ملاحظات عامة حول ظهورها في الخطاب، فصنّفوها حسب المجال اللغوي الذي تنتمي إليه، مثل اللغة العامّة: صباح الخير وعيد ميلاد سعيد، أو اللغة الخاصّة، ومنها في مجال الأدوية عبارات: يُحفظ بعيداً عن متناول الأطفال، انظر النشرة الداخلية... ويمكن تصنيفها حسب مستوى التواصل إلى عبارات رسمية، مثل: تقبلوا فائق عبارات التقدير التي يمكن أن تقابلها في التواصل غير الرسمي في بعض الأوساط عبارة «باي».. ويعتبر البعض العبارات التقنية والقوالب الإدارية صنفاً خاصاً، مثل: إلى من يهمه الأمر وسلمت هذه الشهادة للإدلاء بها عند الحاجة، وكذلك العبارات التداولية الجغرافية التي تتنوع حسب تغير المكان أو الإقليم، مثل: مكان قضاء الحاجة يسمى دورة مياه أو تجميل أو حمام.



٣- التمييز بين أصناف العبارات

رصدنا في هذا البحث أربعة أصناف من العبارات المتكسّسة هي المتلازمات اللفظية والعبارات الخاصة والعبارات المثلية والعبارات التداولية، فعرفنا كل صنف وعدّدنا تفرعاته المحتملة سعياً إلى رسم الحدود بينها ورفع الالتباس والضبابية من الأذهان. وفي ما يلي ملخص للسّمات الدلالية والشكلية المشتركة بينها جميعاً أو بين البعض منها، والسّمات التي تميّز كل صنف؛ فتجعله مقولة قائمة بذاتها.

السمة الشكلية / الدلالية	١- المتلازمات اللفظية	٢- العبارات الخاصة	٣- العبارات المثلية	٤- العبارات التداولية
التكسّس	+	+	+	+
تعدّد المكونات	+	+	+	-/+
ج- التعبيرية	+	+	+	-
د- التكرارية	+	+	+	+
هـ- التأليفية	+	-	+	+
و- الشفافية	+	-	-/+	+
ز- التعبير عن حقيقة عامّة	-	-	+	-
هـ- القوة الإنجازية	-	-	-	+

تشترك الأصناف (١-٢-٣) في السّمات التعريفية التالية:

شكلياً: (أ) - التكسّس المعجمي أي ثبات الشكل وعدم قابلية التغيير (ب) -
سمة تعدّد المكونات.

دلاليّاً: (ج) التعبيرية والإحالة على وحدة دلالية.

تداوليّاً: (د) التكرارية أي التداول المتواتر في الاستعمال.

وتشترك المتلازمات اللفظية (١) والعبارات المثلية (٣) دلاليًا في سمتي التأليفية والشفافية (هـ - و)؛ فتتميزان عن العبارات الخاصة (٢ هـ و)، وقد غلبنا سمة الشفافية على الأمثال (٣ - و)؛ لأن الأمثال القائمة على صور بلاغية تقبل التحليل والتحويل إلى عبارة شفافة.

وتتفرد العبارات المثلية (٣) بالتعبير عن المسلمات والحقائق العامة (٣ - ز) فتختلف في مضمونها عن المتلازمات اللفظية والعبارات الخاصة. وتنفرد العبارات التداولية (٤) بالعمل الإنجازي أي العمل المتضمن في القول، وتشترك في جل الخصائص الشكلية مع سائر العبارات.

٤- أصنافية الوحدات المعجمية

انطلقت الأصنافية من مفهوم الوظيفية المعجمية فميزت بين وحدات وظيفية إحالية ووحدات وظيفية تعبيرية. الصنف الأول فرعناه إلى وحدات معجمية ووحدات مصطلحية وتداولية. والصنف الثاني فرعناه إلى متلازمات لفظية وعبارات خاصة وعبارات مثلية، وقد استعرضنا خصائص كل صنف من العبارات، وعددنا فروعه الممكنة حرصًا على التمييز الواضح بين المقولات المعجمية. وانهينا إلى أصنافية نزعناها شاملة لعناصر المعجم على اختلاف خصائصها التركيبية والدالية والتداولية.

وتجدر الإشارة إلى أن التمييز الوظيفي بين الإحالي والتعبري يظل نسبيًا؛ لأن الوحدات الإحالية تضطلع أيضًا بوظيفة تعبيرية، لكن التعبير فيها غايته التواصل في مستواه المحايد وليس غايته التأثير في المتلقي. والوحدات التعبيرية لا تنتفي منها الوظيفة الإحالية لأن كل عبارة تحيل بالضرورة على مفهوم لكن المتكلم يختارها قاصدًا التأثير في المتلقي، غير مكثف بمجرد الإبلاغ لأنه حاصل

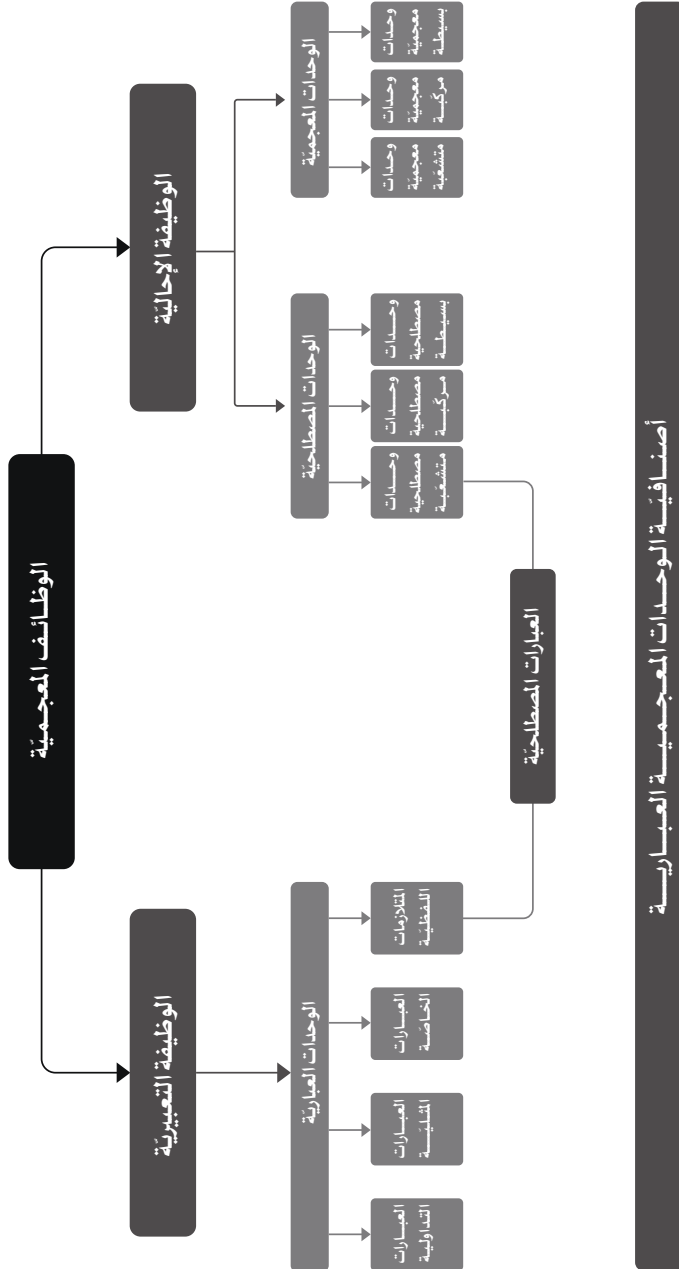


بطبعه. وبناء عليه يكون الطيفان الإحالي والتعبيري حاضرين في كلّ الأحوال وفي جميع الوحدات المعجمية العبارية، لكنّ حسب الوظيفة المعجمية يبرز أحد الطيفين في الواجهة ويرتدّ الثاني إلى الخلفية.

ولعلّ الوظيفتين الإحالية والتعبيرية تتعادلان في مستوى العبارات المصطلحية Phraséoterme التي أصبحت مجال بحث بيني تقاطع فيه المصطلحية Terminologie مع العبارية (Gouadec, 1994)، وبذلك تتوسط العبارات المصطلحية المسترسل الإحالي التعبيري بما أنّها متلازمات لفظية شفافة ذات قيمة مصطلحية لا تنتمي إلى المعجم اللغوي العامّ وإنّما إلى مجال ممارسة معيّن، أي تنتمي إلى اللغات الخاصة، مثل: العبارات المتداولة في المراسلات الإدارية الرسمية: «وفي انتظار ردّكم تفضلوا سيدي... فائق الاحترام والتقدير»، أو في النصوص القانونية: «... في حالة تلبّس بالجريمة، السجن مع النفاذ العاجل، أو في لغة الصحافة: التوزيع العادل للثروة، وقف إطلاق النار، تطابق وجهات النظر... ومثل هذا كثير في جميع مجالات النشاط الإنساني.

وتجدر الإشارة إلى أنّ مجال العبارية يتّسع عند بعض الدارسين ليشمل الوحدات المعجمية المركّبة والمتشعبة، وقد اخترنا تصنيفاً ثلاثياً لهذه المواد يميّز بين المصطلحية والمعجمية والعبارية (الخطاطة السطر ٢)، ويُفضي إلى تقاطع بين المصطلحية والعبارية تكون حصيلته مادة لغوية من نوع خاص هي العبارات المصطلحية (الخطاطة السطر ٤). وهذا التصنيف يتماشى مع واقع البحث وصناعة المعاجم ومجالات التخصص الدقيقة كما استقرت في البحوث المعجمية والمصطلحية منذ عقود.

ونقدم في ما يلي خطاطة مجسمة للأصناف التي انتهينا إليها:





0- خاتمة:

سعى هذا البحث إلى تقديم إضافة في مستوى المَقُولَة اللسانية تمثلت في اقتراح أصنافية شاملة لجلّ الوحدات التي يتكوّن منها المعجم دون تمييز بين مفردات ومركّبات وعبارات، ودون تمييز بين لغات خاصة ولغة عامّة. وقد تيسّر هذا التصنيف بفضل مفهوم الوظيفة المعجمية الذي مكّننا من التمييز بين الوحدات المعجمية الإحالية والوحدات المعجمية التعبيرية التي يطلق عليها الدارسون مصطلح الوحدات العبارية.

ونحن نزعم أنّ وضع أصنافية للوحدات المعجمية سيسهم في رفع الكثير من اللبس المفهومي الذي يكتنف الوحدات المعجمية والوحدات المصطلحية، ويكتنف بالخصوص الوحدات العبارية التي تستدعي التمييز الواضح بين أصنافها الأربعة الفرعية، وهي: المتلازمات اللفظية والعبارات الخاصة والعبارات المثلية والعبارات التداولية.

لقد تناول هذا البحث مسألة معجمية نظرية تهتمّ تصنيف عناصر المعجم ولا تهتمّ النواحي المنهجية والإجرائية المتعلقة بصناعة المعاجم. ويجب أن نوضّح في هذا الصدد أنّ ما يهتمّ المعجم اللغوي العامّ بدرجة أولى هو الوحدات المعجمية الإحالية، غير أنّ المعاجم اللغوية الكبيرة الموجهة إلى الطلاب والباحثين معنية برصيد مهمّ من الوحدات العبارية، رغم أنّ هذه المواد تحتاج إلى ثلاثة معاجم مختصة مختلفة، هي: معاجم الأمثال ومعاجم المتلازمات ومعاجم العبارات الخاصة، لكننا نلاحظ في الواقع أنّ المعاجم العربية القليلة المختصة في العبارات لا تمييز بين المتلازمات اللفظية والعبارات الخاصة وتجمّعها في متن واحد؛ وسبب ذلك نظري وإجرائي يكمن في صعوبة التمييز بين الصنفين، وهذا يؤكّد لنا حقيقة علمية مفادها أنّ التطبيق الجيد يحتاج إلى نظرية جيّدة، أو قلّ إنّ الصناعة المعجمية الجيدة تحتاج إلى نظرية معجمية جيّدة.

فهرس المصادر والمراجع

المراجع العربية

- إبراهيم السامرائي، مع المصادر في اللغة والأدب، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، ج ٢.
- إبراهيم مراد، من المعجم إلى القاموس، فصل «الوحدة المعجمية بين الأفراد والتضام والتلازم»، دار الغرب الإسلامي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م.
- ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، لبنان، دار الكتاب العربي، وبيروت، دار الكتب العلمية، ط ٧.
- ابن منظور، لسان العرب (١٥ جزءاً)، بيروت، لبنان، دار صادر، د.ت.
- السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- عبد العزيز المسعودي:
- التطور اللغوي بين المعجم والنحو، بحث لساني في ظاهرة الإنحاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، سلسلة دراسات العدد ١٥، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.
- المعاني الجهيّة والمظهرية، بحث لساني في المَقُولَة الدلالية، سوسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م.



المراجع الأجنبية

- Alonso, A. Williams, G. DeCesaris, J. 1439h 2017m: Studying Lexical Meaning in Context, in Torner, S. & Bernal, E. ed. Collocation and Other Lexical combinations in Spanish, Routledge.
- Arrivé, M. Gadet, F. Galmiche, M. 1432h 2010m : Dénomination, La grammaire d'aujourd'hui, Ed. Flammarion.
- Arsenteva, E. 1436h 2014m: Phraseology in Multilingual Society, Cambridge Scholars Publishing.
- Bartsch, Sabine, 1425h 2004m: Structural and functional properties of collocations in English, Verlag Tübingen.
- Blanco Xavier, 1437h 2015m, Les pragmatèmes : Définitions, typologie et traitement lexicographique, KALBOTYRA, Lituanie.
- Catala, D. 1433h 2011m : Pragmatèmes et variantes diatoniques : le cas du mexicain, Synergies Tunisie n° 3 -1433h 2011m, pp. 137-144.
- Charles J. Fillmore; Paul Kay; Mary Catherine O'Connor, Regularity and Idiomaticity in Grammatical Constructions, the Case of let alone Language, Vol. 64, No.3 (Sep.,1409h 1988m), 501-538.
- Delibegović, Džanić, Nihada, Berberović, Sanja, 2019m: Conceptual Integration Theory in Idiom Modifications, Universitat de Valencia.
- Firth, J. R. (1377h 1957m). A synopsis of linguistic theory 1930–55. Studies in Linguistic Analysis. The Philological Society, Oxford, pp. 1–32.
- Firth, J. R. «Modes of Meaning», Essays and Studies (1371h 1951m), in Papers in Linguistics, 1934-1951 (London, 1377h 1957), p. 190.
- Gouadec, D. 1994m 1415h : Terminologie et Phraséologie, acteurs et aménageurs, Maison du Dictionnaire,

- Hintikka, J. Sandu, G. 1994 1415h: Uses and misuses of Frege's ideas, The Monist, Vol.77, n°3, p 278-293.
- Hoey, Michael, 1435h 2013m : Lexical Priming, in Carol A. Chappelle, The Encyclopaedia of Applied Linguistics, Blackwell Publishing Ltd.
- Iman Farhan Mohammed, Collocation and Idioms: Similarities and Differences, 2019m 1441h, شباط، 42 مجلة كلية التربية، جامعة، بابل ع
- Jafarova, L. 2016m 1438h: Challenges in translating Phraseological Units, in Theory and Practice in Language Studies, Vol.6, N°7, pp1341-1346.
- Janssen, Theo M. V, 1422h 2001m: Frege, Contextuality and Compositionality, Journal of Logic, Language, and Information, Vol. 10, No. 1, Special Issue on Compositionality, pp. 115-136.
- Kleiber, G. Proverbes : Transparence et opacité, Meta LV.1. 1432h 2010m. p. 136-146.
- kurosaki, Shino, 1435h 2013m : An Analysis of the Knowledge and Use of English Collocations by French and Japanese Learners, Dissertation. com, U.S.A. 262 p.
- Leheka, T. 1437h 2015m: Collocation and colligation, Handbook of Pragmatics, John Benjamins Publishing Company.
- Louw, B. Contextual Prosody Theory: Bringing Semantic Prosodies to life, Texto! Janvier, 1429h 2008m, vol. XIII, n°1.
- Mariëtta Alberts, Lexicography versus Terminography, Lexikos 11 (AFRILEX-reeks/series 11: 2001): 71-84.
- Mejri (Salah) : Le figement lexical, descriptions linguistique et structuration sémantique, Mannouba, Tunisie, 1418h 1997m.
- Mel'čuk, Igor Miličević , Jasmina , 1442h 2020m: An Advanced Introduction to Semantics: A Meaning-Text Approach, Cambridge University Press.



- Mel'čuk, Igor A, 1435h 2013m : Tout ce que nous voulions savoir sur les phrasèmes, mais..., Cahiers de lexicologie, 2013, n°1 (= n° 102), 129-149.
- Mel'čuk, Igor & Polguere, Alain, 1427h 2006m : Dérivations sémantiques et collocations dans le DiCo/LAF, in P. Blumenthal & F.J. Hausmann, réd., Collocations, corpus, dictionnaires [= Langue française, 150], 1427h 2006m, 66-83.
- Mel'čuk, Igor, Phrasemes in Language and Phraseology in Linguistics in M. Everaert - E.-J. van der Linden - A. Schenk - R. Schreuder (textes réunis sous la dir. de), Idioms. Structural and Psychological Perspectives, Hillsdale, N.J./Hove, U.-K., Lawrence Erlbaum Associates, 1416h 1995m, pp. 167-232.
- Mel'čuk, Igor A, 1403h 1982m: Lexical Functions in Lexicographic Description Author(s): Proceedings of the Eighth Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society, pp. 427-444.
- Pashalia, Patsala, On the Distinction and Presentation of Idioms and Collocations, Phraseology and collocation, p 1029-1035.
- Seretan, Violeta., Syntax-Based Collocation Extraction, Springer Science & Business Media, 1433h 2011m, P. 3,10
- Sinclair, J. 1412h 1991m: Corpus concordance collocation, Oxford University Press.
- Tournier, Jean : Précis de lexicologie anglaise, Nathan, Paris 1409h 1988h.
- Werning, M. Herzen, W. Machery, E., 1434h 2012m: The Oxford Handbook of Compositionality, Oxford University Press.

References

- librahim alsaamaraayiy, mae almasadir fi allughat wal'adabi, manshurat wizarat althaqafat wal'ielam aleiraqi, 1402~ 1981m, ja2.
- librahim murad, man almuejam 'iilaa alqamusa, fasl «alwahdat almaejamiat bayn al'iifrad waltdam waltalazumi» , dar algharb al'iislamii,1432h 2010m.
- Ebn jini, alkhassayis, tuhaqiq eabd alhamid hindawiin, lubnanu, dar alkutaab alearabii, bayrut, dar alktub aleilmiati, ta7.
- Ebn manzura, lisan alearab, birut, lubnan, dar sadir, da.t, (15 juz'a).
- Alsuyuti, almuzhar fi eulum allughat wa'anwaeuha, bayrut, manshurat almaktabat aleasriati,1408h 1987m .
- Abd aleaziz almaseudi:
 - alttwwr allughawii bayn almuejam walnuhu, bahath lsany fi zahirat al'iinha'i, silsilat dirasat eadad 15, alrayad, almamlakat alearabiat alsaеudiati, markaz almalik eabd allah bin eabd aleaziz alduwli likhidmat allughat alerby, 1441h 2019m.
 - almaeani aljhyt walmzhryt, bahath lisani fi almaqwalt aldalaliati, sawsata, kuliyat aladab waleulum al'iinsaniat ,1435h 2013m.



الاستفادة من الوافد الثقافي في دراسة بلاغتنا العربية (الآلية والمشروعية)

أ.د. إبراهيم بن منصور التركي

جامعة القصيم

(قدم للنشر في ١٤٤٤/٠٥/٢٦ هـ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٠٨/٢١ هـ ونشر في ١٤٤٥/٤/١ هـ)

ملخص البحث

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على أبعاد العلاقة بين الشرق والغرب في علوم البلاغة العربية، والنظر في إمكانية الاستفادة من الثقافة الغربية الجديدة في دراسات بلاغتنا العربية. وقد جاء هذا البحث ليناقد هذا الموضوع عبر تمهيد ومبحثين؛ حيث ألقى التمهيد لمحة موجزة عن الموقف من الوافد الثقافي بين القديم والحديث، ثم جاء المبحث الأول ليكشف عن بعض الآليات والضوابط التي ينبغي أخذها في الحسبان عند أي حديث عن التفاعل بين بلاغتنا العربية والرؤى الجديدة الوافدة، ثم تبعه المبحث الثاني الذي حاول أن يناقش أهم المخاوف والمحاذير التي جعلت بعض العلماء يمتنعون عن الاستفادة من الوافد الثقافي. وقد خلص البحث إلى أهمية التفاعل المعرفي بين إرثنا البلاغي والثقافة الوافدة الجديدة، وبين أن ذلك سيكون في صالح إرثنا البلاغي، وإمداده بأسباب الحياة التي تكفل لنا الاستفادة المثلى منه في حاضرنا ومستقبلنا متى ما التزمنا بالضوابط والشروط، وأما المخاوف والمحاذير التي تطرح حول ذلك فإنها متأثرة بصورة الغرب الاستعماري والاستشراقي، أو من تأثر بها من الباحثين العرب. أسفل النموذج

وقد كانت أهم النتائج التي خلص إليها البحث، هي:

١. أسهم التفاعل المعرفي مع الوافد الأجنبي في نموّ البلاغة العربية خلال أطوارها المختلفة. فقد استطاع العرب آنذاك أن يصهرُوا كل تلك المؤثرات الوافدة، وأن يستفيدوا منها في تطوير علومهم التي ندرسها اليوم.
٢. الاستفادة من العلوم الوافدة تبدو ضرورية في دراسة أدبنا وعلومنا ولغتنا؛ حيث سيسهم في تبصيرنا بمواضع في تراثنا قد نكون غفلنا عنها، وفي إمدادنا بأدوات وآليات جديدة تعيننا على استيعاب هذا التراث وفهمه.
٣. التقليل من بعض رؤى تاريخنا البلاغي أو الانتقاص من رجالاته، أو جهود علمائه، يبقى خاضعاً لظرفه التاريخي، وفي ظروف أخرى قد يثبت عكسه تماماً؛ ولذا يحسن الابتعاد عن انتقاص التراث العربي إجمالاً، أو التقليل من رموزه وشخصياته البارزة.
٤. توجد رؤى خلاقة في تراثنا العربي يمكن استثمارها والاستفادة منها في دراساتنا اليوم، كما أن هناك رؤى مبدعة جاءت بها الدراسات والمقاربات المعاصرة يمكن الاستفادة منها عبر تأصيل حضورها في تاريخنا وتراثنا البلاغي.
٥. يدرك الإنسان الجاد المنصف المتجرد أن التزامنا بالاحترام والتقدير لديننا وقرآننا وتراثنا يضمن الاستفادة من هذه الثقافة الوافدة الجديدة وتطويعها لخدمة قيمنا ومبادئنا، وبما يتناسب مع سياقنا العربي والإسلامي.

الكلمات المفتاحية:

البلاغة العربية، تاريخ البلاغة، المثاقفة البلاغية، الثقافة الوافدة.



Exploring the Benefits of Incorporating Cultural Influx in the Study of Arabic Rhetoric Mechanisms and Legitimacy

Prof. Ibrahim Mansour Alturki
Qassim University

Abstract:

This research aims to illuminate the relationship between the East and the West in Arabic rhetoric and explore the potential benefits of integrating new Western cultural influences into the study of Arabic rhetoric. The study provides a concise overview of historical and contemporary perspectives on cultural exchange and influence. It delves into the mechanisms and guidelines to consider when examining the interaction between Arabic rhetoric and emerging Western theories and concepts. Additionally, it addresses the concerns and precautions that have led some scholars to hesitate in incorporating foreign cultural influences in Arabic rhetoric studies. The key findings of the study can be summarized as follows:

- Cultural interaction with foreign and Western influences has played a crucial role in the development of Arabic rhetoric across various historical periods. Historical examples highlight the Arab scholars' ability to assimilate these influences and utilize them to advance their fields of study, as observed in contemporary disciplines.
- The utilization of foreign knowledge is essential in comprehending and studying Arabic literature, sciences, and language. The integration of these disciplines offers valuable insights into overlooked aspects of our cultural heritage and provides new tools and methodologies for comprehensive understanding.

- Diminishing the significance of the history of Arabic rhetoric or undermining the contributions of prominent Arab figures and scholars is contingent upon historical circumstances, as alternative perspectives may unveil their significance in different contexts. Therefore, it is crucial to refrain from diminishing the importance of the history of Arabic rhetoric or undermining the contributions of its prominent figures and scholars.
- Our rich Arab heritage presents innovative and creative perspectives that can be leveraged for contemporary studies. Simultaneously, modern research and approaches introduce fresh insights that can be integrated into our rhetorical history and heritage.
- An impartial and objective individual recognizes that respecting and appreciating our religion, the Quran, and our heritage is pivotal in effectively benefiting from the new cultural influences, aligning them with our Arab and Islamic values and context.

In conclusion, this research underscores the significance of intercultural rhetoric in enhancing our understanding of Arabic rhetoric. However, it emphasizes the need for a cautious approach to this integration, adhering to specific conditions and guidelines. It also acknowledges that concerns and precautions expressed in this context are often influenced by perceptions shaped by historical colonial and orientalist contexts, or by Arab researchers affected by these perspectives.

Keywords:

Arabic rhetoric, rhetoric history, intercultural rhetoric, cultural influx.



مدخل:

تبدو حالات اشتباكنا الضدي مع الغرب ممتدة في رقاع مكانية وزمانية ماضياً وحاضراً، وقد مثلت الحروب الصليبية واحداً من أبرز مظاهر هذا الاشتباك في القديم، في حين يمثل الاستعمار واحداً من أبرز صوره في الحاضر القريب. هذه الهيمنة التي فرضها الغرب واقعاً مفروضاً على العرب إما بالقوة العسكرية عبر الحرب والاحتلال، أو بالقوة الثقافية عبر الاستشراق، قد رسّخت صورة ذهنية سلبية عن الغرب في عقول بعض العرب، فلا يرون في الغرب إلا ذلك الجانب السلبي الذي يسعى إلى الهيمنة والسيطرة والاستيلاء على العقول. وقد ظهر مثل هذا التصوّر عند عدد من الدارسين والباحثين في النقد والبلاغة العربية، إذ أعربوا عن توجّسهم وتخوفهم من الاستفادة من الوافد المعرفي الجديد؛ لأنهم يرونه شكلاً من أشكال التغريب الثقافي والاستعمار المعرفي.

من هنا يأتي هذا البحث الذي يحاول أن يسلط الضوء على أبعاد هذه العلاقة بين الشرق والغرب، من خلال التركيز على البلاغة العربية، والنظر في إمكانية الاستفادة من الثقافة الغربية الجديدة في دراسات بلاغتنا العربية.

وقد جاء هذا البحث ليناقد هذا الموضوع عبر تمهيد ومبحثين؛ حيث ألقى التمهيد لمحة موجزة عن الموقف من الوافد الثقافي بين القديم والحديث، ثم جاء المبحث الأول ليكشف عن بعض الآليات والضوابط التي ينبغي أخذها في الحسبان عند أي حديث عن التفاعل بين بلاغتنا العربية والرؤى الجديدة الوافدة، ثم تبعه المبحث الثاني الذي حاول أن يناقش أهم المخاوف والمحاذير التي جعلت بعض العلماء يتحفّظون من الاستفادة من الوافد الثقافي.

التمهيد: الموقف من الثقافة الوافدة بين القديم والحديث

يحاول هذا التمهيد الكشف عن الموقف من الثقافة الوافدة بين علماء تراثنا البلاغي القدامى وبعض المعاصرين اليوم، وعلى هذا سيقسم التمهيد قسمين:

أولاً: أجدادنا والثقافة الوافدة

لم يكن تفاعل الثقافة العربية مع الثقافة الوافدة وليد اليوم، وإنما هو قديم جداً، حيث ظهر في زمن الأمية العربية، وتحديدًا في زمن الجاهلية، وانعكس على ثقافتهم وأدبهم. فإن إحدى الأطروحات العلمية حول هذا الموضوع تؤكد أن العرب زمن الجاهلية قد كانوا «على صلات بالفرس والروم والهنود والأحباش وغيرهم، بالجوار وبالجمالة وبالرحلات وبالحرور وبالمحالفات السياسية، ونتيجة لذلك تسربت العديد من ألفاظهم إلى اللغة العربية، وكان لشعراء الجاهلية القدر المعلن في نشر هذه الألفاظ»^(١).

وإذا شئنا أن يكون حديثنا مركزاً على علم البلاغة فإن كتب علمائنا وأسلافنا في هذا العلم مليئة بالإحالة والنقل عن كتب الثقافة الوافدة، فقد اتفق الكاتبون في تاريخ البلاغة العربية على أن أبا عثمان الجاحظ هو (مؤسس البلاغة العربية)؛ حيث أطلق عليه هذه اللقب كل من الدكتور طه حسين^(٢)، والدكتور شوقي ضيف^(٣)، والدكتور عبدالعزيز عتيق^(٤)، وغيرهم. ومع هذا نجد الجاحظ في سياق تأكيده على براعة العرب في الخطابة، يورد كتب غيرهم من الأمم، إذ يقول: «قالوا ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة، ويعرف الغريب، ويتبحر في اللغة، فليقرأ (كتاب كاروند). ومن احتاج إلى العقل والأدب، والعلم بالمراتب والعبر

(١) أحمد هدي جمعة منهل، أثر الحضارة الأجنبية في الشعر الجاهلي (رسالة دكتوراه)، ص ٢٠١.

(٢) ينظر: د. طه حسين، في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر، مقدمة الكتاب المنسوب لقدماء بن جعفر (نقد النثر)، تحقيق: عبد الحميد العبادي، ص ٣.

(٣) ينظر: د. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص ٥٧، ٥٨.

(٤) ينظر: د. عبدالعزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، ص ٥١.

والمثلات، والألفاظ الكريمة، والمعاني الشريفة، فليُنظر في (سير الملوك)^(١). فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها، ومعانيها. وهذه يونان ورسائلها وخطبها، وعللها وحكمها، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة، والخطأ من الصواب، وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها، وسيرها وعللها، فمن قرأ هذه الكتب، وعرف نور تلك العقول، وغرائب تلك الحكم؛ عرف أين البيان والبلاغة، وأين تكاملت تلك الصناعة»^(٢).

إن هذا الكلام الذي يورده الجاحظ يكشف انفتاحه تجاه الاطلاع والاستفادة من ثقافة الآخر وكتبهم، متى ما كان في ذلك إفادة لثقافتنا العربية، وزيادة في قدرات أبنائها وتمكينهم، وهو ما فعله في مواضع متعددة من كتبه، حيث كان ينقل عن ثقافات الأمم الأخرى وعلومهم^(٣)، هذا على الرغم من تكريسه حياته لمحاربة الشعوبية والدفاع عن العرب والعروبة، إلا أنه مع هذا لم يجد غضاضة في الاستفادة من تراث غير العرب والأخذ عنهم.

ومثل الجاحظ فعل كثير من علماء تاريخنا البلاغي في التأثر بالوافد، فقد اتفق الباحثون والدارسون على وجود إحالات متعددة في كتب البلاغة العربية في أزمنتها المختلفة، (التأسيس، والنضج، والتقعيد)، إحالات إلى بعض معارف الأعاجم وعلومهم، والخلاف بين الباحثين ليس في ثبوت الاستفادة من التراث غير العربي عند البلاغيين العرب أو عدمها^(٤)، وإنما يتركز الخلاف حول كميّات

(١) كتاب كاروند، وسير الملوك، من الكتب المعروفة عند الفرس.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ٣ / ١٠.

(٣) ينظر: إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ص ٥٥-٦٥، ود. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص ٦٦-٧١.

(٤) نوقشت هذه القضية في عدد كبير من الأبحاث، أشهرها: (د. طه حسين، في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر، والمنسوب لقدامة بن جعفر، مقدمة كتاب (نقد النثر) تحقيق: عبد الحميد العبادي) ص ١-٣١، وكتاب: (إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان)، وأفضلها في نظري ما كتبه د. حمادي صمود في كتابه (التفكير البلاغي عند العرب) بعنوان: (المؤثرات الأجنبية) ص ٦٠-٨٧.

هذه الاستفادة وكمياتها، وليس في نية هذه الصفحات سرد أدلة تأثر البلاغة العربية بغيرها، فقد قُتل هذا الموضوع بحثاً ودرساً وكتب حوله الكثير.

ثانياً: موقف بعض العلماء المعاصرين:

ربما ما زالت صورة الغرب الاستعماري والغرب الاستشراقي حاضرة في وجدان كثير من العرب اليوم، فالاستعمار الذي اصطلت بناره الشعوب العربية قد جاء لنهب خيرات الشعوب وطمس هويتها وثقافتها، ثم أعقب ذلك الاستعمار السافر ظهور المدّ الاستشراقي الذي استهدف ثقافة الشرق، والذي لم يخلُ بكل تأكيد من بعض الجوانب الإيجابية التي عادت ببعض النفع على الثقافة العربية، لكنه أيضاً لم يخلُ من آثار سلبية ظهرت بشكل أخصّ في بدايات الاستشراق «وهي الفترة التي كانت جوانب الاستشراق -التي كثيراً ما اتسمت بالتوسع والتجريد والتطلع إلى المستقبل - قد بدأت تكتسب إدراكاً جديداً بأنها مكلفة بمهمة دنيوية في خدمة الاستعمار الرسمي»^(١)، إذ كان «الاستشراق -باعتباره جهازاً ثقافياً- ينحصر في العدوان والنشاط وإصدار الأحكام وفرض الحقائق والمعرفة، كأن الشرق قد وُجد من أجل الغرب»^(٢).

وقد تأثر بعض كبار أدباء العرب ومفكره ببحوث بعض المستشرقين، ويمثل الدكتور طه حسين واحداً من أكثر الشخصيات المعاصرة التي شاغبت السائد علمياً وفكرياً، وقد تجلّى ذلك أدبياً في دعواه انتحال الشعر الجاهلي في كتابه (في الشعر الجاهلي)؛ إذ يذهب إلى أن ما وصل إلينا من ذلك الشعر مكذوب ملفّق منحول، وهو في هذا متأثر بمنهج ديكارت الشكي وبحوث المستشرق مرجليوث.

هذه الأفكار الصادمة التي طرحها بعض المستشرقين، والتي تبناها بعض الأدباء العرب مثلت نقطة تحوّل فارقة في موقف بعض المشايخ والأساتذة من

(١) إدوارد سعيد، الاستشراق، ص ٣٢٢.

(٢) إدوارد سعيد، الاستشراق، ص ٣٢٢.

الثقافة الأدبية الوافدة، وذلك بعدما رأوا أثر هذه الدراسات الغربية في زعزعة بعض مسلّماتنا الدينية والأدبية.

ويؤكد هذا تلك القصة التي رَدَّدها طويلاً الشيخ محمود شاكر (تلميذ طه حسين) في عدد من كتبه ومؤلفاته، حيث صار موقف أستاذه طه حسين هو الموجه الفعلي للفكر الذي تبناه محمود شاكر، ولطبيعة الطرح العلمي الذي سار عليه في كل أعماله تقريباً.

وقد سرد الشيخ شاكر في مقدمة كتابه (المتنبى) قصته مع د. طه حسين ونقاشاته معه في أروقة الجامعة، وذلك عندما كان تلميذاً لديه يستمع إلى محاضراته عن الشعر الجاهلي، إذ يقول: «ظللت أتجرّع الغيظ بحثاً، وأنا أصغي إلى الدكتور طه في محاضراته»^(١)، ثم يذكر محاولته مناقشة د. طه: «طلبت من الدكتور طه أن يأذن لي في الحديث فأذن لي مبتهجاً... وبدأت أدلل على أن الذي يقوله عن «المنهج» وعن «الشك» غامض... انتهرني الدكتور طه وأسكتني»^(٢). يضيف الشيخ شاكر: «لكني من يومئذ أيضاً لم أكف عن إذاعة الحقيقة التي أكتمها في حديثي مع الدكتور طه، وهي أنه سطا سطواً كريهاً على مقالة المستشرق الأعجمي»^(٣)، وقد كان لآراء طه حسين أثرها في الشيخ شاكر في ترك الجامعة والبلد كلها؛ يقول: «ولم أملك إلا أن أمنحهم جميعاً ظهري غير متلفّ، وغير مبالٍ أيضاً بما أنا مقدم عليه من مفارقة بلادي وأهلي، ومن هجر الدراسة الجامعية أيضاً غير بأك ولا أسف»^(٤).

وقد ظلّ أثر موقف د. طه حسين في حياة الشيخ شاكر مستمراً حتى بعد تركه الجامعة، وطوال حياته تقريباً؛ يقول الشيخ شاكر: «غمرتني ثرثرة مدمرة كان لها

(١) محمود شاكر، المتنبى، ص ١٥.

(٢) محمود شاكر، المتنبى، ص ١٦.

(٣) محمود شاكر، المتنبى، ص ١٧.

(٤) محمود شاكر، المتنبى، ص ١٩.

أبلغ الأثر في حياتي، هي ثثرة الحديث عن (الشعر الجاهلي)، وأن الذي في أيدينا منه مما يسمى شعراً جاهلياً مصنوع منحول كله... فأحدثت في جميعها رجة ممزقة مدمرة. وبعد لأي ما نجوت من شرها غريباً وحيداً مستوحشاً، أعاني في سر نفسي من الغربة والوحدة والوحشة ما أعاني، وشر ما أزل أعانيه حتى اليوم»^(١).

كما يؤكد الشيخ شاكر أن أثر هذه القضية لم يكن فيه وحده، وإنما «هذه القضية بأدلتها ومنهجها قد تركت في (العقل) الحديث في العالم الإسلامي أثراً لا يمحي إلا بعد جهد جهيد. والعجب أن مرجليوث قد أتى في بحثه بزيغ كثير كان هو الأساس الذي بنى عليه هذا العقل. وقد حاول مئات من رجال الفكر أن يزيفوا الأدلة والمنهج، ولكن هذا الزيغ بقي بعد ذلك طابعاً مميّزاً لأكثر ما ينشره الطلبة والأساتذة إلى يومنا هذا»^(٢).

ولذا كان طبعياً أن يكون الشيخ شاكر رافضاً كلّ المنهج الجديدة، إذ يقول عن ذلك: «كان منهجي كما نشأ واستتب في نفسي، كان منهجاً يحمل بطبيعته رفضاً صريحاً واضحاً قاطعاً غير متلجلج لأكثر المنهج الأدبية التي كانت فاشية وغالبة وصار لها السيادة على ساحة الأدب الخالص وغير الخالص إلى يومنا هذا»^(٣).

وكان طبعياً أيضاً أن يرى الشيخ شاكر المنهج الوافدة شكلاً من أشكال الغزو والتغريب، فقد سعت المسيحية الغربية - كما يقول - بعد نهاية الحروب الصليبية إلى «إعداد أنفسهم لحرب صليبية رابعة، لا بقعقة السلاح، وما هو إلا سلاح العمل والعلم والتفوق واليقظة والفهم والتدبير، ثم الصبر والمكر والدهاء واللين والمداهنة وترك الاستثارة»^(٤).

(١) محمود شاكر، مداخل إعجاز القرآن، ص ١٣.

(٢) محمود شاكر، مداخل إعجاز القرآن، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٣) محمود شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص ٢٠.

(٤) محمود شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص ١١٢.

وقد تبينَ هذا الرأي تلاميذ الشيخ شاكر وبعض محبيه، مثل الدكتور محمد أبو موسى الذي يدوّن في كتابه (الإعجاز البلاغي) مرافعة مهمة ينبه فيها إلى خطر دراسة علوم الأمم الأخرى، «فإذا انصرفت أمة إلى دراسة تراث غيرها وآداب غيرها وعلوم غيرها، وترك تراثها وعلومها، وتاريخها بقي رميمًا، يكون الجهل أبرّ بها من علمها هذا»^(١)، مؤكّدًا أن هذا الاهتمام يأتي على حساب الاهتمام بعلومنا وآدابنا، ذلك «أن جامعاتنا وعلماءنا وكل وسائلنا العلمية قائمة على خدمة علوم غيرنا... وكثير من نقادنا الذين يجهلون علومنا وأدبنا ولا يعرفون إلا الزرابة على هذه العلوم وعلى هذه الآداب»^(٢).

ومن هؤلاء أيضًا الدكتور عبد العظيم المطعني الذي رفض تدريس مقرر (علم الأسلوب)^(٣) بالطريقة التي أقرتها الجامعة، «لأن الموضوع يتعلق بشخصية الأمة وليس مجرد اختلاف مقبول في الحقل المعرفي، ورد للظلم الواقع على تراث الأمة الذي هو واجب على كل أبنائها المخلصين»^(٤)، وهو يعلّل رفضه بأن «من مبادئ الحداثة العربية مبدأ يسمونه محو القبلية؛ ويعنون به محو كل ما كان قديمًا، وبناء الحياة على أسس جديدة لم يكن لها وجود من قبل. ورائد الحداثيين العرب هو أدونيس السوري الجنسية المعروف، ويكفي أن يعرف عنه القارئ أنه صاحب الدعوة إلى إلغاء تفاسير القرآن وإعادة تفسيره من جديد، ويقصد بذلك أن القرآن ليس فيه ثوابت، بل يتغير معناه جيلاً بعد جيل، وهو صاحب مقولة: إن الإلحاد هو قمة الحرية، ومبدأ محو القبلية ينسجم تمامًا مع المنهج الذي

(١) د. محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، ص ٥.

(٢) د. محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، ص ٧.

(٣) ناقشتُ مواقف الباحثين العرب من الأسلوبية بتوسع في كتابي (البلاغة العربية والتوظيف الأسلوبي)، ص ٢٦ - ٤٠.

(٤) د. عبد العظيم المطعني، علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية، ص ٧.

وضعه الحداثيون لتدريس علم الأسلوب؛ لأنهم حاولوا فيه محو التراث العربي الإسلامي من الوجود»^(١).

إنه لمن الواضح كيف أن جذور الموقف المتشدد من الثقافة الوافدة في هذا العصر متأثر لدى بعض العلماء والباحثين بصورة الغرب الاستعماري والغرب الاستشراقي، ولذا رفضوا المناهج الوافدة وعدّوها خطراً على دين العرب وعقيدتهم، وتشكيكاً في أدبهم وتراثهم؛ إنها في نظرهم حلقة من حلقات الاستعمار والتغريب التي يراد منها سلخ الأمة عن هويتها.

المبحث الأول: التفاعل مع الوافد الثقافي، آليات وضوابط:

خلافاً لرأي العلماء الذين رفضوا الاستفادة من الوافد الثقافي في دراسة بلاغتنا يتبنى هذا البحث القول بوجود الحاجة الماسة إلى تفاعل إرثنا البلاغي مع علوم الحاضر الوافدة، إذ سيسهم هذا التفاعل في إضاءة تاريخنا، وتشكيل حاضرننا، وبناء مستقبلنا.

ولكن يبدو من الضروري تسليط الضوء على بعض الآليات والضوابط التي يحسن استحضارها في كل حديث عن الاستفادة من الفاعل الوافد في ثقافتنا العربية، سواء في تاريخنا، أو حاضرننا، أو مستقبلنا، وهو ما توضحه النقاط الآتية:

أولاً: التأثير ليست ميزة ولا عيباً، بل هو أثر حيائي حتمي يحدث مع كل المجتمعات وفي كل الثقافات، ومثلما يقال عن تأثير البلاغة العربية بالبلاغة اليونانية فإن من المؤكد أن يكون اليونان أيضاً قد تأثروا بغيرهم، لقد «اعتبرت الحضارة اليونانية منطلق الحضارات بعدها في الفلسفة والعلم والفن، ولم يخطر على البال البحث عما قد تكون أخذت هي بدورها عن حضارات أخرى

(١) د. عبد العظيم المطعني، علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية، ص ٧.

أعرق منها، وكأن الباحثين يقرون بذلك التولد الذاتي بالنسبة إليها، ويرفضونه بالنسبة إلى ما جاء بعدها»^(١)، لذلك لا مشكلة في أن يتأثر العرب أو أن يستفيدوا من غيرهم، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، ومثلما أن الحضارة الغربية قد قامت على معطيات علمية مستقاة من التراث العالمي (العربي وغير العربي)، فصنع منها الغرب منجزه الحضاري المعاصر، فكذلك يمكن لنا نحن العرب الاستفادة من منجز الآخر متى ما كان في هذا المنجز ما يفيدنا في حاضرنا، أو يعيننا على فهم ماضينا وتمثله وهضمه.

ثانيًا: الحديث عن تأثير العرب بغيرهم يُفترض به أن يبتعد عما قد يفهم منه انتقاص العقل العربي، أو التقليل من قدرات علمائه ورموزه، «إنه لا جدال في أن البيئة العربية كانت على صلة بتيارات أجنبية مختلفة استفادت منها البلاغة العربية بوجه من الوجوه، لكن نعتقد أنه ليس في مقدورنا ضبط ذلك الوجه بدقة، وتفكيك ذلك البناء المتراص لنرجع كل لبنة إلى أصلها»^(٢). ولذلك يُفترض ألا يظهر الحديث عن تأثير العرب بغيرهم كأنه نَفَس شعوي يسعى إلى انتقاص العقل العربي، والتقليل من قدرات أبنائه، خصوصًا إذا لم يثبت التأثير بنص صريح. إن العلم الحقيقي يتبع الدليل العلمي المادي ويدور معه، ولا يكفي بمجرد توافقات عارضة لإصدار أحكامه.

لهذا يبدو من المستغرب مثلًا أن يقول الدكتور طه حسين عن عبد القاهر الجرجاني: «لم يكن عبد القاهر الجرجاني عندما وضع في القرن الخامس كتاب (أسرار البلاغة) المعتبر غرة كتب البيان العربي، إلا فيلسوفًا يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه»^(٣)، ووجه الغرابة هنا هو أن هذه المبالغة التي يبني عليها طه حسين استنتاجه لا يوجد عليها دليل نصي واحد في كتب عبد القاهر يشير إلى

(١) د. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص ٧٥.

(٢) د. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص ٨٧.

(٣) ينظر: د. طه حسين، (في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر)، والمنسوب لقدامة بن

جعفر مقدمة كتاب (نقد النثر)، تحقيق: عبد الحميد العبادي، ص ١٤.

استفادته من أرسطو أو النقل عنه، وهذا لا يعني بطبيعة الحال إنكار اطلاعه على ما تُرجم من بلاغة اليونان، لكن من المحتمل أن يكون عبد القاهر قد اطلع على آراء أرسطو عبر كتاب وسيط، إذ يمكن أن يكون «عبد القاهر قد اطلع على التراث اليوناني المترجم، وأنه قرأه، ولكنه لم يتخذ منه أساساً في كل ما كتب»^(١). وحتى لو فرضنا أن عبد القاهر قد أخذ من ذلك التراث الوافد فإنه قد صهر الوافد مع ثقافته العربية، وابتكر من خلال هذا التمازج رؤاه وأفكاره البلاغية المبهرة، وهو بهذا التمازج - إن صح وقوعه - ليس مجرد ناقل أو (شارح جيد) كما يدّعي د. طه حسين، وإنما بلاغي مبتكر.

ثالثاً: هناك بدهيات مشتركة في الفكر الإنساني كله، يعرفها الإنسان منذ بدء خلقه وإلى قيام الساعة، وبالتالي عندما توجد مثل هذه الأفكار قبل العرب، ثم توجد عند العرب، فهذا لا يعني بالضرورة أن يكون العربي قد أخذها عن غيره؛ لأنها من البدهيات التي يعرفها الإنسان من خلال عيشه ومعايشته وخلطته وتجربته في الحياة، كما في فكرة ضرورة ملاءمة الكلام للسامعين؛ فهذه مهارة إنسانية بدهية يعرفها الصغير والكبير، الأمي والمتعلم، فليس مقبولاً أن يقال إنها مما أخذها العرب عن غيرهم. ومثل الفرق بين الحقيقة والمجاز، فهو ملمح لغوي يوجد في كل اللغات واللهجات، وكل مستعملي اللغة يفرّقون بين المجازي والحقيقي؛ وبناء على هذا لا تُقبل عدد من دعاوى التأثير، «فهل كان الناقد العربي في حاجة إلى قاذح أجنبي يفتّنه إلى الفرق بين خصائص لغة الاستعمال العادي ولغة الأدب؟ وهل كان الجاحظ في حاجة إلى كتب أرسطو ليهتدي إلى ما اهتدى إليه في فرق ما بين الفصيح والأعجم؟»^(٢).

رابعاً: إن العرب عند تأثرهم بالتراث اليوناني وفي النقد والبلاغة تحديداً لم يقوموا بنقله نقلاً حرفياً، أو يقدّموه كما هو في صورته الأصلية، وإنما أخضعوه

(١) د. أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، ص ٣٠٥.

(٢) د. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص ٨٤.

للطابع العربي والروح العربية وبما يتناسب مع طبيعة الإنسان العربي؛ فالقضية ليست قضية نصوص أجنبية قاموا بترجمتها ونقلها حرفياً، وإنما حدثت عملية توطين وتطبيع لهذه الأفكار بحيث أصبحت صالحة للتربة العربية، فهناك مواضع من النقد والبلاغة اليونانية لم يرد لها ذكر على الإطلاق في البلاغة والنقد العربي. لقد أخذ العرب من ذلك ما يعينهم على فهم تراثهم فلم يكونوا مجرد نَقْلَة أو عَبْدَة لذلك التراث، وإنما أعادوا صوغ تلك الثقافة الوافدة وطوّعوها لتتناسب مع روح الثقافة العربية. وهو ما يؤكد إبراهيم سلامة الذي يخلص إلى وجود «صلة أو صلات بين البلاغة اليونانية والبلاغة العربية... مع أن هذا الأخذ... لم تنقصه الفطنة، ولم يغيب عنه ذكاء العقل العربي الذي تصرف فيما أخذ، والذي اقتطع مما نَقَلَ؛ فأخذ منه ما يتفق مع اتجاه أدبه»^(١). إن «العرب أخذوا ما أخذوا من البلاغة اليونانية، ولكنهم جَدّدوا فيها وبسطوا، بل وعقدوا، بما يثبت لهم شخصيتهم العقلية فيما أخذوه إما بالزيادة وإما بالنقص... فقد زادوا على الأبواب القليلة التي عرفوها من بلاغة أرسطو زيادة لم تخطر له على بال، ولم ينقلوا إلى بلاغتهم إلا ما اتفق مع أدبهم»^(٢).

وهذا المعنى أيضاً يؤكد د. أحمد يوسف الذي يرى «أن التراث اليوناني القديم (إذا) كان قد استوى على عوده، وضرب بجذوره في أعماق الأرض قبل وجود الحضارة العربية الإسلامية بقرون؛ فإن نقل هذا التراث للعربية وأهلها لم يكن لمجرد النقل والزهو به، بل كان مرتبطاً بتلبية الحاجة المعرفية لتطوير مناهج البحث ومفاهيمه في بيئة كانت حاجتها أشد إلى توطيد أساليب الحجاج والإقناع والتأثير»^(٣).

(١) إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطويين العرب واليونان، ص ٢٩٠.

(٢) إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطويين العرب واليونان، ص ٢٩٠، ٢٩١.

(٣) د. أحمد يوسف، البلاغة العربية، قراءة القراءة، ص ٣٥.

خامساً: هل المنجز الغربي غربي خالص؟ الواقع أن في نفسي شيئاً من عدّ هذه العلوم الجديدة في الغرب منجزاً غريباً خالصاً؛ لأنها في الواقع منجز إنساني مشترك؛ فقد بنى الغرب بعض ثقافته ومعارفه على علوم ومعارف غيره. إنه يمكن اعتبار الغرب (سوق عكاظ) العالم، فقد كان الشاعر الجاهلي يأتي إلى سوق عكاظ من أقاصي الجزيرة العربية ليقول القصيدة، وتنتشر عنه، فيعرفه الناس، فينشر فكرته أو قصيدته عبر طرحها في سوق عكاظ.

فكذلك هو الغرب؛ إذ الأفكار التي نراها في الغرب لا تبدو أفكاراً غربية خالصة، وإنما يُعدّ الغرب سوقاً يأتي إليه المفكرون والباحثون من أقاصي الدنيا وأطرافها؛ لأنهم يجدون هناك الإمكانيات والمناخ العلمي الذي يكفل لإسهاماتهم أن تنتشر وتنتقل إلى العالم كله عبر جامعات الغرب. ومن ثم فإن هذا المنجز الفكري الغربي هو ثمرة اجتماع العقول من أقاصي الدنيا، من شرقها وغربها وشمالها وجنوبها. إن هذا يعني أن الأفكار والرؤى التي نراها في الغرب ليست رؤى غربية خالصة، وإنما هي رؤى إنسانية مشتركة، فالغرب هو بمثابة السوق الذي يجتمع فيه الناس من أماكن مختلفة من الدنيا؛ لكي يسوّقوا أفكارهم ورؤاهم.

وكما هو معروف بأن المجتمع الغربي يقوم على التعددية العرقية؛ فقد تجد المنازل في الحي الواحد تعود أصول ساكنيها إلى دول مختلفة، فهذا من الهند، وهذا من الصين، وهذا من المكسيك... وهذه الأفكار التي تظهر في ذلك المكان تأتي متأثرة بهذا التعدّد العرقي والتلاقح الثقافي؛ لذلك لا مشكلة في الاستفادة مما نحتاجه من الأفكار والمناهج الجديدة مادامت منجزاً عاماً ومشتراكاً إنسانياً، ومتى كنّا قادرين على تطويعها لثوابتنا وأصولنا العربية والإسلامية.

سادساً: يؤدي تفاعل إرثنا البلاغي مع الوافد الجديد خدمة جليلة لتاريخنا البلاغي في المقام الأول، فقد ظهرت دعوات عدة في أزمنة مضت تدّعي عقم البلاغة العربية، وموتها، وعجزها عن مواكبة التطورات التي تشهدها الساحة



الأدبية والنقدية في العقود الأخيرة، ولذا يُفترض في دارسي البلاغة العربية وباحثيها مدّها وإمدادها بكل ما يصلها بالحياة العلمية المعاصرة.

وهذا لا يعني بالضرورة تغييراً في البلاغة العربية، أو طمساً لصورتها الأصيلة، ذلك أن للبلاغة العربية صورتها الناصعة الذي حافظت عليها طوال القرون الماضية، وإنما يكون الوافد الجديد (رديفاً) لا (بديلاً)، إذ يُفترض أن تبقى البلاغة العربية كما هي في صورتها البهية التي ظهرت عليها منذ السكاكي والخطيب القزويني، بتبويبها وتقسيماتها الثلاثة المعروفة: (المعاني والبيان والبديع)، وذلك بوصفها ذخيرة معرفية تضم عدداً كبيراً من الأدوات والإجراءات التي تقارب اللغة جمالياً ودلائياً، مع إمدادها ووصلها بما توصلت إليه الدراسات المعاصرة.

إن هذا الأمر يدفعنا إلى المناداة بالفصل بين البلاغة العربية بصورتها النظرية التراثية، وبين توظيفات هذه البلاغة وتطبيقاتها في الدراسات النقدية والبلاغية واللسانية المعاصرة. إن البلاغة العربية بمتصوراتها النظرية يجب أن تبقى وتُدرّس وتُدّرّس كما هي في كتب علماء البلاغة الأوائل، مع العمل أيضاً على توظيفها في الدراسات المعاصرة المختلفة، سواء في دراسات الحجاج، أو الانسجام النصي، أو تحليل الخطاب، أو التحليل الأسلوبي... الخ^(١).

إن الكلام السابق يؤكد حاجة البلاغة العربية إلى أمرين لازمين: أحدهما تأصيل الجديد، والآخر تجديد الأصيل^(٢). حيث إن «تجديد الأصيل ينبع منه ولا يفرض عليه من الخارج، والأصيل هنا هو كل المادة التي نستدعيها لعلم من العلوم العربية، مثل: البلاغة والنحو»^(٣)، وأما بالنسبة لتراث «الآخرين فإن

(١) ينظر: د. إبراهيم التركي، البلاغة العربية والتوظيف الأسلوبي، ص ٩.

(٢) ينظر: د. أحمد يوسف، بحث (البلاغة العربية بين الموت والإحياء)، مجلة الخطاب، عدد:

٢١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م، ص ٨١، وينظر: د. أحمد يوسف، البلاغة العربية، قراءة القراءة، ص ٣٥.

(٣) د. أحمد يوسف، البلاغة العربية، قراءة القراءة، ص ٣٥.

القاعدة... هي تأصيل الجديد، بمعنى توطين العلم الوافد، والمعرفة الجديدة، ولا يكون هذا التوطين بالنقل الأعْمى... بل بتهيئة التربة العلمية التي تؤسس لأبحاث تستجيب لمسائل خاصة بما نعيشه ونعانيه»^(١).

وقد كان لي محاولات علمية في هذا السياق، فقد كانت لي محاولتان علميتان (في تجديد الأصيل)، إذ تناولت في الأولى منهما (علم المعاني) في كتاب أسميته: (تيسير علم المعاني)، وتناولت في الثانية منهما (علم البيان) في كتاب سمّيته (الصورة البيانية في البلاغة العربية)، وقد اعتمدت في الكتابين على الربط بين أفكار البلاغة العربية الأصيلية وما يتفق معها في الدراسات المعاصرة. وأما (تأصيل الجديد) فقد كتبت في ذلك كتاباً بعنوان (البلاغة العربية والتوظيف الأسلوبي)، شرحت فيه الأصول البلاغية العربية لمبادئ الأسلوبية كالعدول والتوازي، ووزعت في الكتاب مباحث البلاغة العربية وفق مستويات التحليل الأسلوبي: الصوتي والصرفي والتركيب والدلالي.

سابعاً: تأتي دراسة التاريخ بسبب أهميته في صناعة الهوية الفردية والجمعية، إذ يخلق التاريخ في نفوس الناس المرجعيات والقيم المشتركة التي تتشكل وتجتمع بها الذوات الإنسانية، فالتاريخ أداة مهمة في تشكيل (الذاكرة الجمعية) التي تُفعل الهوية الإنسانية؛ ومن هنا تأتي أهمية ربط إرثنا وتاريخنا البلاغي بالمعارف الجديدة، إذ سيؤدي ذلك إلى عصرنة التاريخ، وشرعنة المعاصر، وتعزيز الهوية الجمعية، وتسويقها عند الجميع.

(١) د. أحمد يوسف، البلاغة العربية، قراءة القراءة، ص ٣٥.

المبحث الثاني: المخاوف من التفاعل مع الوافد الثقافي، عرض ومناقشة:

يطرح بعض الغيورين مخاوف ومحاذير يخشون فيها على إسلامنا وديننا وقرآننا وتاريخنا البلاغي في حال الاستفادة من الثقافة الوافدة، ويمكن هنا مناقشة أهم المحاذير والمخاوف المطروحة:

أولاً: يبدو الخوف على ديننا وتراثنا وإرثنا البلاغي من الوافد الثقافي واحداً من أهم المخاوف المطروحة، ولكن يمكن القول إن التاريخ يكشف أن مثل هذا الخوف غير مبرر، فمن الواضح أن الأمة في القرنين الثاني والثالث الهجريين قد انفتحت عليها ثقافات العالم، كما تُرجم إليها مجموعة من شتى العلوم اليونانية والهندية والفارسية، ومع ذلك فإن كل تلك الثقافات اندمجت وذابت، وصارت جزءاً من نسيج الثقافة العربية الإسلامية.

إن البلاغة العربية قد «تغذت بلبان الفلسفة والبلاغة اليونانية، واصطنعت كثيراً من مناهجها وأدواتها، دون عقوق لمنبعها الأصيل، أو مساس بعبقريّة لغتها الخاصة، ... ولم تلبث أن تكونت بداخلها تيارات ومدارس بعضها أدبي بياني، والثاني كلامي منطقي، والثالث مغربي أرسطي، حتى بلغت مرحلة الاستواء العلمي والنضج التاريخي جعلتها تقف شاهداً على قدرات أهلها وإنجازاتهم الحضارية المرموقة في أزهى عصور العطاء العربي المجيد»^(١).

ثانياً: يعترض بعض الغيورين على الاستفادة من العلوم أو المناهج الغربية؛ بحجة أنها «علوم قائمة أصلاً على تفكير غربي، قامت لخدمة المجتمعات الغربية»^(٢). والقول إن المناهج والمعارف الغربية هي استجابة لظروف ثقافية وأيديولوجية مختلفة عن واقعنا العربي يُعدّ حقيقة لا مرأى فيها، ولكن هذا

(١) د. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص ٧.

(٢) د. محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، ص ٧.

الاختلاف حتمية حياتية، فكل شيء هو ابن ظروفه وراهنه الزماني والمكاني، وسوف يتأثر حتمًا بظروف إنتاجه، فلا شيء في الكون كله يظهر مجردًا في العراء، أو معزولًا عن ظروف تشكّله، وإنما هو متأثر حتمًا بالظروف السياقية المصاحبة، إن أيديولوجيًا أو ثقافيًا أو اجتماعيًا... إلخ.

لكن الأهم هو أن نعرف طرق الاستثمار النافع في تطويع تلك المعرفة لثقافتنا وقيمنا وإخضاعها لحاجاتنا الحياتية والمعرفية، بحيث لا تكون استفادتنا من ذلك الوافد الثقافي مجرد نسخ ولصق، وإنما هو تفاعل خلاق يوظف تلك المعرفة الوافدة لبناء واقعنا، واحترام ماضينا، وتشكيل مستقبلنا.

ثالثًا: يتخوّف بعض الغيورين من أن استفادتنا من الدراسات الوافدة قد «تلجّ على اجتثاث الشعور بالاعتزاز والانتماء... (و) تشكيل صورة قاتمة للعقل العربي والفكر العربي والأدب العربي والنحو العربي والتاريخ العربي؛ حتى كرهنا نحن العرب أنفسنا، ولو كان القائم على توجيه العقل العربي يهودًا ما وصلوا بنا إلى أبشع من ذلك»^(١).

لكن هل الواقع العلمي كذلك فعلاً؟ تثبت بعض الدراسات المكتوبة عن تاريخنا البلاغي أن بعض الذين نظروا إلى تراثنا بعين الإجلال والتقدير ممّن لم يستعينوا بمناهج الغرب قد نظروا إلى بعض شخوص التراث نظرة سلبية، في حين أن بعض من نظروا إلى التاريخ نفسه بمنظار الرؤى الغربية، أو ممن اطلع على ثقافة أجنبية قد نظروا إليه بشكل أكثر إيجابية.

وإذا نظرنا مثلاً إلى السكاكي فسنجد هناك من ذمّه وهناك من مدحه، وسنجد أن ممّن نظر إليه نظرة سلبية د. شوقي ضيف الذي يذكر تحوّل البلاغة عند السكاكي إلى «قوانين وقواعد تخلو من كل ما يمتع النفس، إذ سلّط عليها المنطق بأصوله ومناهجه الحادة، حتى في لفظها وأسلوبها الذي لا يحوي أي جمال،

(١) د. محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، ص ١٢.

وما للجمال والسكاكي؟ إنه بصدد وضع قواعد وقوانين كقوانين النحو وقواعده، وهي قواعد وقوانين تُسَبِّك في قوالب منطقية جافة أشد ما يكون الجفاف»^(١).

ويوافق د. بدوي طبانه في ذات النظرة السلبية إلى عمل السكاكي، مستغرياً عناية العلماء بهذا الكتاب رغم ما فيه من جمود وتعقيد، إذ يقول في ذلك: «ولسنا نعرف السحر العجيب الذي سحر العلماء وفتنهم بكتاب السكاكي فجعلهم ينسون أنفسهم، وينكرون ملكاتهم؛ ليسيروا في ركاب السكاكي وفي قيد كتابه، حتى جعلوه القطب الذي يدورون حوله، والغاية التي ييَّمونها»^(٢).

والدكتور محمد أبو موسى الذي نقلنا عنه هذا التخوف في صدر الحديث يغض من قيمة أبي يعقوب السكاكي في أحد كتبه؛ إذ يرى أن السكاكي «قد استمد.. مادته العلمية من كلام عبد القاهر والزمخشري، ولكنه عجز عن المحافظة على الروح الأدبية... ونحن نعرف أن السكاكي عاش عيشة العوام حتى ناهز الثلاثين، ثم انصرف إلى العلم طلباً للحظوة ونيل ما عند السلاطين... لم يتوفر على درس اللغة والأدب، ولم تتح له ظروف حياته الإدمان والممارسة والمعاشة حتى يتهيأ له اكتساب ذوق هذه اللغة»^(٣).

ولكن في المقابل، ذهب باحثون آخرون ممن لهم اطلاع على الدراسات المعاصرة والثقافة الغربية إلى رأي مخالف، إذ يُعَدُّون عمل السكاكي نقطة مضيئة في تاريخ البلاغة العربية، فالدكتور محمد عابد الجابري يرى أن السكاكي من أفضل العلماء الذين تناولوا قضية اللفظ والمعنى، ذلك أنه إذا كانت مساهمة عبد القاهر الجرجاني تمثلت في نظرية النظم التي حاول بها تجاوز إشكالية اللفظ والمعنى في التراث العربي، فإن «مشروع السكاكي (توفي سنة ٦٢٦هـ) كان أوسع

(١) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص ٢٨٨.

(٢) بدوي طبانه، البيان العربي، ص ٣٢٦.

(٣) د. محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص ٧.

وأعمق، لقد كان بمعنى ما من المعاني تجاوزاً، ليس فقط لإشكالية اللفظ والمعنى، بل لنظرية النظم الجرجانية ذاتها»^(١)، مؤكداً أن هذا الحكم «سيستفز كثيراً من المختصين في تاريخ البلاغة العربية من الباحثين المعاصرين الذين يُجمعون على أن السكاكي قتل بتعقيداته وتقييدهاته الحياة في البلاغة العربية»^(٢).

لقد كان السكاكي في نظر الجابري ينطلق من نظرة كلية ترى أن علم النحو أو علم البلاغة أو علم الكلام «علوم مترابطة متداخلة بصورة تجعل منها مظاهر أو فروعاً لعلم واحد هو (البيان)، أو على الأقل هي ذات موضوع واحد هو: البيان»^(٣). إن «العلوم التي يتناولها مفتاح السكاكي هي علوم الخطاب، أما ما يتوخاه منه فهو ضبط قوانين هذا الخطاب»^(٤)، وهذا يعني «أن الأشكال البيانية التي كانت من قبل تطرح من خلال الزوج اللفظ / المعنى قد تحولت مع السكاكي إلى إشكالية تطرح من خلال نظام الخطاب / نظام العقل، فالبلاغة التي كانت تقوم من قبل على نشدان التوافق بين اللفظ والمعنى ستصبح مع السكاكي كامنّة في تحقيق التوافق بين نظام الخطاب ونظام العقل»^(٥)؛ ويُفهم من كلام الجابري أن السكاكي عندما تناول علوم الأدب محاولاً أن ينظر إليها من خلال الاستدلال المنطقي فإنه هنا قد جمع بين نظام الخطاب (علوم اللغة)، ونظام العقل (علم المنطق والاستدلال).

وكذلك ينظر د. محمد العمري إلى صنيع السكاكي نظرة إيجابية، مقررًا أن «السكاكي لم يقصد في البداية إلى تأليف كتاب في البلاغة بمفهومها الخاص المتداول، وأول شاهد لذلك عنوان كتابه: مفتاح العلوم... إن الكتاب ليس مفتاحاً

(١) محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص ٨٩.

(٢) محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص ٨٩.

(٣) محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص ٩٠.

(٤) محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص ٩١.

(٥) محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص ٩٢.

لكل العلوم، بل هو مفتاح لعلم واحد، سماه: (علم الأدب). وعلم الأدب على الإطلاق، أو علم الأدب العام هو حصيلة عدة أنواع أو علوم أدبية تبدأ من علمي الصرف والنحو ثم تتوسع إلى علمي المعاني والبيان وما يقتضيان أو يطلبانه من مباحث الاستدلال والشعر»^(١).

والسكاكي حينما استفاد من المنطق في دراسة اللغة والنحو فإنه في نظر العمري «كان يمتنع النحو، أو يُنْحَوْنَ المنطق، فالمنطقة التي يحتلها علم المعاني بين المنطق والنحو هي المنطقة التي لم يستطع النحاة والمناطق الأولى التفاوض الإيجابي حولها، إذ أصرت كل فئة بشأنها على منطق (كل شيء أو لا شيء). وما زالت أصداء مناظرة السيرافي العالم النحوي الكبير ومتى بن يونس شيخ المنطقة في عصره تتردد في أرجاء هذه المنطقة من تنازع اللغة والخطاب... لقد تغيرت الظروف وتكشفت شيئاً فشيئاً منطقة تداخل صالحة لتعايش المنطق والنحو، هذه المنطقة هي التي سميت علمي المعاني والبيان»^(٢).

ويؤكد د. سعد مصلوح أن السكاكي يحاول في كتابه تقديم صيغة جديدة لكيفية الدراسة الأدبية. إن هذه الصيغة التي يقدمها السكاكي تتقاطع مع دراسات الأسلوبية الحديثة في دراستها علم الأدب. لقد «كانت صيغة السكاكي هي عندنا أقرب الصيغ إلى روح العلم، وأجدرها بأن تكون طرفاً في علاقة الحوار بين التراث البلاغي والأسلوبيات اللسانية المعاصرة»^(٣). وعلى هذا يمكن القول «إن صيغة السكاكي لم تكن لتشيخ وتهرم لو أنها فهمت على وجهها من خلال كتابه نفسه، وأنها كانت حقيقة أن تُستنبت بذرتها، وتحظى بالرعاية والسقيا، لتؤتي ثمارها في أرضها وبيئتها الثقافية الطبيعية، وأنها لا تزال أصلح الصيغ

(١) د. محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص ٤٧٩، ٤٨٠.

(٢) د. محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص ٤٨٣، ٤٨٤.

(٣) سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ٢٩.

للاستثمار وإقامة حوار بين العلم الموروث والعلم المستفاد في مجال الأسلوبيات اللسانية»^(١).

وانطلاقاً من هذا التصور يسعى سعد مصلوح «لتقديم صياغة جديدة يتحدد في إطارها موقع صيغة السكاكي من المعالجة الأسلوبية اللسانية للنص الأدبي، والكيفية التي يمكن أن يستفاد بها منها في إقامة جسور الحوار بين التراث والفكر اللساني المعاصر»^(٢). إن هذه الصيغة التي يقدمها مصلوح لعمل السكاكي تردّ «الاعتبار إلى ثلاثيته التي ضَمَّنْها مفتاح العلوم بما هي أوفق الصيغ وأقدرها على محاورة الأسلوبيات اللسانية في تجلياتها ومناهجها المتداولة»^(٣).

لقد رأى مصلوح أن عمل السكاكي يُعدّ واحداً من الجهود المهمة المضيئة التي يمكن أن تقع «تحت ما يمكن أن يسمّى أسلوبيات اللغة؛ وهو المبحث الذي يعالج الطاقات الأسلوبية التعبيرية الكامنة والمحتملة للغة بعينها»^(٤).

إن المتأخرين عندما قصّروا اهتمامهم على القسم الثالث من (مفتاح العلوم) قدّموا السكاكي كما لو كان يؤلّف كتاباً في البلاغة، على الرغم من «أن الإمام ينص بذلك نصّاً على أنه لا يؤلّف كتاباً في علم البلاغة»^(٥). لقد أدّى صنيعهم هذا إلى أن يظهر حديث السكاكي في (المعاني والبيان) «مقطوع الصلة بما سبقه وبما لحقه من حديث، ففوّتوا بذلك على أنفسهم وعلى غيرهم الانتفاع بالكتاب على الوجه الذي أراده له صاحبه، ذلك أن السكاكي لم يهدف إلى إيراد حقائق الصرف والنحو، ثم المعاني والبيان ووجوه التحسين، ثم الاستدلال والشعر لما هي فيه، بل عالجها جميعاً بوصفها بنية منهجية متماسكة تصلح في حال

(١) سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ٤٩.

(٢) سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ٢٩.

(٣) سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ١٦.

(٤) سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ٧٤.

(٥) سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ٥١.

انتظامها لما لا تصلح له حال تفرقها وانفراط عقدها، وبذلك تستحيل المكونات إلى عناصر في منظومة منهجية تشكل متضافرة ملامح علم يسميه الإمام صراحة (علم الأدب)»^(١).

وإذا كانت دراسات البلاغيين المتأخرين ومن دار في فلهم قد فهمت دوران بلاغة السكاكي حول ثلاثية المعاني والبيان والبديع، فإن (مصلوح) يرى «أن الثلاثية الحقيقية التي تشكل نظرية السكاكي في النظر إلى نوع الأدب هي في رأينا الثلاثية المكونة لعلم الأدب، ونعني بها الصرف والنحو والمعاني»^(٢). إن عمل السكاكي كما يقدمه مصلوح ينطلق في النظر إلى الأدب من خلال مستويات التحليل الأسلوبي التي تنادي بها الدراسات اللسانية والأسلوبية، حيث ينظر إلى المستوى الصوتي، ثم الصرفي، ثم التركيبي، ثم الدلالي (البلاغي)، إذ «تنتظم مستويات التحليل في مفهوم السكاكي لوضع علم الأدب في بنية منهجية متماسكة قوامها الثلاثية الأصلية التي يتحقق فيها هذا العلم، وهي الصرف والنحو والمعاني، ثم تأتي سائر العلوم التي ذكرها تابعة لعلم المعاني ومكملة له، وتتخذ هذه المنظومة التحليلية قمة موضوعيتها وانتظامها حين يذكر أن المعالجة الصرفية لا تتم إلا بمقدمة صوتية»^(٣).

إن التلخيص السابق لما يطرحه سعد مصلوح عن عمل السكاكي يكشف كيف أن (مصلوح) يعدّ «الصيغة التي اقترحها السكاكي هي أوفق الصيغ وأوفرها حظاً من النجاح لتكون طرفاً تراثياً في الحوار مع الأسلوبيات المعاصرة»^(٤). إن هذا الأمر يعني أن السكاكي في نظر مصلوح قد قدّم منجزاً علمياً يقترب في صياغته العلمية مع الدرس الأسلوبي، حيث كان السكاكي يحاول التأسيس لفكرة (علم

(١) سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ٥١.

(٢) سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ٥٩.

(٣) سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ٦٤.

(٤) سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ٨٠.

الأدب) ودراسته دراسة علمية بشكل يتقاطع مع ما تقدّمه الدراسات الأسلوبية اليوم، ولكنّ من جاءوا بعد السكاكي هم من أضّرّ بفكرته^(١).

إن الكلام السابق يؤكد أن الدكاترة شوقي ضيف وبدوي طبانة ومحمد أبو موسى -وهم من أبرز العلماء المهتمين بالتراث- قد كان لهم موقف سلبي من أحد رموزه، في حين أن الدكاترة محمد الجابري ومحمد العمري وسعد مصلوح- وهم من العلماء المهتمين بالمعاصرة- كان موقفهم إيجابياً، فقد ظهر تقديرهم للشخصية التراثية أكثر من تقدير العلماء المهتمين بالتراث، وهذا الموقف يكشف بجلاء أن اتصال الباحث بالثقافة الوافدة قد يدفع به إلى إجلال أكبر لتاريخنا البلاغي، وتقدير رموزه وشخصه.

رابعاً: يُبدي بعض الغيورين خوفهم من أن هذه العلوم أو المناهج الغربية قد تشكّل خطراً عند تطبيقها على القرآن، ولذا يقرّر أصحاب هذا الرأي أن «المناداة بالتجديد في ميدان العلوم البلاغية يشوبها الكثير من المخاطر والمحاذير التي تستوجب أن تتحسس لأجلها مواطئ أقدامنا، وأن ننتبه لما يريده عدونا.. وما ذلك إلا لارتباطها أو لا ارتباطاً أساسياً ببلاغة القرآن، ولاستعصائها ثانياً عن الانضواء تحت الحداثة أو أي من مسميات التغيير التي تبغي التوفيق ما بين الرؤى العربية والرؤى الغربية، ولما تتميز به ثالثاً من دقة وخصوصيات لا يمكن معها أن تنصاع لنوازع التجديد الغربية على نحو ما تأثرت به الدراسات الأدبية والنقدية على سبيل المثال»^(٢).

إن ملخص ما يدّعيه النقل السابق هو أن إرثنا البلاغي وحده هو المناسب لدراسة بلاغة القرآن؛ لأن الاستفادة من علوم الغرب تشكل خطراً على القرآن الكريم، وعلى لغته التي جاءت معرفتها الحقّة عن طريق البلاغة العربية،

(١) ينظر: سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ٦٥.

(٢) د. محمد دسوقي، موروثة البلاغي والأسلوبيات الحديثة، ص ١٠.

كما يشكل خطرًا على التراث أيضًا؛ لأن هذه المناهج الغربية الجديدة قد جاءت مستجيبة لسياق ثقافي وحضاري وفكري معين، وبالتالي فإن إدخالها إلى الدراسات العربية قد يؤدي إلى تسلل تلك الثقافات وتلك الأفكار التي لا تتناسب مع ثقافتنا الإسلامية وقرآننا العظيم.

إنه لمن الواضح عند تأمل تاريخنا البلاغي وجود بعض المحاولات التراثية لنفي وقوع بعض الظواهر البلاغية العربية في القرآن الكريم، كالسجع والمجاز والتورية وغيرها. وإذا كان هذا التحفظ قد ظهر قديمًا مع ظواهر أو فنون بلاغية تعدّ أصيلة في العربية، فلا غرابة إذن أن يوجد من يتخوّف على القرآن من بعض المقاربات أو الظواهر البلاغية غير العربية (كالتسيمائية أو التناسخ أو الحجاج إلخ)، ويسعى إلى نفيها من القرآن؛ خوفًا على القرآن من التحريف أو التشويه أو سوء الفهم.

إنه لابد من تأكيد أن دراسة النظم القرآني تتطلب وجود آداب وضوابط لابد من الالتزام بها، فمن أراد أن يدرس القرآن الكريم أيًا كان نوع دراسته: تاريخية أو جغرافية أو إدارية أو بلاغية، فإنه محتاج إلى هذه الآداب والضوابط، سواء أكان سيدرس القرآن وفق طرائق التراث، أم وفق النظريات المعاصرة.

والقول بوجود شروط خاصة لدراسة البلاغة القرآنية ليس خاصًا بالمناهج المعاصرة أو النظريات المعاصرة، ولكن حتى تلك الدراسات التراثية التي تدرس القرآن الكريم من منظور البلاغة العربية التراثية يجب عليها الالتزام بهذه الشروط والآداب.

إن استخدام المقاربات والمناهج المعاصرة في دراستنا لبلاغة القرآن استخدامًا يحترم جلاله القرآن وقديسيته وربانيته لا يمثل مشكلة على الإطلاق. ومن يدعو إلى أن تقتصر في دراسة القرآن على البلاغة العربية، ويرفض استخدام المقاربات والرؤى المعاصرة، ينسى أن علم البلاغة العربية هو منجز بشري قد وُجد بعد

القرآن بقرون، ومع هذا استخدم هذا العمل البشري في فهم القرآن الكريم ودراسة بلاغته؛ وعلى هذا يمكن القول إن أي منجز بشري يدرس اللغة ودقائقها ممّا يمكنه أن يقف بنا على شيء من بلاغة القرآن وروعته وإعجازه يمكننا الأخذ به.

وقد يتذرع بعضهم بوجود دراسات استندت إلى المقاربات المعاصرة في الإساءة إلى القرآن، وإهدار قداسته، والرد على هذا القول يسيراً، إذ يمكن القول إن المشكلة ليست في المنهج الوافد نفسه، ولكن فيمن يطبق المنهج، فإذا كان الذي يطبق المنهج لم يلتزم بأداب الدراسة القرآنية وضوابطها، فإنه قد ينتج عن استخدامه المنهج الإساءة إلى القرآن، وأما إذا كان ممن يراعي الضوابط والآداب فإنه سيستخدم المنهج بما يبرز جمال القرآن الكريم وروعته وجلاله. وهناك قدر لا يحصى من الدراسات البلاغية التي طبقت مفاهيم ومناهج معاصرة على القرآن وخرجت بنتائج تسر الناظرين.

منها على سبيل المثال:

الحجاج في القرآن، د. عبدالله صوله

البيان في روائع القرآن (دراسة لسانية وأسلوبية)، د. تمام حسان.

نظام الخطاب القرآني، دراسة سيمائية، د. عبدالملك مرتاض.

التناسق القرآني، د. ياسر رضوان.

وغیرها كثير.

إن الذي يبدو لي -والله تعالى أعلم- ألا مشكلة في تفاعل تراثنا البلاغي مع المنهج أو المقاربة المعاصرة عند دراستنا بلاغة القرآن إذا كنّا سنلتزم بأداب وشروط التعامل مع القرآن الكريم، بل إنني أظن أنه يمكن استخدام هذه المناهج والمقاربات المعاصرة للكشف عن وجوه جديدة من وجوه الإعجاز والجلال والجمال في القرآن الكريم.



الخاتمة:

حاول العرض السابق الكشف عن أهمية التفاعل المعرفي بين إرثنا البلاغي والثقافة الوافدة الجديدة، ويُن أن ذلك سيكون في صالح إرثنا البلاغي، وإمداده بأسباب الحياة التي تكفل لنا الاستفادة المثلى منه في حاضرتنا ومستقبلنا متى ما التزمنا بالضوابط والشروط، وأما المخاوف والمحاذير التي تُطرح حول ذلك فإنها متأثرة بصورة الغرب الاستعماري والاستشراقي، أو من تأثر بها من الباحثين العرب. أسفل النموذج

ويمكن الإشارة هنا إلى أهم النتائج التي خلص إليها البحث:

١. أسهم التفاعل المعرفي مع الوافد الأجنبي في نموّ البلاغة العربية خلال أطوارها المختلفة، فقد استطاع العرب آنذاك أن يصهرُوا كل تلك المؤثرات الوافدة، وأن يستفيدوا منها في تطوير علومهم التي ندرسها اليوم، وفي هذا تأكيد على ضرورة الانفتاح على الوافد الثقافي لا بطريق النسخ أو النقل المجرد، ولكن عبر التفاعل والتلاقح المعرفي.
٢. إن الاستفادة من العلوم الوافدة تبدو ضرورية في دراسة أدبنا وعلومنا ولغتنا، حيث سيسهم هذا المصباح الأجنبي الجديد في تبصيرنا بمواضع في تراثنا قد نكون غفلنا عنها، وفي إمدادنا بأدوات وآليات جديدة تعيننا على استيعاب هذا التراث وفهمه.
٣. يحسُن أن يتركز اهتمامنا على تبني أكثر المقاربات تحقيقًا لمقاصد دراسة التاريخ وتوظيفاته المرادة في حياة الناس، إذ يفترض الاهتمام بتفاعل العلوم المعاصرة الوافدة مع تاريخنا؛ لأن هذا هو الذي يلبي رؤى الحاضر وتطلّعات المستقبل ويعزّز هوية الماضي.

٤. التقليل من بعض رؤى تاريخنا البلاغي، أو الانتقاص من رجالاته، أو جهود علمائه، يبقى خاضعاً لظرفه التاريخي، وفي ظروف أخرى قد يثبت عكسه تماماً، ولذا يحسن الابتعاد عن انتقاص التراث العربي إجمالاً، أو التقليل من رموزه وشخصياته البارزة.

٥. ثمة رؤية خلاقة في تراثنا العربي يمكن استثمارها والاستفادة منها في دراساتنا اليوم، وهو ما يمكن تسميته بـ (تجديد الأصيل)، كما أن هناك رؤية مبدعة جاءت بها الدراسات والمقاربات المعاصرة يمكن الاستفادة منها عبر تأصيل حضورها في تاريخنا وتراثنا البلاغي، وهو ما يمكن تسميته بـ (تأصيل الجديد).

٦. إنه ومع كل التقدير والاحترام لحماس الفريق الذين رفضوا تفاعل بلاغتنا مع الوافد الثقافي المعاصر؛ بسبب خوفهم على القرآن والدين والتراث، إلا أن الإنسان الجاد المنصف المتجرد يدرك أن التزامنا بالاحترام والتقدير لديننا وقرآننا وتراثنا يضمن الاستفادة من هذه الثقافة الوافدة الجديدة وتطويعها لخدمة قيمنا ومبادئنا، وبما يتناسب مع سياقنا العربي والإسلامي.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد ،،،

فهرس المصادر والمراجع:

- د. إبراهيم التركي، البلاغة العربية والتوظيف الأسلوبي، الرياض، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٤٣هـ ٢٠٢١م.
- إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطوبين العرب واليونان، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٣٧٠هـ ١٩٥٠م.
- د. أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
- أحمد هدي جمعة منهل، أثر الحضارة الأجنبية في الشعر الجاهلي، جامعة الخرطوم، بحث مقدم إلى كلية الدراسات العليا لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، ١٤٣٢هـ ٢٠١٠م.
- د. أحمد يوسف، البلاغة العربية، قراءة القراءة، الأردن، الآن للنشر والتوزيع، ١٤٤٠هـ ٢٠١٨م.
- إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة: د. محمد عناني، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
- بدوي طبانه، البيان العربي، السعودية، دار المنارة، دار الرفاعي، ط ٧، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٥، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
- د. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، منشورات الجامعة التونسية، ١٤٠٢هـ ١٩٨١م.

- د. سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة، الكويت، جامعة الكويت، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، القاهرة، دار المعارف، ط٩، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
- د. صلاح فضل، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.
- د. عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت.
- د. عبد العظيم المطعني، علم الأسلوب في الدراسات الأدبية والنقدية، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٢٢هـ.
- قدامة بن جعفر، نقد النثر (منسوب له)، تحقيق عبد الحميد العبادي، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣٦٠هـ ١٩٤١م. وفي أوله بحث للدكتور طه حسين (في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر).
- مجلة الخطاب، تيزي وزو، الجزائر، من منشورات جامعة مولود معمري، عدد: ٢١، ١٤٣٨هـ ٢٠١٦م.
- د. محمد أبو موسى:
- الإعجاز البلاغي، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، مصر، دار الفكر العربي، د.ت.
- دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
- د. محمد دسوقي، موروثنا البلاغي والأسلوبيات الحديثة، دراسة وموازنة، القاهرة، دار اليسر، د.ت.



- د. محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، ١٤٣١هـ - ٢٠٠٩م.
- د. محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- محمود شاكر:
- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت.
- المتنبي، شركة القدس للنشر والتوزيع، د. ت.
- مداخل إعجاز القرآن، جدة، دار المديني، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

References

- Dr.'librahim alturki, albalaghat alearabiat waltawzif al'uslubi, jamieat al'iimam muhamad bin saeud, alrayad, eimadat albahth aleilmi, 1443h 2021m.
- 'librahim salamata, balaghat 'aristu bayn alearab walyunan, maktabat al'iinjilu almisriati, 1370h 1950m.
- DR. Ahmad matluba, eabd alqahir aljirjani, balaghatah wanaqduhu, alkuayta, wikalat almatbueati, 1393h 1973m.
- Ahmad hady jumeat munhali, athar alhadarat al'ajniabat fi alshier aljahili, jamieat alkhartum, bahath muqadam 'ilaa kuliyyat aldirasat aleulya linayl darajat aldukturah fi allughat alearabiat, 1432h 2010m.
- DR. Ahmad yusif, albalaghat alearabiatu, qira'at alqira'ati, al'urduni, alan llnashr waltawziei, 1440h 2018m.
- Eidward saeid, aliastishraq, tarjamatu: dr.muhamad eanani, alqahirat, ruyat llnashr waltawzie, 1427h 2006m.
- Bidawii tabaanihu, albayyan alearabii, alsueudiati, dar almanarati, dar alrafaeii, ta7, 1409h 1988m.
- Aljahiz, albayyan waltabyinu, tahqiq eabdalsalam harun, alqahirat, maktabat alkhajji, ta5, 1405h 1985m.
- DR. Hamadi samud, altafikir albalaghiu eind alearabi, manshurat aljamieat altuwnusiati, 1402h 1981m.
- DR. Saed masluh, fi albalaghat alearabiat wal'uslubiaat allisaniati, afaq jadidatun, alkuaytu, jamieat alkuayt, t.1, 1424h 2003m.
- Shawqi dayfa, albalaghat tatawur watarikhun, alqahirat, dar almaearifi, ta9, 1416h 1995m.



- DR.Salah fadala, ealam al'uslub, mabadiah wa'ijra'atihi, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, ta2, 1406h 1985m.
- DR. Aabdialeaziz eatiqu, fi tarikh albalaghat alearabiati, bayrut, dar alnahdat alearabiati, da.t.
- DR. Abdialeazim almuteani, eilm al'uslub fi aldirasat al'adabiat walnaqdiati, alqahirati, maktabat wahbata, 1422h.
- Qudamat bin jaefar, naqd alnathr, tahqiq eabdalhamid aleabaadi, alqahirati, almatbaeat al'amiriat, 1360h 1941m. wafi 'awalih bahath lilduktur tah husayn (fi albayan alearabiu min aljahiz 'ilaa eabd alqahir).
- majalat alkhatabi, tizi wazaw, aljazayar, min manshurat jamieat mawlud miemiri, eadam:21, 1438h 2016m.
- DR. Muhamad 'abu musaa:
 - al'iejaz albalaghi, dirasat tahliliat liturath 'ahl aleilmi, alqahirati, maktabat wahabata, ta1, 1405h 1984m.
 - albalaghat alquraniat fi tafsir alzumakhshari, masr, dar alfikr alearabii, da.t.
 - dalalat altarakibi, dirasat bilaghiati, maktabat wahbata, ta2, 1408h 1987m.
- DR. Muhamad dasuqi, mawruthna albalaghiu wal'uslubiaat alhadithatu, dirasat wamuazanatu, alqahirati, dar alyusri, da.t.
- DR. Muhamad eabid aljabri, binyat aleaql alearabii, bayrut, markaz dirasat alwahdat alearabiati, ta2, 1431h 2009m.
- DR. Muhamad aleamri, albalaghat alearabiati, 'usuluha waimtidadatiha, aldaar albayda', 'afriqia alsharqa, 1420h 1999m.
- Mahmud shakir:
 - risalat fi altariq 'ilaa thaqafatina, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, d.t.
 - almutanabi, sharikat alquds llnashr waltawziei, d.t.
 - madakhil 'iejaz alqurani, jidata, dar almadni, 1423h 2002m.

الضمنيُّ أو كيف «نقول دون أن نقول»^(١)؟ قراءة في مفهوم التلميح^(٢) عند ديكرود

أ.د. بسمة بلحاج رحومة

جامعة القصيم

(قدم للنشر في ١٤٤٤/٠٦/٠٦ هـ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٠٨/٢١ هـ ونشر في ١٤٤٥/٠٤/٠١ هـ)

(١) هي عبارة استعملها ديكرود (Ducrot)؛ ليختزل بها أهم ما يحدّد التلميح ويميّزه من أنواع الضمنيّ الأخرى، وقد وردت هذه العبارة في كتاب حمل عنوانه بعضاً منها، هو كتاب «نقول ولا نقول»

Ducrot (Oswald) : Dire et ne pas dire - Principes de sémantique linguistique ;
Herman, Paris 1972, p15

(٢) التلميح مصطلح نترجم به المصطلح الفرنسي الذي استعمله ديكرود: Sous – entendu، وهي الترجمة التي أجمع عليها عدد من الأساتذة الباحثين في اللسانيّات (راجع: ترجمة مجموعة من الأساتذة الباحثين بإشراف عزّ الدين المجذوب، القاموس الموسوعي للتداوليّة، ص ٦٥٠).

ويجدر التنبيه إلى أنّ لفظ التلميح من المصطلحات البلاغيّة العربيّة، لكنّ المقصود به عند ديكرود غير المقصود به عند البلاغيّين العرب؛ لذا حرصنا على ربط المفهوم بديكرود منذ العنوان احترازاً من أن يُعتقَد أنّ البحث في مفهوم التلميح عمومًا في تصوّره العربي والغربيّ، غير أنّ ذلك لا ينفي أن يكون بين التصرّوين اتّفاق ما، وإلاّ لما كان اختيار هذا المصطلح دون غيره من المصطلحات التي قد تبدو قريبة منه في تأدية المفهوم، (مثل: الإيحاء أو الإشارة...)، ولا شكّ أنّ الوقوف على وجه الاتّفاق هذا من المسائل المهمّة، غير أنّ حدود هذا البحث تضيق عن التطرّق إليه، ولعلّ الأليق بهذه المسألة أن يُخصّص لها بحث يُفردها بالدرس والتّحصيل.



ملخص البحث

يقدم هذا البحث مقارنة رائد اللسانيات التداولية الفرنسي أوزوالد ديكرول لضرب من ضروب ضمنيّات القول اصطلاح عليه بـ «التلميح». وصنّفه ضمن ضمنيّات الخطاب المؤسّسة على التلفّظ ليميّزه، في الآن نفسه، من ضمنيّات الجملة المسجّلة في اللّغة ممّا اصطلاح عليه بـ «الاقتضاء»، ومن ضمنيّات الخطاب الواقعة في مستوى الملفوظ. فالتلميح عند ديكرول طريقة في تأدية المعنى يتوخاها المتكلّم متى التقت عنده حاجتان متناقضتان هما حاجته إلى قول الشيء وحاجته إلى إخفائه في الآن نفسه. وقد انطلق هذا اللساني من فرضيّة أساسيّة اعتبرها قانونًا من قوانين الخطاب مفادها أنّ وراء كلّ قول سببًا داعيًا إليه، واستلهم من ضرب مخصوص من الأقوال، ممّا سُمّي بالفاظ الانفعال، طريقتها في تأدية المقاصد لينزل ما يقوله المتكلّم ويظهر في ملفوظه منزلة الشاهد الظاهر على سبب قوله الخفيّ الذي يتعمّد القائل إخفائه ويعمل في الآن نفسه على أن يتعرّف عليه مخاطبه. فيكون بذلك قد قاله، بأن جعل ملفوظه شاهدًا عليه، دون أن يقوله صراحة ويخبر عنه. والجدوى من تويحيّ طريق التلميح أن يُنكر المتكلّم قصده إلى التلميح عند الحاجة إلى الإنكار محتميًا في ذلك بمدلول ملفوظه الحرفيّ، أو أن يؤكّد قصده إليه متى اقتضى المقام ذلك محتجًا بشهادة ملفوظه عليه، فيكون بذلك قد استفاد من نجاعة القول وبراءة الصمت في الآن نفسه. ولإبراز وجه الفائدة من العناية بهذه المقاربة الحديثة للتلميح؛ تمّ إجراء هذا المفهوم على نموذجين من الخطاب للاستدلال على ما يمكن أن يجنيه المشتغل على تحليل الخطاب من مواكبة البحث اللساني الحديث وإجراء أدواته من ناحية، وعلى الدور الخطير الذي يلعبه التلميح في إدارة الخصومات والنزاعات وسياسة التواصل بسياسة القول من ناحية ثانية.

الكلمات المفتاحية:

تلميح، ضمني، خطاب، ملفوظ، تلفّظ.

The implicit or «how to say without saying» À studing for the concept of Implication according to Ducrot.

Prof. Basma ben haj rehouma.
Qassim University

Abstract:

This paper deals with the approach of Oswald Ducrot, the French linguistic pragmatics pioneer, to one type of the implicit commonly known as « implication ». It is a type of discourse implicit based on utterance and has to be distinguished, on one hand, from the sentence implicit recorded in the language system and commonly known as « presupposition », and, on the other hand, from the implicit encoded at the statement level. According to Ducrot, implication is a way of conveying the meaning that the speaker adopts when two contradictory demands meet, namely the need to say something and the need to hide it at the same time. The starting point of Ducrot, which is a working hypothesis and a discourse law at the same time, is that there is an underlying reason behind every utterance. Inspired by the way the so-called « emotional terms » convey meanings, he considers the explicit statement in the utterance of the speaker as a cue for the hidden meaning that he tries to conceal while attempting deliberately to make it recognizable by the hearer at the same time, as if he would have said it without saying it explicitly. Adopting the implication strategy allows the speaker either to deny the implied meaning, when necessary, falling back on the literal meaning of his statement, or to confirm his intent to mean it if that is required by the situation, relying on what is indicated by the statement itself. In doing so, the speaker benefits from the advantages of speaking and the innocence of being silent at the same time.

In order to highlight the importance of this approach to implication, the concept was applied to a couple of discourse types. Our goal is to show, on one hand, the benefits that can be reached in implementing modern linguistic tools in the field of discourse analysis, and to highlight, on the other hand, the crucial role that implication plays in coping with disputes and conflicts and managing communication by managing our way of speaking.

Keywords:

Implication, implicit, discourse, statement, utterance.

المقدمة:

لم تزل مسألة الضمني تشغل المهتمين بالخطاب والمنصرفين إلى تحليل لغته وتأويل مقاصده بمختلف مشاربهم وتباين أهدافهم. وهو ما جعل هذا المبحث يقع في مفترق تخصصات عدة، وإن كانت العناية بالضمني وكشف أسرارهِ وتبيين تجلياتهِ في بعض هذه التخصصات جزءاً من موضوعها وهدفاً من أهدافها، في حين لا تمثل في بعضها الآخر سوى سبيل إلى بلوغ مقاصد أخرى تقتضيها طبيعة موضوعها وتستلزمها أهدافها المرسومة سلفاً^(١). ونَجَمَ عن هذا اختلاف في زوايا النظر أفضى إلى تعدد في المقاربات؛ جعل «الضمني» يتلون حدّاً وتفسيراً وتصنيفاً بتلون التخصصات والمقاربات، فتنوّعت أوجهه وتباينت طرق الاصطلاح عليه. ولهذا يعسر على الباحث أن يعالج مسألة الضمني في كلّ تجلياتهِ دون أن يراعي في ذلك الاختلاف في الاعتبار الذي أدّى إلى الفروق في العبارات^(٢).

(١) إنّ تقاطع التخصصات في العناية بمعاني الأقوال عمومًا، والاهتمام بضمنياتها خصوصًا، ظاهرة قديمة قدم الاشتغال على هذا المبحث. فقد لاحظ البلاغيون العرب ما سمّوه «تداخلًا» بين علم المعاني وعلوم عربيّة أخرى، كالنحو وعلم أصول الفقه، وتداولوا في المسألة، وكانت غايتهم من ذلك الاستدلال على استقلال علم البلاغة رغم تقاطعه مع تلك العلوم. (لمزيد التوسّع في هذه المسألة، انظر: بسمة بلحاج رحومة الشكلي، السؤال البلاغي - الإنشاء والتأويل، ص ١٤-١٥). وكان الحلّ الذي توصّلوا إليه في التمييز بين العلوم هو اختلافها في ما سمّوه «مقصودًا ذاتيًا»؛ فالمقصود الذاتي للبلاغة هو البحث في المعنى، وهي تتوقف عليه، بينما المقصود الذاتي لعلم الأصول - مثلاً - هو استنباط الأحكام الشرعية. واشتراك هذا العلم مع علم المعاني في المبحث ليس من حيث إنّهُ يتوقّف عليه، بل من حيث استفادته من ثمراته لتحقيق مقصوده الذاتي (في التمييز بين العلوم من حيث مقصودها الذاتي، وفي التفريق بين «التوقّف على العلوم» و«التوقّف على ثمرات العلوم»، راجع: بسمة بلحاج رحومة الشكلي، المنوال البلاغي العربي من البناء القائم إلى البناء الممكن، مخبر نحو الخطاب وبلاغة التداول، ص ٤٥ - ٤٨).

(٢) راجع في التمثيل لتأثير الاختلاف بين زوايا النظر في تأويل الضمني وتقسيم أنواعه والاصطلاح عليه، والاختلاف بين البلاغيين والأصوليين في تأويل بعض المعاني الثواني: خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحويّة تداوليّة، ص ٤٢٧، ٤٦٢.



وليس الأمر أقلّ تعقيداً إذا ما تجاوزنا التباين بين التخصّصات في معالجة الضمنيّ إلى النظر في مقارنته داخل التخصّص الواحد. فنحن نلاحظ أنّ اللسانيّات في توجّهاها التداوليّ - مثلاً - التي اتّحدت في موضوعها باعتبارها تُعنى بدراسة اللغة، وتسعى إلى بناء أجهزة تفسيرية لتأويل دلالاتها، قد تباينت نظريّاتها في مقارنة الضمنيّ، وتعدّدت مناويلها في تفسيره وتصنيفه، واختلفت اصطلاحاتها على أوجهه^(١). وإذا تعدّرت على الباحث الواحد أن يواجه هذا الواقع اللسانيّ المعقّد، وتستعصي عليه الإحاطة بكلّ تلك المقاربات في تعدّدها وتشعبها وتباين أجهزتها الاصطلاحية والمفهومية، فإنّه مدعوّ - إن هو تصدّى إلى هذه المسألة - إلى رسم حدود لبثته، فيتخيّر من تلك المناويل مجالاً للمعالجة، ويعيّن من بين ما تقترحه من أوجه للضمنيّ موضوعاً للنظر.

واعتباراً لكلّ ما سبق؛ اخترنا في بحثنا هذا عن الضمنيّ اللسانيّات التداولية مجالاً للنظر، و«التلميح» موضوعاً.

ويعود اختيار هذه المقاربة إلى أنّ الفضل فيما شهدته المبحث الدلاليّ حديثاً من تطوّر، وما حظي به الضمنيّ - بالخصوص - من عناية، يعود إلى التقاء اللسانيّات بالتداولية. فقد مثّل ظهور التداولية منعرجاً في تصوّر اللغة، وكان من أهمّ آثارها تقويض المسلّمة الراسخة في التقاليد الفلسفية واللسانية - حول وظيفة اللغة

(١) اختلف التداوليون - بحسب تصوّرهم للغة - في تفسير ضمنيّات القول وتصنيفها والاصطلاح عليها. فقد سمّاها سورل (Searle) - مثلاً - «أعمالاً لغوية غير مباشرة» (Actes de langage indirect)، وقسّمها ديكر إلى أنواع، استناداً إلى تمييزه بين الملفوظ والتلفّظ، ممّا سنترعّض إليه في هذا البحث، وعالجها غرايس (Grice) وفق تصوّر مختلف قام على مفهوم «التعامل اللغويّ» (Interaction verbale) الذي بنى عليه نظرية في المحادثة، فاصطلح على الضمنيّات بـ «الاستلزمات المحادثية» (Implicatures). وقد جمعت أوريكيوني مختلف هذه المناويل ووقفت على الفروق بينها من حيث تصوّرها وأجهزتها الاصطلاحية والمفهومية

. (Kerbrat - Orechioni (Catherine): L'implicite, Armand colin, Paris, 2ème ED, 1998)

وعلاقتها بمستعملها - والقاضية بأنّ اللغة مجرد وسيلة يتخذها المتكلم لحكاية الواقع ووصفه، ويستعملها المتخاطبون لتبادل المعلومات. وفي المقابل قدّمت التداوليّة تصوّراً بديلاً استعاض عن الوظيفة الوصفية بالوظيفة الإنجازية، وعن الأقوال بالأعمال اللغوية، وأعاد الاعتبار إلى الاستعمال ومقاماته، وصرف الاهتمام إلى المتكلم ومقاصده؛ وبذلك كشفت عن وهم القول بنقصان اللغة الطبيعية وقصورها عن الإيفاء بمقاصد مستعملها، وخاصّة ما خفي منها، وبرهنت على أنّ قدرة اللغة على إخفاء المعاني لا تقلّ عن قدرتها على التصريح بها - إن لم تكن تفوقها - وعلى أنّ الإنسان لا يعبر دائماً عن مقاصده بطريقة مباشرة بل إنّ «لا يعبر أبداً تعبيراً مباشراً»^(١).

وإذا كانت التداوليّة قد نشأت في العالم الإنجلوسكسوني على يد الفلاسفة^(٢)، فإنّ تطوُّرها في العالم الفرنكوفوني - وخاصّة في فرنسا - كان على يد اللسانيين، وكان ديكرو رائد هذا التوجّه اللسانيّ التداولي، وهو توجّه يعكس في الآن نفسه فضل التداوليّة على اللسانيّات، وفضل اللسانيّات على التداوليّة؛ فهو من ناحية مثال لما غنمته اللسانيّات من التقائها بالتداوليّة، وما أثمره هذا اللقاء في المبحث الدلاليّ، وهو من ناحية أخرى أنموذج لما أفادته التداوليّة من اللسانيّات بما اقترحه ديكرو من مراجعات للتصوّر الكلاسيكيّ للعمل اللغويّ، ومن ثمّة للدلالة عموماً وللضمنيّ منها خصوصاً.

وإذا نظرنا في مشروع ديكرو وبخشنا في أسرار اختلافه عن المشروع التداوليّ الكلاسيكيّ الذي منه انطلق وعليه تأسّس؛ تبين لنا أنّ هذا الاختلاف عائد في أساسه إلى تصوّر اللغة وتحديد علاقتها بمستعملها، وهذا التصوّر هو الذي يحكم طبيعة

(١) السابق، ص ٥.

(٢) يُعيد الدارسون نشأة التداوليّة حديثاً إلى الفيلسوف الإنجليزي أوستين (Austin). راجع في نشأة التداوليّة وجذورها: ترجمة مجموعة من الأساتذة الباحثين بإشراف عزّ الدين المجذوب، القاموس الموسوعيّ للتداوليّة، ص ٤٦-٥٦.



الأجوبة التي يقدمها كلّ لسانيّ من منظوره الخاصّ، عن أسئلة لسانية عامّة تشغل كلّ من يتصدّى إلى البحث في هذه المسألة. وتدور هذه الأسئلة حول ثلاث قضايا:

أ - طبيعة المكوّن اللغويّ (Composant linguistique): فبحسب تصوّر اللسانيّ لطبيعة هذا المكوّن يكون تصوّره لعلاقته بمعناه ودوره في عمليّة التأويل، ويكون تحديده للمقصود بـ «القول» (Le dire).

ب - علاقة القول بمحيط استعماله: فبحسب تصوّر اللسانيّ لهذه العلاقة يكون تحديده لحظّ كلّ من القول والمقام في إنشاء المعنى وتأويله.

ج - حدّ الصريح: فبحسب تصوّر اللسانيّ للصريح يكون تحديده للضمنيّ وضبطه لطبيعة العلاقة القائمة بينهما.

وإذا عرفنا أنّ اختلاف المقاربات راجع إلى اختلاف الأجوبة عن هذه الأسئلة، وأنّ هذا الاختلاف في الأجوبة راجع بدوره إلى الاختلاف في تصوّر اللغة وما تقوم به من وظائف، أدركنا أنّ التعرّض إلى مقارنة ديكر للضمنيّات عمومًا وللتلميح خصوصًا موقوف على التعرّض إلى تصوّره المخصوص للغة؛ لذا رأينا أن نبدأ بحثنا هذا بالنظر في حدّ ديكر للغة وتصوره لوظيفتها؛ ليكون ذلك أساسًا لفهم قراءته للضمنيّ وتحديد موقع التلميح منه، ومنطلقًا لتبيين قانون هذا الوجه من وجوه ضمنيّات القول.

ولمّا كان هذا القانون مبنياً عند ديكر على فهم مخصوص لـ «القول» كان موجّهًا لتصوره للدلالة عمومًا وللضمنيّات خصوصًا؛ فقد كان لزامًا علينا لغاية استكمال البحث في التلميح الوقوف على هذا المفهوم، وإبراز دوره الحاسم في فهم هذا الوجه والكشف عن الخصائص التي تميّزه من وجوه الضمنيّات الأخرى، وحتى لا يبقى البحث مقصوراً على تقديم الظاهرة، مكتفياً بوصفها؛ رأينا أن نخصّص الفقرة الأخيرة منه لبيان فوائد اللجوء إلى التلميح في الخطاب واستتبعاته، انطلاقاً من مثال أردناه كاشفاً عن الوجه الإجرائيّ لما عرضناه نظرياً.

١- اللغة: حدّها ووظيفتها لدى ديكرو:

تكمّن خصوصيّة ديكرو في تصوّره للّغة وما تقوم به وظائف،
في أمرين اثنين:

أ- يتمثّل أولهما في تبنيّه لمفهوم العمل اللغويّ، فقد نحا هذا اللسانيّ نحو التوجّه التداوليّ الكلاسيكيّ في مراجعة التصرّور السائد للّغة، ومفاد هذا التصرّور أنّ اللغة رموز يتوسّل بها مستعملوها لتمثيل الواقع وحكايته، ويستخدمونها لتبادل المعلومات فيما بينهم. وبما أنّ الرمز في أصل تعريفه من جنس ما يقول الشيء كليّاً أو لا يقوله البتّة، فإنّ القول إنّ اللغة من جنس الرموز يستلزم:

- أنّ ما تعبّر عنه اللغة لا يكون إلّا من جهة التصريح، وهذا يعني بالضرورة أنّها تقصّر عن تأدية المقاصد الخفيّة؛ أي أنّها لا تمكّن مستعملها من قول ما يريدون إخفاءه^(١).

- أنّ كلّ ما تعود إليه المقاصد من أسباب باعثة على تأديتها، وكلّ ما يترتب عليها من آثار يُعدّ خارجاً عن اللغة.

فالأمر مثلاً بحسب التصرّور الترميزيّ للّغة هو من يُعلم مخاطبه برغبته في الشيء، أمّا ما يقوم عليه الأمر من دلالة على الاستعلاء وما يترتب عليه من آثار كالإلزام بالاستجابة، فهي أمور من خارج اللغة ومما لا يمكن الاستدلال عليه بها. وهي من ثمة واقعة خارج دائرة اهتمام اللسانيّ. وعلى هذا الأساس تمّ حصر التواصل في ضرب واحد من العلاقات البيّناتية هو تبادل المعلومات.

أمّا مفهوم العمل اللغويّ الذي تبناه ديكرو، فيقوم على تصوّر مفاده أنّ اللغة تغيير الواقع؛ إذ الأقوال هي أعمال ينجزها المتكلّم باللغة، وبما أنّ «العمل» - في

(1) Ducrot, Dire et ne pas dire, 1972, p 5

أصل تعريفه - مغير لحالة الأشياء في الكون، فإنّ المتكلّم ليس مجرد ناقل للواقع ليُخبر به مخاطبه بل هو فاعل فيه مغير لحالته. وعلى هذا الأساس ينتفي أن يكون التواصل تبادلاً للمعلومات ليصبح تغييراً مستمراً ومتبادلاً لأحوال المتخاطبين، وهو ما يستلزم اعتبار الأسباب الدافعة إلى الأعمال المنجزة والآثار المترتبة عليها ملحقّة باللغة، ويجعل الاشتغال عليها من صميم البحث اللسانيّ.

ب- ويتمثّل الأمر الثاني الذي ميّز تصوّر ديكر للغة في أنّه لم يتبنّ التصرّ الكلاسيكيّ للعمل اللغويّ، وإنّ تبنيّ المفهوم. وجوهر الاختلاف بينهما كامن في أنّ ديكر قد تحوّل بالعمل اللغويّ من التصرّ الواقعيّ إلى التصرّ المثاليّ، فليس هذا العمل - بالنسبة إليه - ترجمة لغويّة لما ينجزه المتكلّم حقيقة في الواقع، وليست التغيرات التي يوقعها والآثار التي يحدثها واقعيّة؛ ذلك أنّ دور اللغة - حسب ديكر - يكمن في توفير إطار مؤسّسيّ يمكن مستعملها من تقمّص أدوار وفق قواعد تنظّمها وتضبط القوانين المسيّرة للعلاقات القائمة بين المتخاطبين. وبهذا الاعتبار، فإنّ ما يتلفّظ به المتكلّم - أي «الملفوظ» (Énoncé) - من حيث هو «إنجاز مخصوص للجملة في شكل صوتيّ محدّد وفي نقطة معيّنة من الفضاء والزمن»، ليس رموزاً مُشفّرة للمعنى، ولا هو تمثيل للعمل المنجز في الواقع، بل هو صورة للدور الذي يتقمّصه المتكلّم لحظة «التلفّظ» (Énonciation) من حيث هو «الحدث التاريخيّ المتمثّل في إنجاز الملفوظ وإظهاره»⁽¹⁾.

وبما أنّ دور الملفوظ يقتصر على إحضار التلفّظ؛ فإنّ المرجع في تحديد الأعمال المنجزة ليس إلى الجملة المنجزة به، بل إلى التلفّظ المنعكسة صورته في الملفوظ؛ ذلك أنّ المكوّن اللغويّ ممثلاً في الجملة باعتبارها وحدة نظريّة مجردة، ليس كافياً ولا ضرورياً لتحديد العمل المنجز في القول، بل غاية ما نظفر به من هذا المكوّن هو «الدلالة» (Signification) باعتبارها القيمة الدلاليّة المسندة إلى الجملة،

(1) Ducrot, Dire et ne pas dire, 1991, p 280299-.

وهذه الدلالة «ليست شيئاً يُبلَّغ أو يقال»^(١)، إنما هي تعليمات تحدّد وجهة التأويل وتسمح بالتكهّن بالمعنى (Sens) باعتباره القيمة الدلالية المسندة إلى الملفوظ، وهذا المعنى لا يمكن الحسم فيه إلا بتدخّل المكوّن البلاغيّ (Composant rhétorique) المتمثّل في ما يوفّره مقام الإنجاز من معطيات من ناحية، وما تتيحه قوانين الخطاب من إمكانات من ناحية ثانية.

وتترتّب عن كون وظيفة الملفوظ محصورة في تقديم صورة عن العمل الذي ينجزه المتكلّم لحظة التلقّف به، وكون هذا العمل المنجز ليس سوى دور يلعبه هذا المتكلّم، نتيجتان اثنتان:

- تتمثّل النتيجة الأولى في أنّ الصورة التي يعكسها الملفوظ قد لا تطابق -بالضرورة- ما ينجزه المتكلّم في الواقع، ولا توافق حتمًا ما يقصده وما يعترزم إحداه من آثار في مخاطبه حقيقة؛ ومن هنا كان مفهوم «الإحالة الذاتية» (Suis-référence) لدى ديكر، وهو مفهوم يقضي بأنّ العمل اللغويّ لا يحيل على الواقع بل يحيل على ذاته^(٢)، وبأنّ التغيير الذي يحدثه ليس واقعياً بل هو مثاليّ.

فاستعمال متكلّم ما لصيغة الأمر -مثلاً- لا يعني بالضرورة أنّه يطلب حقيقةً الفعل على جهة الاستعلاء، وأنّه ينتظر تغييراً في سلوك مخاطبه دالاً على استجابته لطلبه وامتناله لأمره، بل غاية ما يعنيه أنّ المتكلّم يتقمّص دور الأمر ويُسند إلى مخاطبه دور المأمور المُلزَم بالاستجابة، وهذا بقطع النظر عمّا

(1) Ducrot, Les mots du discours, Ed. De minuit, Paris 1980, p 12.

(2) Ducrot, Le dire et le dit, Ed. De minuit, Paris 1984, p 85.

تمت الإحالة في هذا البحث إلى المرجع في لغته الأصل (الفرنسيّة)، وقد تُرجم الكتاب إلى اللغة العربيّة وتمّ التنصيص في متنه على أرقام صفحات النصّ الفرنسيّ؛ لذا يمكن الرجوع إلى الإحالات في النصّ المترجم لمن أراد ذلك. راجع الترجمة: بسمّة بلحاج رحومة الشكلي، القول والمقول.

يقصده حقيقة في الواقع وعمّا قد يصدر عن المخاطب من أفعال، وإلا لكان كلّ ما صيغ بلفظ الأمر دالاً بالضرورة على أنّ العمل المنجز حقيقةً في الواقع هو الأمر، وهذا ما ينفيه واقع الإنجاز. بل إنّ الأدوار قد تنعكس فيصبح الأمر لفظاً هو الأدنى مرتبة واقعاً، ومن أسند إليه دور المأمور لفظاً هو الأعلى مرتبة في الواقع، والأمثلة الأنموذجية على ذلك ألفاظ الأُمّراتي يتوجّه بها الإنسان إلى ربّه متضرّعاً، من قبيل قول موسى - عليه السلام - داعياً ربّه: ﴿قَالَ رَبِّ اشْحِ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٢٦ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝٢٨﴾ (١).

والجدير بالذكر أنّ قراءة مثل هذه الأقوال باعتبارها مؤدية لما وُضعت له أصلاً ممكنة من منظور المقاربة الواقعية الكلاسيكية للعمل اللغوي؛ إذ تتوقف إمكانية تحقّقها في الواقع أو عدم تحقّقها من هذا المنظور على مدى توفّق العمل وهو أمر يرتبط - بدوره - بتوفّر شروط لا تخرج في ضبطها عن ظروف إنجاز العمل ومقاماته الواقعية. وقد لا يعسر على معالج مثل هذا النوع من أمثلة الأمر الظفر بمقامات توفّر أسباب نجاحه، غير أنّ هذه القراءة مهما كانت نجاحها ومهما أثبتت جدواها في البرهنة على واقعية الأعمال قاصرة عن استيعاب طاقات اللغة وإمكاناتها في تأدية المقاصد حسب ديكر، فهي إذ تقصر وظيفة اللغة على تمثيل العوالم الواقعية المحدودة بظروفها والفقيرة بدلالاتها؛ تحجب قدرتها على التوسعة على مستعمليها والارتقاء بهم إلى عوالم ممكنة، يجدون فيها من إمكانات التصرف ما يسمح لهم بتجاوز ظاهر المقاصد التي لا يصعب أدائها ولا يعسر إدراكها إلى خفيها؛ ممّا يُخوِّج منشئها إلى قدر من التعمّل ويقتضي من مؤوّلها فضلاً في التأمل.

وفي المقابل فإنّ المتكلّم ليس مجبراً إن هو أراد أن يأمر حقيقة على استعمال لفظ الأمر، فقد يتقمّص دور المخبر وهو يريد - في الحقيقة - طلب القيام بفعل ما، كأن يخاطب شخص جمهوراً وهم في قاعة موصد بابها مغلقة نوافذها،

(١) سورة طه، الآيات (٢٥-٢٨).

والطقس شديد الحرارة فيقول: «الجوّ خانق في هذه القاعة»، فالواضح أنّه لا يقصد الإخبار، والأكيد أنّ الحاضرين لن يذهبوا في تأويلهم إلى هذا القصد؛ إذ كيف يُخبرهم بشيء هم له معانين وبه عارفون؟ والحال أنّ الخبر لا يكون كذلك حقيقة إلا إذا أُلقي لمن هو خالي الذهن من المخبر عنه، إنّما المقصود في مقام كهذا هو -مثلاً- طلب فتح إحدى النوافذ، بدليل أنّ أحد الحاضرين قد يعمد إلى فتح النافذة، فإذا ما فعل ذلك تكون ردّة فعله منتظرة بل طبيعيّة، ويكون عمله من جنس الأعمال التي يقوم بها المخاطب استجابة لطلب منجز من المتكلم، وهو من جنس الأدوار التي تستلزمها الأوامر، وهذا يعني نجاح عمل الأمر وإن لم يتوفّر لفظه، ويؤكد مرّة أخرى ضرورة الاستعاضة عن التصور الواقعي للعمل اللغوي بالتصور المثالي له وفق مقارنة ديكرو.

- وتتمثل النتيجة الثانية في أنّ المرجع في التغيير الحاصل بالعمل ليس إلى الملفوظ، بل إلى سلطة التلفّظ الذي يؤسّس بموجبه المتكلم علاقة مخصوصة بمخاطبه ويفرض عليه سلوكاً محدّداً. وبما أنّ ما ينجزه المتكلم لحظة التلفّظ لا يعدو أن يكون دوراً يتقمّصه، وأنّ هذا الدور يقوم في تخيّر على سبب داع إليه ونتيجة يربّج تحقيقها منه؛ فإنّ كلّ ما يدفع إلى القول من أسباب وما يقصد به من أغراض هو من صميم اللغة وليس شيئاً خارجاً عنها أو ملحقاً بها. وبما أنّ هذه الأسباب والأغراض لا تختصّ بالمتكلم الفرد -أي بالمتكلم الواقعي- بل هي القواعد المنظّمة للتواصل والقوانين المسيّرة للخطاب؛ فإنّ التغييرات الحاصلة بالتلفّظ ليست واقعيّة بل «قانونيّة»، وهذه القانونيّة ليست من جنس «القانونيّة الواقعيّة» (Juridisme réaliste) بل هي من جنس «القانونيّة المثاليّة» (Juridisme idéaliste)⁽¹⁾.

(1) Ducrot, Dire et ne pas dire, 1991, p 293.



وخلاصة القول في تصوّر ديكروللغة وما تنهض به من وظائف إن ذهابه إلى أن اللغة إطار مؤسسيّ، بل الإطار المؤسسيّ الوحيد الذي يمكن للإنسان أن ينجز فيه أعمالاً لا سبيل إلى إنجازها إلا داخله، يستلزم القول إنه يجب أن يجد في هذا الإطار ما يمكنه من تأدية كلّ مقاصده ما ظهر منها وما خفي، وهذا ممكن بموجب تصوّر ديكر والمثاليّ للعمل اللغويّ؛ لسببين، أولهما: أن ما ينجزه المتكلّم لحظة التلفّظ ويصوّره بملفوظه هو مجرد دور يلعبه، وبما أنه لا يشترط في هذا الدور أن يكون مطابقاً للواقع؛ فإنه لا شيء يمنع مستعمل اللغة من أن يقول شيئاً في الظاهر ليخفي به ما يقصده حقيقة في الواقع، والسبب الثاني هو أن قوانين هذه اللعبة المتمثلة في الأسباب الداعية إلى القول والأغراض المقصودة منه، هي قوانين مسجلة في اللغة من حيث هي قوانين منظّمة للخطاب يستغلّها المتكلّم لإخفاء مقاصده، ويعوّل فيها على معرفة المخاطب بها وقدرته على تشغيلها؛ ليتوصّل إلى تأويل مقصده؛ وبذلك يظفر المتكلّم بطريقة ثانية في القول، ويجد المخاطب سبيلاً إلى ما خفي من مقاصد وراء ما ظهر من أقوال.

لكن لهذا الإخفاء طرقاً مختلفة ووجوهاً متعدّدة تحتمّ تمييز بعضها من بعض؛ لتحديد موقع كلّ منها ممّا جُمع تحت ما سُمّي بضمانيّات القول.

٢- موقع التلميح من ضمانيّات القول لدى ديكر:

صنّف ديكر وضمانيّات القول وفق مقياسين اثنين، أولهما منطقيّ،

والثاني نفسيّ:

أ- التصنيف المنطقيّ: وهو يقوم على شكل العلاقة القائمة بين الدلالة الحرفيّة والدلالة الضمنيّة، ويهتمّ بإبراز طرق المرور من الأولى إلى الثانية^(١)، ووفق هذا المقياس ميّز بين:

(1) Ducrot, Dire et ne pas dire, 1972, p 12-13.

أ-١- ضمنيّات الجملة: وهو ضرب من الضمنيّات مسجّل في اللغة مباشرة وفق ديكر^(١)، باعتبار أنّ الجملة - في تصوّره - وحدة لغويّة مجردة؛ وبهذا الاعتبار فإنّ هذا النوع من الضمنيّات لا يحتاج في تأويله إلى أيّ تمشّ منطقيّ أو سيكولوجيّ مختلف عن ذلك الذي نستعمله في التوصل إلى أبسط الدلالات اللغويّة، فهي ضمنيّات موجودة في المعنى الحرفيّ، ومثال ذلك: أنّ جملة «أقلع زيد عن التدخين» تتضمّن أنّ زيدا كان يدخّن سابقاً، وقد اصطلح على هذا الضرب من التضمين بـ «اللاقتضاء» أو «اللاقتضاء اللغويّ» (présupposition linguistique)^(٢).

أ-٢- ضمنيّات الخطاب، وتتفرّع إلى نوعين:

أ-٢-١- ضمنيّات الملفوظ^(٣): وهي تقوم على النظام الداخليّ للملفوظ، وتتمثّل في تمشّ يهدف إلى الإيحاء بحدث لا يريد المتكلّم ذكره صراحة، ويكون ذلك بطرق عدّة، منها تعويض الحدث بما قد يبدو سبباً ضرورياً لوقوعه، كأن نقول: «إنّ الطقس جميل»؛ لنوحي بأنّنا سنخرج في نزهة، أو العكس أي تعويض الحدث بما يمكن أن يكون نتيجة ضروريّة له، كأن نتحدّث عمّا رأيناه في باريس لنوحي بأنّنا قد سافرنا إلى هذا البلد، ومنها كذلك أن نقدّم استدلالاً منطقيّاً تكون مقدّمته الضروريّة غير مصرّح بها، وهذا ما يتحقّق في أغلب استعمالات «إذن»، نقول مثلاً: «طلب فلان مقابلتي، إذن هو في مشكل»، فانسجام هذا الملفوظ موقوف على صدق المقدّمة الضمنيّة، وهي: «هو لا يأتي لمقابلتي إلّا إذا وقع في مشكل».

فالضمنيّ في هذه الحالة يمثّل فراغاً في سلسلة القضايا، وهذا الفراغ ضروريّ لإتمام الملفوظ أو لتحقيق انسجامه، وحينئذ يُعتبر وجوده أمراً مؤكّداً غير مشكوك فيه، لكنّه ليس رسمياً، وهذا ما يسمح للمتكلّم بإلغائه وإنكاره باعتبار أنّ المخاطب هو من يتكفّل وحده بملا ذلك الفراغ.

(١) السابق، ص ٦.

(٢) السابق، ص ٢٢.

(٣) السابق، ص ٦.



أ-٢-٢- الضمنيّ المؤسّس على التلفّظ: يختلف هذا النوع من ضمنيّات الخطاب عن النوع الأوّل المتمثّل في ضمنيّات الملفوظ؛ في كونه لا يمثّل تنمّة للصريح، بل هو واقع في مستوى أعمق، فهو بمثابة الشرط لوجود التلفّظ والسبب الداعي إليه، وهذا ما يصطلح عليه ديكر بـ «التلميح»^(١).

ب- التصنيف النفسي^(٢): ويتمّ وفقه التمييز بين الضمنيّات بحسب الطرف الذي يقوم بالتمثّل المتمثّل في المرور من الدلالة الصريحة إلى الضمنيّة: المتكلّم أو المخاطب.

غير أنّ ديكر ولم يكن يقصد في تعرّضه إلى هذا التصنيف أن يُذكر ليُعرف لذاته، بل كان يقصد إلى أن تُذكر أنواعه ليُعرف بها غيرها ممّا قد يلتبس بها. وتتمثّل الضمنيّات التي خشي ديكر من أن تلتبس بتلك الأنواع التي ذكرها في تصنيفه النفسيّ، في ما اصطلح عليه بالتلميح وألحقه بضمنيّات الملفوظ المؤسّسة على التلفّظ، وهي موضوعنا في هذا المقال.

لذا أثرنا التعرّض إلى ما أدرج ضمن هذا التصنيف النفسيّ من أنواع الضمنيّات خلال تحليلنا للتلميح، وذلك بحسب ما تقتضيه مراحله من توضيح وتدقيق.

٣- قانون التلميح وحكمه:

ليس ترك التصريح إلى التلميح مجرّد اختيار مجائيّ، بل هو ضرورة يحتمها التقاء حاجتين متناقضتين لدى مستعمل اللغة، هما: حاجته إلى قول الشيء، وحاجته إلى إخفائه في الآن نفسه.

(١) السابق، ص ١٨.

(٢) السابق، ص ١٣.

وتعود الحاجة إلى الإخفاء بدورها إلى سببين:

- يتمثل أولهما في أنّ الإنسان قد تُفرض عليه - أحياناً - قيود اجتماعية أو أخلاقية أو سياسية أو غيرها؛ فتُحْد من حرّيته في التصريح بمقاصده، وتضطرّه إلى توجّي طريق التلميح.
- ويتمثل ثانيهما في أنّ تصريح المتكلّم بمقاصد يمنح مخاطبه الفرصة لمجادلته فيها، ويفسح أمامه المجال واسعاً إمّا لإبطالها وتفنيدها، أو لتثبيتها واتخاذها حجة عليه وبرهاناً على آرائه ومواقفه؛ لذا فليس للمتكلّم إن هو أراد تمرير فكرة دون المجازفة بردها أو تسريب رأي دون تحمّل تبعاته من سبيل سوى الانصراف عن التصريح إلى التلميح.

فالتلميح حينئذ طريقة في القول تستجيب إلى حاجتين متزامنتين:

١. الحاجة إلى قول الشيء، وهذا يقتضي توفر شرطين:

أ- شرط القصد إلى قوله: فالتلميح ليس من الضمنيّات التي يأتيها المتكلّم عفواً، بل هي تلك التي يقصدها قصداً، وعلى هذا الأساس أخرج ديكرومن هذا الصنف ضرباً من ضروب التضمين التي تعرّض إليها في تصنيفه النفسي للضمنيّات سمّاه: «التضمين باعتباره حدثاً غير مقصود» (implication comme manifestation involontaire)^(١). ويتمثل هذا النوع في كلّ ما يُمكن أن يُؤوّل من الخطاب ممّا يتعلّق بمعتقدات صاحبه أو انتمائه الاجتماعي أو حالته النفسية أو غيرها من الأمور الخفية، دون أن يكون صاحبها قد قصد إلى إبلاغها وعمل على هذّي المخاطب إليها، فإذا كان بإمكان كلّ من يسمع كلاماً أو يقرأ خطاباً أن يرى فيهما معتقد صاحبه، أو يفهم منهما حالته النفسية، فإنّ هذه التأويلات تبقى خارج دائرة التلميح ما لم يثبت قصد المتكلّم إليها؛ لأنّ في غياب هذا القصد إخلالاً بالشرط الأوّل لهذا الصنف من الضمنيّات، وهو إرادة قوله والحاجة إلى ذلك.

(١) السابق، ص ١٣.



إذن، لا يكفي تأويل المخاطب وحده حتّى يلتحق الضمنيّ بالتلميح، بل يجب أن يكون الضمنيّ مقصوداً من المتكلّم.

ب / شرط القصد إلى أن يتعرّف المخاطب على قصده: قد يتحقّق شرط القصد في الإخفاء فيعمد المتكلّم إلى ذلك عن وعي، لكنّه يعمل مع ذلك على إخفاء قصده ذاك، ويسعى إلى ألاّ يتعرّف المخاطب عليه. وإذا فعل ذلك يكون قد نفى صفة التلميح عن عمله ليلتحق تضمينه بصنف آخر من الضمنيّات سمّاه ديكر في تصنيفه النفسيّ «المناورات الأسلوبية» (les manœuvres stylistique)^(١)، وهي نهج في القول يقوم على ضرب من التحيل يلجأ إليه المتكلّم لمغالطة مخاطبه؛ بغية حمله على تبنيّ أشياء دون التعرّف على قصد المتكلّم إلى قولها. ويعود إخراج هذا النوع من صنف التلميح إلى أنّه وإن حقّق شرط الإخفاء المقصود وكان بذلك مستجيباً إلى حاجة المتكلّم إلى ذلك، وهو ما يمثّل شرط التلميح الثاني، فإنّه قد أخلّ بشرطه الأوّل، وهو القصد إلى أن يتعرّف المخاطب على ما أخفاه من معان استجابة إلى حاجته لقولها؛ لأنّ قولها ينتفي ما لم يهتد إليها المخاطب، ولم يبلغه قصد المتكلّم إلى تبليغها.

إذن، لا يكفي في التلميح أن يكون مقصوداً من المتكلّم، بل يجب أن يتعرّف المخاطب على قصد قوله.

٢. الحاجة إلى إخفاء القصد، وهذا يقتضي شرطاً ثالثاً في التلميح وهو:

- ألاّ يقول المتكلّم تلك المعاني الخفيّة: فإذا كانت المعاني الخفيّة لا تكتسب وجودها إلاّ بقولها، فإنّ هذا لا يعني البتّة أنّ المتكلّم يقولها فعلاً؛ لأنّها تستتوي عندئذ مع الصريح من المعاني، وعندئذ يكون الإخلال بشرط أساسيّ في التلميح وهو الحاجة إلى إخفاء المعنى. وعلى هذا الأساس

(١) السابق، ١٤.

أخرج ديكرو ضرباً ثالثاً من الضمنيّات، ممّا أورده في تصنيفه النفسيّ سمّاه «البلاغة الإيحائية» (rhétorique connotative)^(١)، وهو ضرب من التضمنين يتحقّق في الأقوال التي يطفو فيها المعنى الخفيّ على سطح القول؛ فيحلّ محلّ المعنى الحرفيّ في ظهوره وسهولة الاهتداء إليه، ويتحوّل إلى معنى صريح يحيل عليه القول مباشرة، وذلك بالخروج عن المواضعة الأولى (مواضعة المعنى de sens Convention) إلى مواضعة ثانية (مواضعة الاستعمال Convention d'usage)، يتحوّل بموجبها الاستعمال الفرديّ الخاصّ إلى أسلوب في التعبير عامّ^(٢)، وخير الأمثلة على ذلك ما اضطلّح عليه في الأدبيّات التداوليّة الحديثة بـ «السؤال البلاغيّ» (Question rhétorique)، وألحقه البلاغيّون العرب بالاستفهام التقريريّ أو الإنكاريّ^(٣)؛ فالمعاني الثواني في مثل هذه الأقوال أسبق إلى فهم المتقبّل من

(١) السابق، ص ١٦.

(٢) استحدث سورل تمييزاً بين «مواضعات الاستعمال» و«مواضعات المعنى»، اعتماداً على التمييز الذي أقامه بين معنى الجملة ومعنى الاستعمال، باعتبار أنّ الأوّل حاصل من الجملة استناداً إلى مواضعات لغويّة مشتركة بين متكلمي اللغة الواحدة سمّاها «مواضعات المعنى»، والثاني حاصل من استعمال المتكلم الخاصّ للجملة، غير أنّ هذا الاستعمال الفرديّ الخاصّ قد يشيع فيرسي ضرباً من الاتّفاق بين مستعملي اللغة الواحدة، فيتحوّل العارض الطارئ إلى أصل ثابت، وتتعلّظ مواضعات المعنى لتحلّ محلّها مواضعات الاستعمال، ويصبح المعنى الفرديّ المتغيّر معنيّ مشتركاً ثابتاً. وقد أجرى سورل هذا التمييز؛ ليفسّر ضرباً من الأقوال طغت فيها الأعمال اللغويّة غير المباشرة على الأعمال المباشرة حتّى بدت كأنّها متمحّصة لإنجاز تلك الأعمال، من قبيل العبارات المسكوكة، وضمن هذا تصوّر كان تفسير سورل لضرب مخصوص من الأعمال غير المباشرة، ومن بينها السؤال البلاغيّ. (راجع في هذه المسألة:

Searle (Jhon. R) : Sens et expression : Étude de théorie des actes de langage, tr.Joëlle Proust. Ed de Minuit, Paris 1403h 1982m, p 91-92.)

(٣) «السؤال البلاغيّ» مصطلح تداوليّ حديث أطلقه ديكرو في سياق تمييزه بين نوعين من الاستفهام الذي يخرج عن معناه الأصليّ ليدلّ على معانٍ أخرى مختلفة، فقد



معانيها الأول وأكثر وضوحًا وانكشافًا له، وهو ما لا يتوافق مع التلميح في قصد صاحبه إلى إخفاء مقاصده.

إذن، ينتفي التلميح متى انكشف المعنى الخفي وانتفت المسافة الفاصلة بينه وبين المعنى الحرفي؛ فصار محل اتفاق بين المتكلم والمخاطب.

خلاصة هذه الشروط الثلاثة أن التلميح لا ينبع من قرار المتكلم وحده، ولا ينتج عن تأويل المخاطب وحده، ولا هو حصيلة اتفاق ناتج عن ضرب من التواضع مخصوص بين أفراد مجموعة لغوية ما، بل هو شيء «يقال دون أن يقال»، وهنا يبلغ بنا تصور ديكر إلى أحجية يتوقف حلها على معرفة قصده بـ «القول».

٤- «القول» عند ديكر: بين التعبير عن المعنى والشهادة عليه؛

للفظ «القول» في اللغة العربية استعمالان مختلفان يدلان على معنيين متباينين، فقد يُستعمل مصدرًا ليدلّ دلالة اشتقاقية على الحدث؛ أي على

جمع كلّ وجوه هذا الخروج تحت صنف واحد من الأعمال اصطلاح عليها بـ «الأعمال المشتقة» (Actes dérivés)، لكنّه قسّمها إلى نوعين، سمّى الأول «الطلب المشتق» (Ducret, Le dire et le dit, p 86-89)، وخصّ الثاني بمصطلح «السؤال البلاغي»، وعرفه بأنّه «الاستفهام الذي لا يحتاج فيه صاحبه إلى الإجابة لبداهتها» (Ducret (Oswald) et Anscombe (J.C) : Interrogation et argumentation,) (L'interrogation ; Dec, N° 52, 1402h 1981m, p 15-16)، واعتبر أنّ هذا الضرب من الاستفهام يقوم بدور الإخبار (Ducret, Le dire et le dit, p 90). وبهذا المعنى فإنّ «السؤال البلاغي» لا يشمل في مفهومه كلّ أنواع الاستفهام الذي أُطلق في غير معناه الأصلي لدى البلاغيين العرب، بل هو منحصر في ما دلّ منه عندهم على التقرير والإنكار، باعتبار أنّ قيمتهما التداوليّة هي قيمة الخبر إثباتًا ونفيًا.

العمل الذي يُنجزه المتكلم وهو يتكلم يعني التكلم، أو اسماً ليدلّ على نتيجة العمل وثمرته؛ أي ما يتكلم به، يعني المقول. وهذا الاستعمال المزدوج لألفاظ اللغة ليس بالأمر الغريب على البلاغيين العرب في اصطلاحهم على بعض المفاهيم؛ فإطلاق اللفظ الواحد على العمل ونتيجته، وعلى آله أيضاً سنة مألوفة لديهم لم تفتهم الإشارة إليها ولم يعوزهم التنبيه عليها^(١).

لكنّ الوضع في اللغة الفرنسيّة مختلف؛ فقد أفردت هذه اللغة لكل استعمال لفظاً خاصاً به، فميّزت بين عبارة (Le dire) وتعني القول في معناه الاشتقاقي؛ أي حدث القول وفعله، وعبارة (le dit) وتعني القول بمعناه الاسمي؛ أي نتيجة فعل القول، أي المقول. وكان هذا التمييز مداراهتمام ديكروفي أحد مصنفاته الذي اختار له هذا الثنائي من المصطلحات عنواناً، وأراد به التمييز بين التلّفظ والملفوظ، وهو كتاب «القول والمقول»^(٢).

وفي سياق تحديد مفهوم القول بالمعنى الحدّي أقام ديكرو تمييزاً ثانياً فصل بموجبه بين طريقتين في القول؛ ليبني على ذلك تصوّره لضربين مختلفين من الدلالة، ويكشف عن نهجه في تحليلهما وتأويلهما، ورمز إلى الطريقتين بـ قال ١ وقال ٢^(٣).

(١) نذكر على سبيل المثال ما أورده التفتازاني حول استعمال البلاغيين للفظ الإنشاء؛ إذ يقول: «اعلم أنّ الإنشاء قد يُطلق على نفس الكلام الذي ليس لنسبته خارج... وقد يقال على ما هو فعل المتكلم أعني إلقاء مثل هذا الكلام» التفتازاني، المختصر، شروح التلخيص، ص ٢٣٤-٢٣٥. وأضاف المغربي - في حديثه عن التمني - استعمالاً ثالثاً في قوله: «إنّ المقصود بالتمني هنا ليس نفس الكلام ولا هو فعل المتكلم بل المقصود هو نفس التمني الذي هو الحالة القلبية» ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتّاح في شرح تلخيص المفتاح، شروح التلخيص، ج ٢، ص ٢٣٧. لمزيد التوسّع في هذه الظاهرة وما بُنيت عليه من خلفيات راجع: بسمه بلحاج رحومة الشكلي، السؤال البلاغي - الإنشاء والتأويل، ص ٥٨ - ٥٩.

(2) Ducrot, Le dire et le dit, 1405h 1984m.

(٣) السابق، ص ١٥١.



وقد انطلق صاحب «القول والمقول» في تفسيره لدلالاتي الفعل «قال» والتمييز بينهما من ضرب مخصوص من الأقوال، جمعت في تصنيف الأنحاء الغريبة لأقسام الكلم تحت قسم ألفاظ الانفعال (les interjections)^(١)، وضّم ألفاظ الأصوات وما حُمِل عليها وأنزل منزلتها في تأديتها لما ينتاب الإنسان من انفعالات من تعجّب ومدح وذمّ، والجامع بين هذه الألفاظ هو جنس دلالتها على معانيها؛ فهي عبارات يطلقها الإنسان عفواً حين يتعرّض إلى ما يثير انفعاله، كأن يصيبه فجأة ما يؤلّه أو يطرأ عليه ما يوقظ مشاعره، وهي بهذا الاعتبار دوالّ منزلة من مدلولاتها وهي الانفعالات والمشاعر والأحاسيس منزلة الأثر من المؤثّر والنتيجة من السبب؛ ممّا يجعل دلالتها من جنس الدلالة الطبيعية التي يُستدلّ فيها على المعنى بالشاهد عليه كشهادة الدخان على النار^(٢).

فإذا قال قائل تألّماً أو تعجّباً: «آه» كان مقوله صوتاً منفلاً وأثراً شاهداً على مؤثّر، وكان الحاصل منه «دلالة مُظْهَرة» مشهوداً عليها (signification attestée). وهذا ضرب أوّل من القول استخلص منه ديكرت معنىً لفعل قال رمز إليه بـ «قال ١»، وجعله مرادفاً لـ «أظهر» واعتبر مقوله الملفوظ الشاهد، ومدلوله السبب الدافع إليه والمشهود عليه.

وإذا قال في نفس المقام: «تألّم» أو «أتعجّب»، كان مقوله لفظاً واصفاً للشعور بالألم أو بالتعجّب حاكياً له ومعبراً عنهما، وكانت دلالته على معناه من جنس «الدلالة المعبر عنها» (signification exprimée). وهذا ضرب ثان من القول استخلص منه ديكرت معنىً آخر لفعل «قال» رمز إليه بـ «قال ٢»، وجعله

(١) تطرح ترجمة هذا المصطلح إشكالاً يعود في أساسه إلى الاختلاف بين مقارنة الظاهرة في المنوالين النحويّ والبلاغيّ العربيّين من ناحية، ومقاربتها في المنوالين النحويّ والتداوليّ الغربيّين من ناحية ثانية. راجع حول هذه المسألة مقال: بسمة بلحاج رحومة الشكيلي، الشهادة على المعنى، ضمن أعمال مهداة إلى الأستاذ حمّادي صمّود، ص ٤٥٥-٤٦١.

(2) Ducrot, Le dire et le dit, 1405h 1984m, p 152.

مرادفًا لـ «أخبر»، واعتبر مقولته الملفوظ المخبر عن المعنى، ومدلوله صورة التلفظ المنعكسة في هذا الملفوظ^(١).

ولئن استفاد ديكرود من التمييز بين ضربي القول في بناء تصوّره للدلالة عامّة^(٢)، فقد استثمره بالخصوص في قراءته لظاهرة التلميح؛ إذ أجراه في تفسير هذا الوجه من وجوه التضمن وتمييزه من الصريح، فجعل المعنى الحرفي حصيلة قول ١؛ أي معنى مُعبّرًا عنه ومُخبرًا به، ثم اعتبره شاهدًا على السبب الذي دعا إلى قوله؛ فنزله منزلة ألفاظ الانفعال، ونزل السبب الدافع إليه منزلة الانفعال المشهود عليه ليجعله مدلولًا ملمّحًا إليه حاصلًا من قول ٢^(٣).

وتمثيلاً لما سبق بيانه بشأن التلميح، نورد خبراً شاع زمن انتشار جائحة كورونا وتسابقت شركات تصنيع الأدوية في إنتاج اللقاح، وكان هذا التصريح في إطار الحرب الإعلامية التي شنها المتنافسون فيما بينهم؛ لترويج لقاحاتهم والسيطرة على الأسواق، ومفاد هذا الخبر أن «ممرضة أمريكية تعرّضت إلى حالة من الإغماء بعد تلقيها لقاح «فايزر» بوقت قصير»^(٤).

وإذا أجرينا تصوّر ديكرود في تحليل هذا القول وتأويل مقاصده أمكننا أن نقول إن صاحب هذا الخبر قد قال ١؛ أي أخبر عن إغماء الممرضة بعد تلقيها للقاح «فايزر»، فكان لفظه مُعبّرًا عن معناه حاكياً له ومصرّحاً به.

(١) السابق، ص ١٥١-١٥٢، و 18-19، p 1392h 1972m، Ducrot، Dire et ne pas dire،

(٢) بنى ديكرود تصوّره للمعنى في علاقته باللفظ على ملاحظته لألفاظ الانفعال في علاقتها بمدلولها؛ فقد قاس الملفوظ على تلك الألفاظ، والتلفظ على مدلولاتها، فنزل الأول من الثاني منزلة لفظ الانفعال من الشعور؛ ليحصر دور الملفوظ في الشهادة على التلفظ وإظهاره؛ وبذلك تكون الصورة المنعكسة عن التلفظ في الملفوظ هي ما يمثل معناه (Ducrot، Le dire et le dit، 1405h 1984m، p 151-152، 187، 199.)

(3) Ducrot، Le dire et le dit، 1405h 1984m، p 101-102 ; Ducrot، Dire et ne pas dire، 1392h 1972m، p 21.

(٤) ورد الخبر في تقرير لشبكة «فوكس نيوز» الأمريكية سنة ١٤٤٢هـ ٢٠٢٠م، وتناقلته وسائل الاتصال الاجتماعي.



لكن إذا ذهبنا مذهب ديكر في اعتقاده بأن وراء كلّ خبر سبباً داعياً إليه ومبرراً للتصريح به، وهو قانون من القوانين المنظّمة للخطاب؛ أمكننا أن ننظر إلى ذلك الخبر الصحفي باعتباره نتيجة للسبب الداعي إلى إيراده، وأن نتّخذة شاهداً عليه، وإذا بحثنا عن هذا السبب وظفرنا به نكون قد كشفنا عمّا قاله^٢ المتكلّم؛ أي ما لمّح إليه وجعل لفظه شاهداً عليه شهادة الـ «آه» على الألم دون أن يقوله^١؛ أي دون أن يُخبر عنه ويصرّح به، وليس من العسير على من واكب حرب التصريحات خلال جائحة كورونا وعرف سياقاتها أن يتوصّل إلى سببها ويبلغ مقاصد أصحابها الخفيّة، وأن يدرك أنّ من أذاع هذا الخبر - وإن كان ناقلاً لما حدث واقعاً وشوهد عياناً - فإنّه قد أراد بإشاعته أن يقول تلميخاً: «هذا اللقاح خطر فاجتنبوه»، بدليل أنّ الخبر نجح في نشر الرعب بين الناس، وغدّى الإشاعات التي وصلت إلى حدّ إذاعة خبر وفاة الممرضة في وسائل التواصل الاجتماعيّ من ناحية، وأنّ الأطباء أسرعوا من ناحية أخرى إلى التأكيد بأنّ لقاح «فايزر» لا علاقة له بإغماء الممرضة، وانبروا يقدّمون الحجج على ذلك، ومع ذلك بقي الرأي العام قلقاً بشأن سلامة هذا اللقاح، وهو ما يؤكّد نجاح صاحب الخبر في تمرير ما قصد إليه بتلميحه، وتوفّقه في حمل مخاطبه على التعرّف على هذا القصد، دون أن يتحمّل مسؤوليته ويعرّض نفسه للمساءلة.

وإذا راعينا هذا التمييز بين ضربي القول، وبالتالي بين معنيي فعل «قال»، واعتبرناه في قراءتنا لعبارة ديكر التي لخص بها تصوّره للتلميح وهي «أن نقول دون أن نقول»؛ أمكننا باتّباع المواضعة الترميزيّة التي استعملها في هذا التمييز أن نتبيّن مقصده من هذه العبارة، فإنّ نلّمح يعني: أن نقول^٢ الشيء دون أن نقوله^١، أي أن نظهره ونُشهد عليه دون أن نخبر عنه ونصرّح به.

لكن يجدر التنبيه إلى أن القبول بهذا التصور موقوف على الإقرار بإحدى أهم الفرضيات لدى ديكر، وهي أن عمل القول «ليس حراً ولا مجانياً»^(١)؛ إذ الإنسان لا يتكلم إلا وفق شروط قائمة، ولا يقول إلا لأسباب داعية، فإذا ما عن له أن يجعل من تلك الأسباب غرضاً مقصوداً لذاته، وأن يتخذ من قوله سبيلاً إليه وشاهداً عليه؛ كان انصرافه عن التصريح إلى التلميح، وعندئذ يحق للمخاطب -إن هو أدرك هذا القصد- أن يفكر في أن المتكلم لم يقل إلا ليقول^٢، وليس له بعد ذلك -إن هو سعى إلى تأويله- أن يكتفي بما يتيح له الملفوظ فيقف عند القول^١، بل عليه أن يتجاوزه؛ ليبحث عن ذلك القصد الخفي في أسباب التلفظ ودواعيه، وبذلك يكون بلوغه القول^٢.

وعلى هذا الأساس كان تعريف ديكر للتلميح وتمييزه من سائر ضمنيّات القول:

١. بكونه من ضمنيّات الخطاب، خلافاً للاقتضاء الذي هو من ضمنيّات الجملة وهو مسجل في اللغة.

٢. بكونه مؤسساً على التلفظ واقعاً في مستوى أعمق من الملفوظ، باعتباره سبباً لحدوثه وشرطاً لوجوده، خلافاً لضمنيّات الملفوظ التي تشترك مع التلميح في اندراجها ضمن ضمنيّات الخطاب، لكنها تختلف عنه في وقوعها في مستوى الملفوظ دون التلفظ من ناحية، وفي الاحتياج إليها إما لإتمام الملفوظ أو لتحقيق انسجامه من ناحية ثانية.

٥- فوائد التلميح واستنتاجاته:

قد يتوخى التلميح في مقامات عدّة ولأغراض شتى، ولكن غالباً ما يلتجأ إليه في النزاعات والخصومات والمنافسات التي يتخذ أطرافها من الخطاب حلبة لصراعاتهم، ومن إستراتيجياته سلاحاً للتبارز؛ فيُحتاج في خوضها إلى قدرة على

(1) Ducrot, Dire et ne pas dire, 1392h 1972m, p 8.

تصارييف الكلام ومهارة في سياسة الأقوال . وللتلميح في كلّ ذلك مكانة مخصوصة؛ إذ هو طريقة في استغلال اللغة تسمح لتوحيها بتقمّص أدوار مزدوجة تتيح له قول الشيء دون قوله ، فتضمن له ربح القول وتقيه خسارة السكوت في الآن نفسه .

ولتبين فوائد التلميح واستتبعاته اخترنا مثلاً استقيناه من بعض الخطابات السياسيّة في إحدى الدول أثناء خوضها حملة انتخابيّة انقسمت فيها المواقف بين مناصر لهذه الانتخابات داع إلى المشاركة فيها ، ورافض لها داع إلى مقاطعتها . وبات هذا الاستقطاب السياسيّ مسألة حاسمة في تحديد الانتماءات ، وصار الخوض فيها مُحرجاً لمن رغب عن التموقع أو أبى أن يكشف عن انتمائه .

في هذا السياق ، يعتمد أحد المناصرين لخوض الانتخابات إلى نشر خبر عن أحد خصومه السياسيّين ممّن لم يتّضح موقعه حقيقة أو ادّعاء ، ولم يجهر بموقفه عفواً أو قصداً ، يقول فيه مُستحيساً: «إنّ هذا الشخص لم يدّخر جهداً في مساعدة المرشّح للانتخابات في منطقته» .

فالمتكلم في هذا المثال يقول^١؛ أي يخبر تصريحاً بأنّ فلاناً قد ساعد مرشّح منطقته للانتخابات وبذل جهداً في ذلك ، وهو في هذا المستوى من القول يبدو متقمّصاً لدور العارف بحقيقة واقعة ، والناطق عن وعي بإرادة قولها ، والمستعدّ لتحمل مسؤوليّة في ذلك ، غير أنّه عارف - شأنه شأن كلّ من اختار سبيل التصريح - بأنّ قوله قابل للتصديق والتكذيب ، معرّض للتشكيك والتفنيد والتبكيث^(١) ، لكنّه في الحقيقة لم يُلِقْ خبره ذاك ليُعلّم في ذاته ؛ بل ليحمل مخاطبه

(١) ما يميّز التصريح من التلميح حسب ديكر هو أنّه: أ/ «يقدم التلقّظ على أنّه «ناج كلياً عن اختياراً ، أي القرار المتّخذ بتقديم معلومة معيّنة حول موضوع معيّن» (186Ducrot, Le dire et le dit, 1405h 1984m, p) وهو ما يستلزم ضرورة تحمّل المتكلم لمسؤوليّة في ذلك؛ إذ لا يمكنه أن يتنكر لما قاله أو يتراجع عنه . ب/ يقبل التصديق والتكذيب ، وهذا يعني ج/ أنّ المتكلم إذا قال إنّهُ يقدّمه على أنّه قابل للمناقشة وهو تبعاً لذلك معرّض للمعارضة والتشكيك أو للإبطال والتكذيب .

على التفكير في أسبابه، فإذا فعل المخاطب ذلك يكون قد توصل إلى قصد المتكلم الخفي وهو قصده الحقيقي، ويكون المتكلم قد نجح في تبليغه؛ وعندئذ يمكن أن نقول إن صاحب الخبر قد قال؟ أي لمّح إلى أن المخبر عنه من أنصار الانتخابات والمشاركين في إنجاحها رغم عدم تصريحه بذلك.

وعلى هذا النحو يحقق المتكلم بنهجه هذا في تأدية مقصده فائدتين متلازمتين:

أ- فائدة قوله، والمستهدف بها إما الأنصار لطمأنتهم بالكشف عن رصيد انتخابي محتمل يعزز صفوفهم ويقوّي موقفهم، أو الخصوم لإرباكهم وإضعافهم بتبئيسهم من أن تنضم إليهم تلك الفئة التي أوهمت بحياديتها وكشفت أعمالها عن انتمائها، وكذلك المحايدون ممن لم يحسم بعد في موقفه ولكنّه متهيئ لقبول المشاركة وإن كان متردداً في تحديد موقعه، حتّى تتم استمالته واستقطابه؛ وبذلك يكون القول القول ٢ سبيلاً إلى تمرير رسالة مشفرة.

ب- فائدة إخفائه، وهي لمواجهة الخصوم وتجنّب ردّة فعلهم؛ ذلك أن توحي التلميح في تأدية المعنى يسمح بالإيهام بأنّ الملمّح إليه ليس من المعاني التي أرادها المتكلم قصداً وعمل على تأديتها عمداً، بل هي معان انفلتت منه عفواً، فكان لفظه شاهداً عليها دون أن يكون قد أرادها فعلاً. وهذا الإيهام بغياب القصد يستلزم ثلاثة أمور:

- إخلاء مسؤولية المتكلم من قول ذلك المعنى، وهكذا يكون المجال مفتوحاً أمامه ليتنكر لما لمّح إليه متى رأى في ذلك دفع مضرّة أو جلب مصلحة، فبإمكان صاحب الخبر في مثالنا أن يحتمي بالمعنى الحرفي للمفوظة؛ ليؤكد أنه لم يكن يقصد سوى الإخبار عمّا رآه من ذلك الشخص أو سمع عنه، ولينكر أنه قد قصد الكشف عن حقيقة انتمائه وفضح مراوغته بغية تقوية موقف أنصاره، وإرباك خصومه، واستقطاب المترددين في اتخاذ موقف من المسألة.



● عدم قابليّة القول^٢ للتصديق أو التكذيب؛ فليس للخصم في مثالنا أن يكذب المتكلم في إنكاره لما لمّح إليه، إذ ليس له في الملفوظ دليل يستدلّ به على قصده، ولا حجة تضاهي حجة المتكلم في إنكاره وتُمكنه من مواجهته.

● النَّأي بالمعنى الملمّح إليه عن أن يكون موضوعًا للنقاش ومسألة للجدل، فهو لم يُقل^١، أي لم يُخبر عنه ويُصرّح به حتّى يُجادل فيه؛ وبذلك يكون المتكلم قد قطع الطريق أمام أيّة محاولة من الخصم لتبكيته وإبطال قصده.

وبحصول الفائدتين معًا يكون المتكلم قد نجح في «الاستفادة من نجاعة القول وبراعة الصمت في الآن نفسه»^(١).

ولهذه الفوائد استتبعات قد يتعلّق قصد المتكلم بها فيعمل على استثمار التلميح لتحقيقها. فإمكانية التنكّر لقوله^٢ تسمح له بتقمّص دور البريء متى ألحّ خصمه على تعرية قصده ومجادلته في إرادة قوله، وهو دور قد يتقمّصه عمدًا ليستفزّ خصمه، فيعكس الهجوم عليه بأن يحمله مسؤوليّة قوله، ويتّهمه بأنّه قد قوّله ما لم يقله، وبذلك يكون قد بنى إستراتيجية في إدارة الخلاف تقوم على استدراج المخاطب إلى منطقة يكون هو المحدّد لها والضامن لقوّة موقعه فيها؛ وذلك بحمله على التصريح بما قاله هو تلميخًا لخلق صراعًا لا يمكن أن ترجّح فيه الكفّة إلاّ للملمّح؛ إذ هو صراع قائم بين طرف ليس في ملفوظه ما يدلّ على قصده الخفيّ أو ما يحمله مسؤوليّة قوله، ولا لمخاطبه حجة على ذلك القصد، وطرف مقابل ابتلع الطعم فصرّح بقصد خصمه الخفيّ، وألقى على عاتقه مسؤوليّة قوله، ففتح أمام خصمه الطريق لمجادلته ومهاجمته، وفسح له المجال لإنكاره، ومكّنه من فرصة الخروج من المعركة منتصرًا.

(1) Ducrot, Dire et ne pas dire, 1392h 1972m, p 12.

ومن المكاسب التي يمكن للملّح تحقيقها بلعب دور المظلوم المُدعى عليه الظهور في صورة الضحية، ولهذه الصورة من الوقع في النفوس ما يساعد صاحبها على تمكين سلطته لدى أنصاره وبثّ الحميّة فيهم، واستمالة من هو متهمّ لقبولها، وتجريد الخصم من مصداقيّته.

وإذا عرفنا كلّ ذلك؛ أدركنا قيمة التلميح في تأدية المقاصد، وجهة الاستفادة من التعرّض إليه في تحليل الخطاب، والغاية من الاهتمام به دون غيره من الضمنيّات في هذا المقال، فمعالجته من هذه الزاوية تصرفنا عن تصوّر اللغة رموزاً تشفّر المعنى وتسمح لمستعملها بتبادل المعلومات، إلى تصوّرها إطاراً مؤسسياً يمكن المتعاملين داخله من تقمّص أدوار تتطابق حيناً مع الأدوار التي يلعبونها حقيقة في واقع التعامل، وتختلف حيناً آخر عنها، وهكذا تتوفّر لمستعملي اللغة فرص من التخفي تفتح أمامهم المجال واسعاً لبناء إستراتيجيّات في القول تمكّنهم من إدارة تعاملهم البشريّ عبر تعاملهم اللغويّ، وهي إستراتيجيّات إن استغلّها المتكلّم غنم، وإن تطفّن إليها المخاطب سلّم.

٦- الخاتمة:

تناولنا في هذا المقال مسألة الضمنيّ، واخترنا المقاربة التداوليّة اللسانيّة زاوية للنظر، وركّزنا على ضرب مخصوص منه اصطلاح عليه ديكر وب «التلميح» وأدرجه ضمن ضمنيّات الخطاب المؤسّسة على التلفّظ. وقد انطلقنا في قراءتنا لهذا الوجه من السبب الداعي إليه وهو الاستجابة إلى حاجتين متقابلتين، ولكنّهما متلازمتان متزامنتان هما الحاجة إلى قول الشيء والحاجة إلى إخفائه؛ لنستخلص القانون الذي يحكمه ونكشف عن الشروط التي تميّزه، فتوصلنا إلى أنّ الضمنيّ لا يكون تلميحا إلا إذا قاله المتكلّم من حيث إنّه قد قصده، وقصد إلى أن يتعرّف مخاطبه على قصده دون أن يقوله من حيث إنّه لم يكشفه. ولما كان هذا القانون مرتبطا في تصوّره وتمثّله بمفهوم «القول» لدى ديكر، موقوفاً على تبين التمييز الذي أقامه بين دالّتين لهذا الفعل؛ فقد وقفنا على هذه المسألة، وكشفنا الفرق بين ما سمّاه ديكر «قولاً ١» ورمز به إلى التصريح، وما سمّاه «قولاً ٢» ورمز به إلى التلميح المتمثّل في السبب الداعي إلى التصريح، والحاصل بإظهار المعنى الخفيّ بلفظ يشهد عليه شهادة الأثر على المؤثّر، وقد يستغلّ المتكلّم هذه الطريقة في قول المعنى بإحدى طريقتين بحسب ما يقتضيه المقام؛ فقد ينكر قصده إلى ذلك المعنى بحجّة ظهوره عفواً باللفظ المترتب عليه طبعاً، وبذلك يكون نافياً لقوله ٢ اعتماداً على عدم قوله ١، وقد يستدلّ باللفظ الشاهد ليؤكد قصده إلى إظهار المعنى، وبذلك يكون محتجاً بقوله ١ على قوله ٢. وعماد كلّ ذلك الإقرار بأحد قوانين الخطاب المنظّمة للتواصل، والقاضي بأنّ الإنسان لا يتكلّم إلاّ لسبب يدفعه إلى ذلك، فإذا تكلم دلّ لفظه على ذلك السبب دلالة طبيعيّة.

ولم يكن غرضنا من هذا البحث عرض هذا النوع من الضمنيّات أو التعريف به فحسب، وإلاّ لأوفى التعرّض إلى أيّ نوع آخر منها بالغرض؛ إنّما المغزى من اختيارنا لهذا النوع دون غيره هو تقديم مثال على إمكانيّة الاستفادة من

نتائج البحث اللساني في تحليل ضروب من الخطاب، استغلّ فيها أصحابها ما تتيحه اللغة من إمكانات في تمّص الأدوار والتلاعب بها؛ ليجعلوا منها نهجاً في التعامل متّبِعاً وأسلوباً معتمداً. وقد بدا لنا أنّ للتلميح في كلّ ذلك حظاً وفيراً ودوراً خطيراً؛ فسعيناً من خلال تحليل مثالين من هذه الخطابات إلى الكشف عن الإستراتيجيات التي يبنّيها المتكلّم باختياره التلميح دون التصريح، وتبيّن نهجه في سياسة التواصل بما يتوخّاه في سياسة القول.



٧- فهرس المصادر والمراجع:

المراجع العربيّة

- ابن يعقوب المغربيّ، مواهب الفّتاح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص، بيروت، دار السرور، د.ت.
- أوزوالد (ديكرو)، القول والمقول، ترجمة بسمة بلحاج رحومة الشكلي، تونس، معهد تونس للترجمة ودار محمّد علي للنشر، ١٤٤١هـ ٢٠١٩م.
- بسمة بلحاج رحومة الشكلي:
- السؤال البلاغيّ - الإنشاء والتأويل، تونس، دار محمّد علي للنشر والمعهد العالي للغات، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- الشهادة على المعنى، ضمن «أعمال مهداة إلى الأستاذ حمّادي صمود»، تونس، المعهد العالي للغات، ومجمع الأطرش لنشر الكتاب المختصّ وتوزيعه، ١٤٤١هـ ٢٠١٩م.
- المنوال البلاغيّ العربيّ من البناء القائم إلى البناء الممكن، مخبر نحو الخطاب وبلاغة التداول، تونس، كلّية الآداب والفنون والإنسانيّات بمنوبة، ١٤٣٦هـ ٢٠١٤م.
- خالد ميلاد، الإنشاء في العربيّة بين التركيب والدلالة، دراسة نحويّة تداوليّة، تونس، جامعة منوبة والمؤسسة العربيّة للتوزيع، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- سعد الدّين التفتازاني، المختصر، ضمن شروح التلخيص، بيروت - لبنان، دار السرور، د.ت.
- موشلير (جاك) وريبول (آن)، القاموس الموسوعيّ للتداوليّة، ترجمة مجموعة من الأساتذة الباحثين بإشراف عزّ الدين المجذوب، تونس، المركز الوطني للترجمة - دار سيناترا، ١٤٣٢هـ ٢٠١٠م.

المراجع الأجنبية:

1. Ducrot (Oswald)
 - 1972 (et 1991) : Dire et ne pas dire, Principes de sémantique linguistique ; Herman, Paris.
 - 1980: Les mots du discours ; Ed. De minuit, Paris.
 - 1984: Le dire et le dit ; Ed. De minuit, Paris.
2. Oswald (Ducrot) et Anscombre (J.C) -1981 : Interrogation et argumentation ; Langue française, L'interrogation ; Dec, N° 52.
3. Kerbrat – Orechioni (Catherine) – 1998 : L'implicite ; Armand colin, Paris, 2ème ED.
4. Searle (Jhon.R) – 1982 : Sens et expression : Étude de théorie des actes de langage ; tr Joëlle Proust. Ed de Minuit, Paris.

References

- Ebn yaequb almghrby,mawahib alfttah fi sharh talkhis almiiftahi, dimn shuruh altalkhisi, bayrut, dar alsurur, di.t.
- 'Uwzualid (dikru), alqawl walmaquli, tarjamat basimat bilihaji rahumat alshakili, tunis, maehad tunus liltarjamat wadar mhmmd ealiin lilynashri,1441h 2019m.
- Basimat bilihaji rahumat alshakili:
 - Alsuaal alblaghy -al'iinsha' waltaawili, tunis, dar mhmmd ealiin lilynashr walmaehad aleali llghat,1429h 2007m.
 - Alshahadat ealaa almaenaa, dimn «'aemal muhdaat 'ilaa al'ustadh hmmady smmwd», tunis, almaehad aleali llghat bitunis wamajmae al'atrash linashr alkitab almkhts watawzieih,1441h 2019m.



الضمنيّ أو كيف «نقول دون أن نقول»؟ قراءة في مفهوم التلميح عند ديكر

- Alminwal alblaghy alerby min albina' alqayim 'ilaa albina' almumkina, mukh-bir nahw alkhitab wabalaghat altadawul, tunus, klyt aladab walfunun wal'in-sanyat bmnnwbt, 1436h 2014m.
- khalid milad, al'iinsha' fi alerbyt bayn altarkib waldilalati, dirasat nhwytdawlyt, tunis, jamieat mnnwbt walmwssst alerbyt liltawzie, 1422h 2001m.
- Saed alddyn altaftazani, almukhtasar, dimn shuruh altalkhisi, bayrut- lubnan, dar alsurur, da.t.
- Mushlir (jak) waribul (an), alqamus almwswey lltawlyt, tarjamat majmueat min al'asatidhat albahithin bi'iishraf ez alddyn almajdubi, tunis, almarkaz al-wtny liltarjamat - dar sinatra, 1432h 2010m.

حكايات ألف ليلة وليلة في الثقافة العربية سؤال الارتحال والتأثير دراسة مقارنة

أ.د. صالح بن عبدالعزيز المحمود
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض

(قدم للنشر في ١٤٤٤/٦/٠٢ هـ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٨/٢١ هـ ونشر في ١٤٤٥/٤/٠١ هـ)

ملخص البحث

حاول هذا البحث أن يضيء الرحلة التاريخية التي قطعتها حكايات ألف ليلة وليلة عبر الثقافات المختلفة، متوقفاً عند سؤال الأصل والمرجعية الأولى الذي بدا مجهولاً للوهلة الأولى، لكن محاصرته بمقامات وسياقات معرفية من كتب التراث الأدبي العربي أسهمت في تكشف الإجابة عن هذا السؤال، كما تناول البحث رحلة ألف ليلة وليلة من الثقافة العربية إلى الثقافة الغربية الأوروبية في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي، هذه الرحلة التي ابتدأت قبل ذلك التاريخ بالتأثر الشفاهي المحدود وغير المركز، لكن الوصول الحقيقي والمؤثر ابتداءً حين عثر المستشرق الفرنسي (أنطوان جالان) على مخطوط عربي قديم يضم جزءاً من الكتاب، فقرر نقله إلى اللغة الفرنسية، وقد شاعت ترجمة (جالان) ليس في فرنسا وحدها، بل في سائر دول أوروبا، وتلقاها المشهد الأدبي الأوروبي في القرن الثامن عشر الميلادي باحتفاء كبير؛ لأنهم وجدوا في حكايات الليالي مزيجاً من السحر والمغامرة



والتشويق، وحاول البحث أن يستعرض أنموذجًا من التجارب الأوروبية المتأثرة بحكايات ألف ليلة وليلة، واختار نصًا مسرحيًا مغمورًا ومبكرًا للأدبية الإنجليزية (ديلاريير مانلي) هو مسرحية (أمينّا أو النذر العربي) وقد أوضحت المقارنة بين هذا النص والحكاية الإطارية في ألف ليلة وليلة اتفاقًا في الإطار العام للحكاية، وفي روح التجربة الإنسانية، وفي أدوار بعض الشخصيات الرئيسة.

الكلمات المفتاحية:

ألف ليلة وليلة، التأثير والتأثير، الأدب المقارن، جالان، النذر العربي.

Tales of One Thousand and One Nights in Arab Culture: The Question of Migration and Influence: a Comparative Study

Prof. Saleh Abdulaziz Almahmood

Imam Muhammad bin Saud University in Riyadh.

Abstract:

This research has tried to brighten the historical journey taken by the tales of the Thousand and One Nights through different cultures, stopping at the question of origin and the first reference, which seemed unknown at first glance, but surrounded by contexts of knowledge from the books of the Arab literary heritage contributed to the unfolding of the answer to this question, The research also dealt with the journey of One Thousand and One Nights from Arab culture to Western European culture at the beginning of the eighteenth century AD, this journey, which began before that date with limited and non-focused oral influence, but the real and influential access began when the French orientalist (Antoine Gallan) found an ancient Arabic manuscript that includes part of the book, so he decided to transfer it to the French language, Gallan's translation was popularized not only in France, but in the rest of Europe, and the European literary scene in the eighteenth century AD received it with great celebration, because they found in the tales of the nights a mixture of magic, adventure and suspense. The research tried to review a model of European experiences influenced by the tales of One Thousand and One Nights, and chose a theatrical text immersed and early for the English writer (Delarivir Manley) is the play (Almina or the Arab vow) has shown the comparison between this text and the tale framework in the Thousand and One Nights agreement in the general framework of the story, in the spirit of the human experience, and in the roles of some of the main characters.

Keywords:

One thousand and one nights, being affected and influence, comparative literature, gallan, almina .



تقديم:

تُعَدُّ حكايات ألف ليلة وليلة من أكثر المدونات السردية التي أثَّرت الأدب الإنساني، وأثَّرت فيه، واخترقت امتداداتها معظم حضارات العالم، وأضافت إليها من عوالم السحر والخيال والعجائبية، وكان تأثير هذا الكتاب في المنجزات الإبداعية اللاحقة عميقاً، ليس في الثقافة العربية وحدها، بل في معظم ثقافات العالم، كما أنه من الكتب التي أثَّرت في تلقيها كثيراً من الجدل والاختلاف؛ سواء أكان ذلك في أصله ومُنشئه، أم في زمن تأليفه وجمعه، أم في مؤلفه الذي ينسب إليه، وكذلك كانت حالة تلقيه النقدي يشوبها كثير من التناقض بين تهميشه وتعتيم أمره.

يسعى هذا البحث إلى دراسة الأثر الذي أحدثته حكايات ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، سواء أكان ذلك الأثر في نمط التلقي الأول المتمثل في الترجمة والبحث عن النسخ، أم كان في نمط التلقي الثاني المتمثل في الاحتذاء والمحاكاة في الأعمال الإبداعية، مبتدئاً في سبيل ذلك بمحاولة الكشف عن أصل حكايات ألف ليلة وليلة، وطريقة وصولها إلى الثقافة العربية، والسر الذي جعل الثقافة العربية تحتضن هذه الحكايات، وتخلدها في منظومتها الثقافية، وتصدرها بعد ذلك إلى ثقافات العالم.

وقد قُسم البحث ثلاثة مباحث؛ كان أولها يشغل على سؤال الأصل والارتحال، ناقشت فيه أصل حكايات ألف ليلة وليلة، وطريقة وصولها إلى الثقافة العربية وخلودها فيها، فيما كان المبحث الثاني مهتماً بدراسة السياقات التاريخية لوصول تلك الحكايات إلى الثقافة الأوروبية من الثقافة العربية، ومدى حجم التلقي الذي وجدته بعد ترجمتها إلى لغات أوروبية مختلفة.

ورغبة في تعميق البحث، وزيادة قيمته العلمية؛ فقد أفردت المبحث الأخير للإجابة التطبيقية عن سؤال التأثير الذي أحدثته حكايات ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية من خلال دراسة تطبيقية مقارنة، وتعمدت اختيار مدونة أدبية

إنجليزية مغمورة، وغير واردة في الدراسات النقدية العربية المتصلة بأثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، وهي مسرحية (ألمينا أو النذر العربي) للأدبية الإنجليزية (ديلايفيرمانلي).

وقد اعتمد البحث على منهج المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن؛ التي تقوم على معرفة الصلات التاريخية بين الآداب، وإثبات الاتصال التاريخي بين الكاتبين أو العاملين؛ ولهذا وجدت من المناسب البداية بالدراسة التاريخية التي تبحث في أصل حكايات ألف ليلة وليلة ووصولها إلى الثقافة العربية، معتمداً في ذلك على المصادر التراثية العربية، ومن ثم دراسة تاريخ ارتحال هذه الحكايات إلى أوروبا؛ لتأكيد اطلاع الأدب المتأثر على العمل المؤثر، ومن ثم دراسة أحد النماذج التي ظهرت تأثرها بألف ليلة وليلة؛ كي أتضمن من معرفة مدى التأثير الذي أحدثته حكايات ألف ليلة وليلة في الآداب الغربية، خاصة في بداية العصر الحديث؛ إذ كان هناك اتصال واضح بين العرب والغرب أدى بالضرورة إلى ترجمة الأعمال العربية الشهيرة، وأحدثت تأثيراً كبيراً في الحركة الأدبية في الغرب، ومن المهم أن تقدم قضايا التأثير والتأثير بشكلها العلمي الدقيق الذي يضمن إثبات الأثر، وإبراز مواطن التأثير والتأثير، وتمحيص العلاقة التاريخية بين الآداب.

كما تتجلى نقطة أخرى في دائرة أهمية هذا الموضوع، وهي أن الآداب والأعمال الإبداعية تستمد قوتها وتأثيرها من جودتها الفنية، ومظاهرها الابتكارية فيها، وأن تلك الخصائص الجمالية هي وسيلة النقل التي تمتطيها للارتحال إلى آداب الأمم الأخرى، وإلا فإنها ستظل حبيسة في دائرتها المحلية ولا تحملها قوتها للوصول إلى مرحلة القدرة على التأثير في آداب أخرى.

ويجدر بي أن أشير أن البحث لم يكن مهتماً بدراسة مدونة ألف ليلة وليلة نفسها، ولم ينشغل بالبحث عن الحكايات في سياق أحداثها، أو شخصياتها، أو بنيتها السردية، كما لم يتطرق إلى قيمتها الفنية والأخلاقية، لكنه ركز على أسئلة الأصل والمرجعية والارتحال والتأثير والتأثير، وهي تنظم سياقاً بالغ



الأهمية في دراسات الأدب المقارن، وبالأخص بعد أن تمكنت حكايات ألف ليلة وليلة من فرض حضور طاغٍ، وأثرٍ لا يخفى في الآداب الإنسانية.

إن هذا البحث يجيء في سياق منظومة من البحوث والدراسات التي تحاول لفت الانتباه إلى حكايات ألف ليلة وليلة بوصفها موروثاً سردياً شفافاً يتأسس على قيمة حضارية عميقة؛ فقد كان أشبه بالبوابة التي أذنت بدخول الأدب العربي إلى أوروبا، وفيه من العجائبية ما أدهش الغرب، وأغراهم بالقراءة والتلقي والبحث والمقارنة، وما زالت هذه الحكايات بحاجة إلى إضاءات بحثية تنصفها، وتنصف الثقافة العربية التي استطاعت تنميتها وإثراءها والمحافظة عليها عبر موروثها الشعبي وتداولاتها الشفاهية على مرّ القرون.

المبحث الأول: حكايات ألف ليلة وليلة، سؤال النشأة والارتحال:

إن أيّ حديث عن نشأة حكايات ألف ليلة وليلة وارتحالها إلى الثقافة العربية أو منها، يجب أن يبتدئ بمناقشة أصل هذه القصص، وكيف نشأت أول الأمر؛ ذلك أن مبدأ فكرة (الارتحال) إلى الثقافة العربية يفترض أن تلك القصص ليست عربية في أصلها، وإنما وفدت / ارتحلت إلى الثقافة العربية، مع أن كثيراً من أحداثها وشخصياتها وبيئاتها كانت عربية خالصة، ويعود معظمها إلى العصر العباسي عبر قرونه الممتدة، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بمدن وشخصيات عربية عباسية، كهارون الرشيد وبغداد والقاهرة ودمشق وغيرها، ما قد يعطي انطباعاً ابتدائياً بأن تلك القصص ذات أصل عربي.

ولكي يمكن للباحث في تاريخ هذه الحكايات أن يؤسس لنفسه منطلقاً معرفياً مقبولاً؛ فعليه أن يبدأ بمسألة كتب التراث العربي التي تحدثت عن حكايات ألف ليلة وليلة، أو تلك التي أشارت إليها مجرد إشارة؛ ذلك أن سؤال النشأة والمرجعية سيكون في الغالب وارداً ومُشاراً في تلك المصادر بشكل مباشر أو غير مباشر، سواء أكان ذلك على مستوى المنطوق الصريح أم المفهوم المستنبط.

إن معظم الإشارات المعرفية إلى حكايات ألف ليلة وليلة في كتب التراث العربي تحيل أصل هذه الحكايات ومبتدأها إلى أصول غير عربية، وتكاد تتفق على إحالتها إلى أصول فارسية، وهي -أي كتب التراث العربي- تؤكد على أن العرب إنما عرفوا الحكايات العجائبية وحكايات الخرافة بشكل عام من خلال الثقافتين الفارسية والهندية اللتين كانتا أبرز من ابتدع مثل ذلك النوع من الحكايات وكتب فيها، وحين اشتغل العرب بترجمة الآثار الأجنبية في العصر العباسي الأول كان مما ترجموه الكتب التي اشتملت على حكايات الخرافة، وكان جلُّها من التراث الفارسي، ومن أبرز المنجزات الفارسية في هذا السياق كتاب (هزار أفسان أو أفسانة)^(١) الذي يعني بالعربية (ألف خرافة)، وهذا الكتاب الفارسي يتأسس في مضمونه على قصة تتطابق بشكل كامل؛ حدثاً وشخصيات مع الحكاية /الإطار في ألف ليلة وليلة، والمقصود بالإطار الحكاية الأساسية التي يُروى في إطارها سائر القصص، فهي أشبه بالإطار الجامع للحكايات جميعها، وهي في حكايات ألف ليلة وليلة قصة شهريار وشهرزاد الشهيرة التي تُعدُّ إطاراً ثابتاً للحكايات التي تنبثق منها، وتتوالد عنها.

ومن أهم الإشارات الواردة في مصادر التراث العربي عن ألف ليلة وليلة ما ذكره ابن النديم (ت ٤٣٨هـ) في كتابه (الفهرست) حين قال: «أول من صنّف الخرافات، وجعل لها كتباً، وأودعها الخزائن، وجعل بعض ذلك على ألسنة الحيوانات الفرسُ الأول، ثم أغرق في ذلك ملوك الأشغانية، وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس، ثم زاد ذلك واتسع في أيام ملوك الساسانية، ونقلته العرب إلى اللغة العربية، وتناوله الفصحاء والبلغاء، فهذبوه ونمّقوه، وصنّفوا في معناه ما يشبهه، فأول كتاب عمل في هذا المعنى، كتاب هزار أفسان، ومعناه ألف خرافة، وكان السبب في ذلك أن ملكاً من ملوكهم كان إذا تزوج امرأة وبات معها ليلة، قتلها

(١) ورد اسم الكتاب في بعض كتب التراث العربي (هزار أفسان)، وفي بعضها الآخر (هزار أفسانة) كما سيأتي في قادم هذا البحث.



من الغد، فتزوج بجارية من أولاد الملوك من لها عقل ودراية، يقال لها شهرزاد، فلما حصلت معه، ابتدأت تحرفه، وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ومسئلتها [هكذا] في الليلة الثانية عن تمام الحديث، إلى أن أتى عليها ألف ليلة ...»^(١)، وهذه الحكاية الإطارية هي التي أسست لقصص (هزارأفسان / أوأفسانة)، وهي -في الوقت ذاته- مطابقة بشكل كامل لحكاية الإطار في حكايات ألف ليلة وليلة، «ما يجعل الباحث في تاريخ هذه القصص يطمئن من حيث المبدأ إلى أن أصل هذه القصص ليس عربيًا»^(٢)، وأن وصولها الأول إلى الثقافة العربية كان من خلال الترجمة من الفارسية، وهي إشارة صريحة من ابن النديم «ونقلته العرب إلى اللغة العربية ...»، وقد مثل على ظاهرة النقل والترجمة بكتاب (هزارأفسان / أوأفسانة) الذي يؤسس لحكايات ألف ليلة وليلة، ويتطابق مع حكايته الإطارية.

كما تضمن كلام ابن النديم السابق إشارة غاية في الأهمية عن نقل تلك النصوص الخرافية التي ابتدعها الفرس إلى الثقافة العربية عن طريق العرب أنفسهم، حين ذكر أن النقل العربي لم يكن نقلاً مجرداً أو حرفياً دون تدخل وتصرف، لكنهم «هذبوه ونمّقوه، وصنّفوا في معناه ما يشبهه، فأول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب هزارأفسان ...»، وهذه الإشارة تعطي دليلاً على وجود مصنفات عربية عجائبية تأثرت بالتجربة الفارسية، وكان مبتدأ تأثرها كتاب (هزارأفسان / أوأفسانة) الذي تتأسس حكايته الإطارية على ذات القصة التي تتأسس عليها الحكاية الإطارية في حكايات ألف ليلة وليلة، ما يدعم فكرة الاحتذاء والتأثر.

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٦٣.

(٢) سعيد حيدر، تجليات العجائبي في النثر العربي القديم، ص ١٠٨.

ولم يكن ابن النديم الوحيد الذي تحدث عن كتاب (هزار أفسان / أو أفسانة)، فقد سبقه المسعودي (ت ٣٤٦هـ) في كتابه (مروج الذهب)، والمسعودي يُعَدُّ تاريخياً أقدم من أشار إلى حكايات ألف ليلة وليلة في التراث العربي؛ إذ ذكر الكتاب باسمه حين نصَّ على أن الناس أسموه ألف ليلة وليلة، يقول المسعودي في ختام حديث مطول عن بعض أخبار الفرس العجائبية التي تسامع بها العرب، ومنها خبر (إرم ذات العماد): «وقد ذكر كثير من الناس ممن له معرفة بأخبارهم أن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نَظَمَهَا مَنْ تُقَرَّبُ للملوك بروايتها، وصال على أهل عصره بحفظها والذاكرة بها، وأن سبيلها الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية، وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب هزار أفسانة، وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية ألف خُرافة، والخرافة بالفارسية يُقال لها أفسانة، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة، وهو خبر الملك والوزير وابنه وجاريتهما وهما شيرزاد ودينا زاد، ومثل كتاب فرزة وسيماس وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء، ومثل كتاب السندباد، وغيرها من الكتب في هذا المعنى»^(١).

ونلاحظ ابتداءً أن المسعودي يشير إلى أن تأليف ما وصفه بالأخبار الموضوعة والخرافات المصنوعة يشبه كتباً هندية وفارسية ورومية مترجمة، ثم يذكر كتاب (هزار أفسانة) مثلاً عليها، أي أنه يشير إلى منجز عربي احتذى (هزار أفسانة) وتأثر به، وهذا التفريق يستلزم وجود كتاب آخر مستقل في زمن المسعودي ينتمي إلى الثقافة العربية اسمه (ألف ليلة وليلة) كما نصَّ المسعودي على ذلك، لكن الكتاب العربي كان نتيجة تأثر ظاهر واحتذاء لا يخفى لكتاب فارسي يدعى (هزار أفسانة)، من خلال حكاية الإطار التي عرضها المسعودي في نهاية كلامه.

إن تأمل نهاية نص المسعودي يوحي لنا بأن الحكايات العربية صيغت على غرار كتب أجنبية منقولة إلى العربية، وإذا ربطنا آخر الكلام بأوله الذي يشير

(١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢/٢٥١.

فيه إلى الفرس وخرافاتهم، وإلى الأمم الأخرى كالهنود والرومان، وما ألقوه في هذا السياق من كتب مختلفة؛ يتضح لنا أن المسعودي يشير إلى كتاب خرافي عربي تتأسس فكرته على كتب أجنبية منقولة إلى العربية^(١).

كما نلاحظ أن المسعودي يشير إلى مصادر أخرى غير (هزار أفسانة) مثل: كتاب (فزرة وسيماس)، وهو يعود إلى الثقافة الهندية، ومثل كتاب (السندباد) وهو غالباً يعود إلى الثقافة الإغريقية أو الهندية^(٢)، وفي هذه الإشارة من المسعودي قيمة معرفية، تتمثل في تعدد المصادر والثقافات التي استقت منها النسخة العربية من ألف ليلة وليلة قصصها، بيد أن الاتفاق بدا واضحاً بين المسعودي وابن النديم في أن أصل هذه القصص لم يكن عربياً، وإنما انتقلت إلى الثقافة العربية من ثقافات الأمم الأخرى، وبالأخص الثقافة الفارسية المتمثلة في (هزار أفسانة).

كما تضمنت إشارة المسعودي لفئة عميقة يجدر بالباحث التوقف عندها، وهي ما يمكن وصفه بمحاولة تجنيس مدونة (ألف ليلة وليلة)، حين ذكر أنها أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة، «وهي إشارة لافتة؛ لأنها تحاول أن تصنف النوع الأدبي الذي تندرج ألف ليلة وليلة في إطاره، ولدينا في خبر المسعودي نوعان أديبان، هما الخبر الموضوع والخرافة المصنوعة»^(٣)، وهما نوعان يشتركان في خصائص متعددة، لعل أبرزها التخيل، والوضع/الكذب، وغايات التشويق، وهي خصائص يمكن أن تكون مفتاحاً رئيساً لهذا النوع من السرد العجائبي.

كما نلاحظ أن المسعودي نص صراحة على اسم (ألف ليلة وليلة) حين ذكر أن الناس تسمي به كتاب (هزار أفسانة)، لكن مفهوم كلامه يشير إلى كتاب عربي وليس فارسياً، وهذا قد يعني أن النص الفارسي تُرجم إلى العربية، وأن الناس

(١) ينظر: عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ص ١٤٣.

(٢) ينظر: فاروق خورشيد، الموروث الشعبي، ص ١٩٤.

(٣) ضياء الكعبي، السرد العربي القديم: الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ص ٧٦.

تداولت كتاباً عنوانه ألف ليلة وليلة في القرن الثالث الهجري كما تدل على ذلك إشارة المسعودي السالفة، لكنّ هذا الكتاب لم يعثر عليه مخطوطاً، ولا دليل على وجوده سوى إشارة المسعودي إليه، على أن هذه الإشارة ربما تجعلنا نظمئن إلى وجود هذه الحكايات مكتوبة في القرن الثالث الهجري، وأن الثقافة العربية هي التي مكّنت من حفظ هذه الحكايات، وهي التي أضافت إليها الكثير من القصص بعد ذلك على مرّ القرون، تلك القصص التي تأسست على شخصيات، وأماكن، وبيئات، وأحداث، وأزمنة، عربية مختلفة.

ومن الإشارات التراثية العابرة التي تحدثت عن كتاب (هزار أفسان / أو أفسانة) ما ذكره أبو حيان التوحيدي (٤١٤هـ) في كتابه (الإمتاع والمؤانسة) في سياق كلامه عن شهوة الحديث والأنس به، ولو كان باطلاً محالاً، يقول: «ولفرط الحاجة إلى الحديث ما وضع فيه الباطل، وُخلط بالمحال، ووُصل بما يعجب ويُضحك، ولا يؤول إلى تحصيل وتحقيق، مثل (هزار أفسان) وكل ما دخل في جنسه من ضروب الخرافات، والحسّ شديد اللّهج بالحادث والمُحدّث والحديث؛ لأنه قريب العهد بالكون، وله نصيب من الطرافة»^(١)، وإشارة التوحيدي هذه تؤكد أن مضمون (هزار أفسان / أو أفسانة) تأسس على العجائبي وقصص الخرافة، ومن الواضح أن هذا الكتاب شاع وانتشر في الذاكرة العربية في القرن الرابع الهجري، وتداوله الناس في المجتمع العربي، بدليل الإشارات المتعددة إليه.

وقد علّق محققا الإمتاع والمؤانسة على كلام أبي حيان السابق تعليقياً يبدو إirاده ضرورياً في سياق هذا البحث حين قالوا: «وهزار أفسان كتاب في الخرافات، نقل ابن النديم معنى هذا الاسم ألف خرافة، ويستفاد مما ذكره من السبب في تأليفه أنه أصل لكتاب ألف ليلة وليلة المعروف»^(٢)، وقد بنى المحققان رأيهما على

(١) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ٢٣/١.

(٢) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ٢٣/١.

تطابق الشخصية والحدث بين القصة الإطارية في النسخة العربية لألف ليلة وليلة، وما ذكره ابن النديم في الفهرست من توصيف لسبب تأليف هزارأفسانة.

ومن الإشارات التراثية المتأخرة نسبياً ما نقله المقرئ في كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) المعروف بـ (الخطط المقرئية) عن ابن سعيد صاحب (المحلى بالأشعار) الذي نقل عن مؤرخ مصري يدعى القرطبي، يقول المقرئ: «قال ابن سعيد في كتاب المحلى بالأشعار: قال القرطبي في تاريخه: تذاكر الناس في حديث البدوية وابن مِيّاح من بني عمها، وما يتعلق بذلك من ذكر الآمر، حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كأحاديث البطال، وألف ليلة وليلة، وما أشبه ذلك»^(١).

إن هذه الإشارة تعود في الغالب إلى ما بعد منتصف القرن السادس الهجري^(٢)، ومن الواضح أن حكايات ألف ليلة وليلة باتت معروفة ومألوفة لدى الناس آنذاك، كما أن تلك الحكايات كانت أشبه بالأساطير الشعبية التي يتناقلها الناس، وهذا ظاهر في تشبيه القرطبي تلقي خبر الأمر بأحكام الله مع زوجه وابن عمها المعروف بابن مِيّاح بأحاديث ألف ليلة وليلة، وهو يقصد أن الناس

(١) المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٣٣٥/٢.

(٢) الأرجح عندي أن ورود اسم (القرطبي) تحريف، والصواب هو القرطبي صاحب كتاب (تاريخ مصر)، وهو المتوفى بعد منتصف القرن السادس (٥٦٧هـ)، والدليل على ذلك أن علي بن سعيد اعتمد اعتماداً كبيراً على تاريخ القرطبي في كتبه، وبالأخص في كتابه الذائع (المغرب في حلى المغرب) فقد كان فيه يغترف من (تاريخ مصر) للقرطبي، كما يقول حسين نصار، كما أن حياة القرطبي في النصف الثاني من القرن السادس تتسق وتنسجم زمنياً مع فترة الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله الذي عاش في أول ذلك القرن، وتوفي سنة ٥٢٤هـ.

ينظر:

ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٢٩٩/٥.

علي بن موسى بن سعيد، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، (وهو آخر من ألف الكتاب؛ لأنه أُلّف بالموارثة على مدى مئة وخمسين سنة)، (مقدمة المحقق، ص ١٣).

نسجوا حول الخبر حكايات شعبية خرافية متداولة، تماماً كأحاديث ألف ليلة وليلة، وهو ما يعطي انطباعاً أن حكايات ألف ليلة وليلة كانت معروفة في العهد الفاطمي بهذا الاسم، وكانت أشبه بأساطير شعبية متداولة.

إذن، فالأرجح أن أصل ألف ليلة وليلة لم يكن عربياً، وهذا ما نطق به المصادر التراثية التي تعرضت لهذا النوع من السرد العجائبي، وثمة ما يشبه الاتفاق بين تلك المصادر على أن كتاب (هزار أفسانه) هو الأصل الذي نُسجت فيه حكاية الإطار، تلك الحكاية التي ظلت المنطلق الرئيس، والفاحة الأولى لكل الحكايات التي نُسجت في ألف ليلة وليلة بعد ذلك، لكن الذي يبدو مؤكداً هو أن الثقافة العربية أعادت تشكيل هذه الحكايات من خلال الموروث الشفاهي للحكاية، كما أعادت بناء هذه الحكايات وفقاً للثقافة العربية والإسلامية، مستثمرة أحياناً وبيئات وشخصيات عربية مختلفة، «وكان النتاج الفكري بجميع مستوياته وأنواعه يجري تداوله وإنتاجه بتوجيه من البنية الثقافية التي أرسى دعائمها قبل ذلك بنحو أربعة قرون، فإذا وضعنا في الاعتبار التداول الشفاهي للمأثورات ذات الأصول القومية المختلفة، ومقدار ما يلحق بها من تغيير، طبقاً لشروط إنتاج البنية الثقافية القائمة آنذاك؛ نتوصل إلى أن ما تتعرض له تلك المأثورات من طمس لخصائصها سواء أكانت عربية أم أعجمية، يعدّ أمراً مفروغاً منه»^(١)، وهذا بعينه ما حدث للأصل غير العربي لحكايات ألف ليلة وليلة؛ إذ ذاب وتلاشى وطمس في بنية ثقافية شفاهية عربية استطاعت فرض شروطها وخصائصها، وكأن الأمر أشبه بتفاعل ثقافي بين مجموعة من الحضارات أدى إلى صهر ملامحها الذاتية أو القومية، وإعادة تكوينها من جديد في الثقافة العربية التي كانت غالبية ومسيطرة في ذلك الزمن، بما لديها من مقومات التداول الشفاهي.

(١) عبد الله إبراهيم، السردية العربية: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ص ٨٨.

لقد أدى الموروث الشفاهي العربي دورًا محوريًا ومصيريًا في تنمية حكايات ألف ليلة وليلة، ورفدها بالمزيد من الحكايات على مدى قرون متوالية، وهذا الأمر جعل تلك الحكايات تتلبس بلبوس الثقافة العربية، وتبدو كأنها ذات أصل ومرجعية عربية، وهذا ما جعل مستشرقًا مثل (جرونيباوم) يقول في كتابه الذائع (حضارة الإسلام) : «تطورت المجموعة الضخمة من الحكايات والخرافات المعروفة بألف ليلة وليلة في أصقاع مختلفة من العالم الناطق بالعربية بين قرابة ٩٠٠م و ١٥٠٠م، وتطمس اللغة واللون المحلي معالم العنصر الأجنبي للشطر الأكبر من مادة الكتاب طمسًا فعليًا»^(١)، على أن هذه العبارة تحتاج إلى مراجعة علمية دقيقة؛ فهي - وإن كانت دقيقة في توصيف سطوة الثقافة العربية على معالم العنصر الأجنبي في حكايات ألف ليلة وليلة - لم تكن دقيقة ولا منصفة حين زعمت أن العنصر الأجنبي قد أسهم بالشطر الأكبر من مادة الكتاب؛ ذلك أن إسهام العنصر الأجنبي - وهو موجود ولا ينبغي إنكاره - لا يتعدى التأسيس لهذه الحكايات من خلال القصة الإطارية، وربما رقد بعض الحكايات بشيء من الخرافات المتأصلة في ثقافة هذا الشعب أو ذاك.

والذي أميل إليه في سؤال المرجعية لحكايات ألف ليلة وليلة يمكن إيجازه في فكرة (المشترك الثقافي)؛ أي أن الثقافات الفارسية والهندية والعربية قد اشتركت في الإسهام بقليل أو كثير من نسيج تلك الحكايات، فهي أشبه بمزيج من حكايات مختلفة تنتمي إلى ثقافات مختلفة، وتعرضت إلى عمليات إضافة وحذف متتابعة، ومهما يكن من أمر، ومهما اختلف الباحثون في نسبة هذا الكتاب، فثمة ما يشبه الاتفاق على أنه من إبداع مخيلة شرقية، لكنني أرى في سياق البحث عن الأصل والنشأة الأولى أن هذه الحكايات تأسست واستندت على أصل غير عربي، أي أن الكلمة الأولى في هذه الحكايات لم تكن عربية، بيد أني - في الوقت ذاته - مطمئن إلى أن الروح العربية - بعد ذلك - كانت الأبرز في حضورها، والأعمق في تأثيرها،

(١) جوستاف جرونيباوم، حضارة الإسلام، ترجمة عبد العزيز جاويدم، ص ٣٧٤-٣٧٥.

والأقوى في انتشارها، والأقدر على الحفظ والتخليد؛ ما جعل بعض الدارسين يراهن على عروبة هذه الحكايات في أصلها، وينفي أن يكون لها أصول غير عربية، ومن هؤلاء داود الشويلي الذي أوقعته حماسته في تناقض صريح إذ يقول: «ألف ليلة وليلة سفر من أسفار الأمة العربية رغم ما فيه من تأثير الحضارات الأخرى، إنه كتاب عربي مئة في المئة، وهو ابن حضارتها وثقافتها وأدبها»^(١)، ولا يبدو هذا الطرح مقبولاً؛ ذلك أنه مبني على تداخل غير مفهوم، فكيف تكون حكايات ألف ليلة وليلة عربية مئة في المئة وهي رهينة تأثير الحضارات الأخرى؟

ومن الباحثين الذين راهنوا على عروبة هذه الحكايات في أصلها عبد الملك مرتاض الذي تحول إلى المحاجة العقلية: «كيف سكت الفرس، وخرس الهنود، وتجاهل الإغريق عن كل هذه الروائع، وتركوا العرب وحدهم ينسجون حكاياها، ويروون أحداثها؟»^(٢)، فهو يرى أن حكايات ألف ليلة وليلة «ثمرة من ثمرات الحضارة العربية الإسلامية، ونتاج من نتاجها»^(٣)، وهو رأي بدا لي مجحفاً وغير منصف؛ ذلك أنه من شبه الثابت أن العرب استفادوا في النسيج الأول لهذه الحكايات (حكاية الإطار) من أصول غير عربية، سواء أكانت هندية أم فارسية، وهو ما نصّ عليه المسعودي وابن النديم وغيرهما من مؤرخي القرون المتقدمة، مع الإقرار بفضل الثقافة العربية بموروثها الشفاهي في إثراء الحكايات وتخليدها وسيورتها، ومن ثم تأثيرها في الثقافات الأخرى بعد ذلك.

وفي سياق الثقافة العربية التي تلقت النواة الأولى لتلك الحكايات العجائبية من مصادر أجنبية كما أشرت سابقاً، فلم تُعرف على وجه الدقة والتحديد بدايات تدوين هذه الحكايات، كما لم تعرف النسخة العربية الأولى الكاملة لحكايات ألف ليلة وليلة في الأدب العربي، ولم يمكن التعرف على كتاب محددين

(١) داود الشويلي، ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية، ص ١٠.

(٢) عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة: تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد، ص ٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٦.

يمكن أن نعزو إليهم تأليف تلك الحكايات، ومن الواضح أن الشفاهية والتداول الشعبي كان لهما دور عميق في ذلك، وقد اختلف الباحثون في تحديد السنة التي دُوِّنت فيها هذه القصص أول مرة، ومعظم الإشارات التراثية المبكرة التي تحدثت عن تلك الحكايات لا تتحدث عن اسم مؤلف لها، ولا تحيل إلى تاريخ يمكن أن نستند إليه في مبتدأ تداولها الشفاهي أو تدوينها الكتابي، وهو أمر يبدو طبيعياً في ظل الغموض الذي يكتنف أصل هذه الحكايات، لكننا نجد إشارتين مهمتين عند ابن النديم يمكن أن يكونا دليلاً أولياً على بدء تدوين حكايات ألف ليلة وليلة في القرنين الثالث والرابع الهجريين إبان عصر الخلفاء العباسيين؛ إذ يحيل ابن النديم في الإشارة الأولى إلى عصر الخلفاء العباسيين في نهايات القرن الثالث وبدايات القرن الرابع، ويسمّي أشخاصاً احترّفوا تدوين الأسمار والخرافات، يقول ابن النديم: «كانت الأسمار والخرافات مرغوباً فيها مشتهرة في أيام خلفاء بني العباس، وسيّما في أيام المقتدر، فصنّف الوراقون وكذبوا، فكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن دلان، واسمه أحمد بن محمد بن دلان، وآخر يعرف بابن العطار، وجماعة»^(١)، وهذا النص يمثل وثيقة تاريخية يمكن أن تضيء بدء التدوين (صنّف الوراقون) كما أنها تحيل إلى أواخر القرن الثالث الهجري، وبدايات القرن الرابع، حيث عاش المقتدر بالله ومات، كما أنها تخبرنا عن العصر العباسي بـ«أن دوائر التلقي الرسمية والشعبية كانت ترحب بهذا النمط من التأليف الخرافي»^(٢).

ونصّ ابن النديم - وإن لم يشر صراحة إلى حكايات ألف ليلة وليلة - يحيلنا إلى الحكايات المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفكرة الأسمار والخرافات، تلك الحكايات التي أولع الناس بها - عامتهم وخاصتهم -، وهذا ما يجعل احتمالية الإحالة إلى ألف ليلة وليلة واردة ومقبولة.

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٦٧.

(٢) ضياء الكعبي، السرد العربي القديم: الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ص ٨١.

أما الإشارة الثانية في فهرست ابن النديم فبطلها مؤرخ وأديب عاش في نهايات القرن الثالث الهجري، وفي الثلث الأول من القرن الرابع، يدعى محمد بن عبدوس الجهشيارى، المتوفى سنة ٣٣١هـ، وهو صاحب كتاب (الوزراء والكتّاب)، وقد ذكر ابن النديم أن هذا الرجل ابتدأ «بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم، كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره، وأحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون، واختار من الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات ما حلا بنفسه، وكان فاضلاً، فاجتمع له من ذلك أربعمائة ليلة وثمانون ليلة... ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تكميمه ألف سمر، ورأيت من ذلك عدة أجزاء بخط أبي الطيب أخي الشافعي»^(١).

إن إشارة ابن النديم هنا تحيلنا إلى محاولة ثابتة لتدوين حكايات خرافية تشبه حكايات ألف ليلة وليلة التي نتداولها اليوم، وقد تكون هي نفسها، فالجهشيارى -بحسب ابن النديم- أزمع جمع ألف سمر من أسمار العرب والعجم، وأخذ من أصحاب الأسمار أحسن ما عندهم، كما نقل من الكتب المدونة في الأسمار والخرافات، وهذا يعني أنه اعتمد لإثراء مدونة كتابه على مصدرين هما: التلقي الشفاهي والتلقي المكتوب، «وكان الجهشيارى كان بصدد إنجاز عمل موسوعي ضخم يستوفي فيه التراث الخرافي الكامن في أعماق حضارات العالم القديم آنذاك»^(٢).

إن محاولة الجهشيارى التي اطلع عليها ابن النديم بنفسه حين رأى منها عدة أجزاء، يمكن أن تكون المحاولة الأولى لتدوين حكايات ألف ليلة وليلة، لكنها بالتأكيد ليست المحاولة الأولى لتدوين الحكايات الخرافية في الثقافة العربية؛ ذلك أن إشارة ابن النديم الأولى تحيل إلى محاولات سابقة، لكن المؤسف في هذا

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٦٣-٣٦٤.

(٢) ضياء الكعبي، السرد العربي القديم: الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ص ٨١.



السياق أن كتاب الجهشيارى ظل مفقوداً، ولم يصل إلينا^(١)، وأرجح أنه - لو وصل - سيكشف لنا كثيراً من الغموض المتعلق بأصل حكايات ألف ليلة وليلة، خاصة أنه يحمل بين طياته قصصاً خرافية للعرب وغيرهم، ومن جمعتها بدا رجلاً خبيراً بالتراث العجائبي في عصره، لكن هذا الخبر لا يتعارض مع الأصل الفارسي الذي نظن أن العرب أخذوا عنه ألف ليلة وليلة؛ لأن خبر (هزار أفسانه) سابق للجهشيارى، ولأن الجهشيارى كان يجمع جمع الحكايات الشفاهية والمدونة قبله، ولم يكن مؤلفاً بالضرورة.

ويشير بعض الباحثين إلى أن أقدم النسخ العربية التي عثر عليها لحكايات ألف ليلة وليلة هي «قصاصات من مخطوطة من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وتحديدًا في سنة (٢٦٦هـ/ ٨٧٩م)، ومن المحتمل أن تكون سورية الأصل، وتحمل عنوان (كتاب فيه حديث ألف ليلة وليلة)»^(٢)، ولا بد من الإشارة هنا إلى الجهد العميق والجاد الذي قام به محسن مهدي في البحث عن الأصول العربية الأولى لنص ألف ليلة وليلة عن طريق مقارنة مخطوطات الليالي التي عثر عليها، وقد وصل مهدي إلى أن للقصص مصدرين اثنين: الأول مصري، وهو الأكبر والأحدث، والثاني سوري، وهو الأقصر والأقدم، فالنسخة السورية تعود في الغالب إلى القرن الرابع، والنسخة المصرية تعود إلى القرن الثاني عشر، وبمقارنته بين المخطوطات المختلفة ثبتت لديه إحدى عشرة قصة فقط، وأما القصص الأخرى فهي غير موجودة في المخطوطات الأولى لحكايات ألف ليلة وليلة، وقد

(١) نقل محققو (كتاب الوزراء والكتّاب) عبارة ابن النديم السالفة في مقدمة تحقيقهم، وعلقوا بقولهم: «وقد خلت خزائن الكتب المعروفة من كل كتب الجهشيارى، فلا يوجد منها الآن شيء إلا هذه القطعة التي ننشرها اليوم من كتاب الوزراء والكتّاب»، كما نقلوا عبارة للمستشرق بروكلمان نصها: «وقد ضاع من تأليفه كتاب ميزان الشعر والاشتمال على أنواع العروض، ومجموعة أسمار العرب والعجم والروم».

ينظر: محمد بن عبدوس الجهشيارى، كتاب الوزراء والكتّاب، (مقدمة التحقيق، الصفحة: س).

(٢) محسن مهدي، كتاب ألف ليلة وليلة من أصوله العربية الأولى، ص ٢٦.

عدّها دخيلة على النص الأصلي لليالي^(١)، وهو استنتاج منطقي ومدعوم بالدليل؛ ذلك أن النسخ الأولى تاريخياً خلت من كثير من الحكايات الشهيرة، وهو ما يجعل الباحث يرجح أن تلك الحكايات أضيفت بعد ذلك، وغالب الإضافات جاءت في النسخة المصرية، وهو أمر متوقع سلفاً بالنظر إلى تأخرها الزمني الطويل مقارنة بالنسخ الأخرى.

ويجدر بي أن أشير هنا إلى استحالة الجزم بوجود نسخة عربية مكتملة لحكايات ألف ليلة وليلة أو الجزم بوجود مؤلف / مؤلفين لذلك الكتاب؛ ذلك أن النسخ الموجودة بين أيدي الباحثين مختلفة ومتفاوتة في القصص عدداً ونوعاً، وما هو موجود في نسخة ما بدا مفقوداً في الأخرى، وأغلب الظن أن الموروث الشفاهي بتداوليته وسيرورته قد تحكم بتلك النسخ عدداً ونوعاً، وأسهم بشكل مباشر في تباينها، واختلاف مستوياتها، ويجدر بنا أن نتذكر أن هذه الحكايات جزء من الأدب الشعبي الذي يكون في الأغلب الأعم مجهول المؤلف، ومجهول السند، وتشارك في تأليفه الأخيلة الشعبية دون أن يكون منسوباً إلى مبدع بعينه، بل إن الذين يتلقونه ربما أسهموا في تنميته، أو توليد حكايات جديدة منبثقة من الحكاية الأولى.

وقد رجّحت الشواهد التي حاول الباحثون تمحيصها عن حكايات ألف ليلة وليلة من خلال دراسة النسخ التي يظن أنها أصلية للحكايات، ودراسة الأماكن التي وصفت في الحكايات، ودراسة اللهجات التي بدأت تسود في المجالس المدنية في القرن الثالث الهجري، ودراسة الطباع والعدادات، وما يتعلق بها من أشكال الأثاث واللباس، ومتابعة التقاليد الدينية وعلاقتها بالفقه والتشريع والغيبيات، رجّحت إلى حد كبير شيوع هذه الحكايات في نهايات القرن الثالث الهجري في البيئة المدنية من الدولة العباسية، وأخص هنا بيئة القصور العباسية التي نسجت حولها وحول من فيها من الجوّاري الكثير من الحكايات التي يتمازج فيها الصدق والكذب، والحقيقي والعجائبي، والأصيل والمكتسب^(٢).

(١) ينظر: ضياء الكعبي، السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ص ٨٤-٨٥.

(٢) ينظر: محسن الموسوي، ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي: الوقوع في دائرة السحر، ص ٩-١٠.

ومن خلال هذا العرض يتضح أن أصل حكايات ألف ليلة وليلة جاءت ابتداء من بيئة ليست عربية، وأن منشأها الأول المتمثل في حكاية الإطار لا يعود إلى الثقافة العربية، لكنها بعد أن تداولتها الأوساط الشعبية العربية اكتسبت خصائص الثقافة العربية التي شكّلتها بشكلها، وبنيتها بناءً عربيًا خالصًا، وأسهمت الثقافة العربية بما فيها من نزعة شفاهية غنية في صياغة حكايات جديدة، وهذه الحكايات باتت تتجدد وتزيد بشكل مستمر على مرّ الزمان واختلاف البيئات، ومعلوم بالضرورة أن «تداول ما هو أعجمي وسط بنية ثقافية عربية إسلامية خلال مدة طويلة ... يجرّده من خصائصه، ويكسبه خصائص جديدة»^(١)، فلم يكن غريبًا أن نجد في تلك الحكايات حضورًا عربيًا طاغيًا للشخصيات التاريخية، والأماكن الحضارية، والكثير من الأحداث والتحوّلات المرتبطة بالعرب، وكأن الثقافة الشعبية العربية كانت تنتظر هذا النوع من الحكايات العجائبية؛ لتصهره في بوتقتها من خلال التداول الشفاهي في سرد القصص، مستثمرة في ذلك ما تمتلكه من مخزون ثقافي، وشغف سردي، وتداولية شفاهية.

كما أن إشارة المسعودي أثبتت وجود كتاب عنوانه (ألف ليلة وليلة) في القرن الثالث الهجري، وكذلك كانت إشارات ابن النديم مثبتة وجود كتاب للجهمياري الذي عاش في نهايات القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع، وهذان القرنان يمثلان تاريخًا مبكرًا للتدوين، وهذه المحاولات وإن لم يعثر عليها مخطوطة، فإن الإشارة إليها تجعلنا نرجّح وجود بعض هذه الحكايات مكتوبة في نهايات القرن الثالث أو بدايات القرن الرابع الهجريين، «فأصل الكتاب كان مدوّناً، ثم نزل الأدب الشعبي الفولكلوري فغير منه وزيد فيه»^(٢)، بل إن بعض الباحثين يذهب إلى أبعد من هذا في حكمه على (ألف ليلة وليلة)، حين يرجّح «أن بعض الخرافات التي يتضمنها كانت من المرويات الشفاهية في الحواضر

(١) عبد الله إبراهيم، السردية العربية: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي،

ص ٨٨.

(٢) محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص ١٧٨.

العربية الإسلامية قبل القرن الرابع، وسواء كانت في بذورها الأولى عربية (جاهلية) أم أعجمية (هندية فارسية رومية) فإن التداول الشفاهي لها أضفى عليها خصائص تفوق أهميتها، تلك التي يفترض وجودها إذا كانت قد انحدرت إلينا من أزمنة قديمة أو مواطن أخرى^(١)، لكن تلك الحكايات كانت قليلة على ما يبدو، والغالب أن كثيراً من الحكايات أضيف بعد ذينك القرنين، وعلى مرّ القرون المتوالية تزايد العدد، والتحمت الحكايات الجديدة بالقديمة، وأصبحت جزءاً أصيلاً في الكتاب، هذا ما يمكن ترجيحه في هذا السياق، بيد أن ما يمكن الركون إليه، والوثوق به، هو أن الثقافة العربية هي التي مكنت من حفظ تلك الحكايات، وتنميتها، وخلودها في الذاكرة الأدبية الجمعية على مستوى العالم، وهي -أي الثقافة العربية- التي أسهمت في نشر هذه الحكايات بلغات مختلفة في العصر الحديث من خلال الترجمة عن العربية إلى اللغات الأخرى.

وقد حاول المستشرق النمساوي (جوزيف هامر) دراسة أصل حكايات ألف ليلة وليلة في بحث اعتمد فيه على إشارات المسعودي السالفة في مروج الذهب، وابن النديم في الفهرست، وقد انتهى إلى نتائج تبدو منطقية قياساً بالمعتمد المعرفي الذي استند إليه، ويمكن تلخيص نتائجها التي توصل إليها في ثلاثة استنتاجات رئيسة:

١. الأصل الأول والنواة الأساسية لحكايات ألف ليلة وليلة ليست عربية، وإنما هي فارسية أو هندية، وتتمثل في كتاب (هزار أفسانه) الذي ترجم إلى العربية في القرن الثامن الميلادي.
٢. ثمة حكايات عربية وضعت في بغداد أيام الدولة العباسية في عصورها الأولى.
٣. ثمة حكايات عربية وضعت في مصر أيام الفاطميين ومن بعدهم، تصور الحياة في مصر بشكل واضح^(٢).

(١) عبد الله إبراهيم، السردية العربية: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ص ٨٨.
(٢) ينظر: شريف عبد الواحد، ألف ليلة وليلة: الأصول والتطور، دمشق، مجلة المعرفة، السنة ٣٩، عدد: ٤٤١، يونيو ٢٠٠٠م ١٤٢١هـ، ص ١٧١-١٩٠.



إذن، فحكايات ألف ليلة وليلة -فيما أطمئنُ إليه- ليست عربية في أصل فكرتها ومُنشئها؛ استناداً إلى النصوص والمعطيات التي عرضتها سابقاً، والغالب أنها فارسية، ويمكن أن تكون هندية الأصل، لكن وصولها إلى الثقافة العربية كان من المصدر الفارسي على الأرجح، ومع أن الأصل غير عربي، فإنه من الثابت والمشهود به تاريخياً أن الثقافة العربية هي من استطاعت تخليد هذا العمل باعتمادها على موارثها الشفاهي عبر التاريخ، ونجحت نجاحاً كبيراً في منحه من تاريخها، وشخصياتها، وبيئاتها، وأحداثها، وتحولاتها، وشفاهيتها الكثير من السحر والتشويق والمتعة؛ ما أسهم في انتشاره بعد ذلك على نطاق واسع في الثقافات الأخرى، وأخص منها في العصر الحديث الثقافة الأوروبية التي تدين للثقافة العربية بوصول هذه الحكايات إليها، لتستثمرها بعد ذلك في الكثير من الأعمال والتجارب.

المبحث الثاني: رحلة حكايات ألف ليلة وليلة من الثقافة العربية إلى الثقافة الغربية:

يظل العمل الأدبي والإبداعي منجزاً إنسانياً مشاعاً، وهو من القواسم المشتركة بين الشعوب، ويسهم بشكل فاعل وملحوظ في تقريب الشعوب والأمم المختلفة، وخلق وسائل تواصل فيما بينها مهما اختلفت لغاتها، وتباينت رؤاها ومعتقداتها، وتزداد فرص التأثير الجمعي للعمل الأدبي حين يركز على القواسم المشتركة، ويتماها مع التوجهات الإنسانية التي تستقطب الناس كافة؛ إذ يتحرر حينذاك من إقليميته الضيقة إلى إنسانيته الشاسعة، ويغدو تراثاً مشتركاً تتناقله الأمم بلغاتها خاصة إذا تُرجم بشكل متقن يعي ويستوعب الفروق والاختلافات اللغوية، ويستطيع نقل الرؤى دون إخلال ببنية النص المنقول.

ولقد استطاعت الثقافة العربية أن تحفظ حكايات ألف ليلة وليلة، وتدعم سيرورتها وانتشارها، مع أنها وصلت إليها من ثقافات أخرى كما مرّ سابقاً، وهذا يعود في المقام الأول إلى قوة الموروث الشفاهي العربي الذي أسهم في تغذية

الحكايات وزيادتها على مَرَّ الزمن، ومن ثم تدوينها في مراحل زمنية مختلفة، وفي بيانات متعددة، في الوقت الذي لم تستطع فيه الثقافات الأخرى الاحتفاظ بشيء يمكن أن يُعوَّلَ عليه في سيرورة الحكايات أو انتشارها، ومن هنا أصبحت الثقافة العربية هي المصدر الوحيد الذي يُمدُّ الآداب الأخرى باختلاف لغاتها بحكايات ألف ليلة وليلة؛ ذلك أن فعل التلقي النشط لتلك الحكايات في العصر الحديث لم يجد مصدراً يستطيع أن ينهل منه بالنقل أو الترجمة سوى الثقافة العربية التي كانت المورد العذب والمصدر الوحيد في تلقي تلك الحكايات العجائبية.

واللافت هو انشغال المستشرقين الغربيين في العصر الحديث بحكايات ألف ليلة وليلة، وانبهارهم العميق بها، وانجذابهم الشديد إليها، بخاصة بعد أن وصلت إلى أوروبا عن طريق ترجمة الفرنسي (جالان) الشهيرة التي سيأتي الحديث عنها، ومن ثم تأثرت الآداب الأوروبية بتلك الحكايات، فنقلتها إلى لغاتها المختلفة، واقتبست كثيراً من أحداثها وشخصياتها، فضلاً عن تلق واسع، وفعل قرائي عميق شهده المشهد الأدبي في فرنسا وإنجلترا والنمسا وغيرها، وكأنهم وجدوا في تلك الحكايات العجائبية إبداعاً لم يألفوه، وتشويقاً لم يشعروا به من قبل، وصورة للشرق لم يكونوا يعرفون عنها شيئاً؛ فأقبلوا على الحكايات قراءة وترجمة واقتباساً، وتحول الأمر لدى كثير منهم إلى افتتان حقيقي، وأصبح الإعجاب بحكايات ألف ليلة وليلة أشبه بظاهرة منتشرة لدى كثير من الأدباء والنقاد والمفكرين في أوروبا، فباتوا يتسابقون على تحقيق مخطوطاتها، ودراساتها، واحتذائها، وهذا ما دعا أحد الدارسين العرب إلى أن يقول: «لم يعرف كتاب ألف ليلة وليلة مكانته الحقيقية إلا على يد الغرب»^(١)، ولأمر كهذا وصف محسن الموسوي ولع الإنجليز بحكايات ألف ليلة وليلة بالوقوع في دائرة السحر^(٢).

(١) ماجدة بن عميرة، شهرزاد بين الأسطورة والنقد، ص ٣٥.

(٢) ينظر: محسن الموسوي، ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي: الوقوع في دائرة السحر، صفحة الغلاف.

ويبدو أن حكايات ألف ليلة وليلة قد بدأت في رحلة الانتقال من الثقافة العربية إلى أوروبا مبكراً منذ القرون الوسطى، واشتهرت بعض أجزاء هذه المجموعة في إيطاليا في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي^(١)، لكنه كان انتقالاً شفافاً وجزئياً، بيد أن تأثيره لم يكن محدوداً؛ وليس من المستبعد وجود تلق شفاهي أوروبي مبكر لبعض حكايات ألف ليلة وليلة قبل الترجمة الفرنسية الشهيرة بقرون طويلة؛ لأن كثيراً من الحكايات الشعبية في الشرق والغرب قد انتقلت شفاهاً إلى مناطق واسعة من أوروبا في القرون الوسطى من خلال معابر سهلت وصولها، وحكايات ألف ليلة وليلة تميزت بأجواء ساحرة ومغامرات شائقة ومثيرة رأت فيها الطبقة القارئة في أوروبا آنذاك تسلية ومتعة غامرة، ليس فقط لتنوعها وتعدد ألوانها؛ ولكن لخصوبة خيالها العربي المجنح الذي لم يعتد عليه القارئ الأوروبي حينذاك^(٢)، ولأن الأدب الشعبي فيه من المرونة والحرية وسرعة الانتشار ما يجعله يتجاوز الحدود الإقليمية، ويتحدى الخلافات الحربية، والنزاعات السياسية، ويصل سريعاً إلى مناطق بعيدة^(٣).

ويمكن أن نقدّر المعابر التي سهّلت الوصول الشفاهي لتلك الحكايات وغيرها إلى أوروبا بأربعة معابر رئيسة كما رصدناها وفصلناها عبد الجبار السامرائي، وهي: الأندلس، وصقلية، والحروب الصليبية، والتبادل التجاري على شواطئ البحر الأبيض المتوسط^(٤)، وكل هذه المعابر حدث فيها ما يمكن وصفه بالاتصال المباشر بين العرب والمسيحيين، ما يعني وجود تلاقح حضاري وثقافي متوقع؛ إذ أسهمت هذه المعابر في نشر كثير من المظاهر الدينية، والثقافية، والحضارية العامة، والاجتماعية الخاصة بين العرب وغيرهم من سكان أوروبا الذين وجدوا في بعض

(١) ينظر: محمد شامة، الإسلام في الفكر الأوروبي، ص ١٣٩.

(٢) ينظر: عبد الجبار السامرائي، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، ص ١٥.

(٣) ينظر: شريفي عبد الواحد، ألف ليلة وليلة في الغرب، الجزائر، مجلة الثقافة، السنة ٢٢،

عدد: ١١٥، ١٩٩٧م ١٤١٨هـ، ص ١١٥-١٣٩.

(٤) ينظر: عبد الجبار السامرائي، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، ص ١٥-١٨.

تلك المظاهر نمطاً جديداً للحياة^(١)، «وكان من أثر كل هذه المعابر والاتصالات أن تغلغت حكايات ألف ليلة وليلة في أوروبا، وتركت بصماتها شفاهة على الآداب الأوروبية في ميادين الشعر والقصة والمسرحية»^(٢)، ويجدري أن أشير هنا إلى أن هذه المعابر سهّلت وصول قدر ليس بالقليل من الثقافة العربية إلى أوروبا، ولم يكن الأمر مقصوراً على حكايات ألف ليلة وليلة، لكنّ هذه الحكايات وجدت قبولاً شعبياً ونخبوياً واسعاً؛ نظراً لانطوائها على خصائص تشويقية وإمتاعية عالية وغير معهودة في ذاكرة الأدب الأوروبي آنذاك، كما أنها كانت قصصاً متمردة ومتجاوزة القيود التي كانت الآداب الإقليمية في أوروبا ملتزمة بها بفعل سيطرة الكنيسة، وهو ما جعل فعل التلقي لحكايات ألف ليلة وليلة مختلفاً عن أي منجز شرقي يصل إلى أوروبا.

وفي أواخر القرن السابع عشر الميلادي كان الجمهور الفرنسي قد أصيب بالملل من أدبه القومي الكلاسيكي الذي ظل طيلة ثلاثة قرون يعقلن التجارب في قوالب محددة سلفاً، رافضاً قوة العاطفة، ومقصياً انطلاقات الروح، ومتمحوراً حول قواعد ثابتة لا تقبل النقاش؛ ما جعل الجمهور ينبذ هذا الأدب، ويحاول خلق اتجاه مضاد يتمثل في تحقيق المزايا الخيالية في التجارب الأدبية، ويبحث عن العاطفة والجمال والسحر والخرافة، بدلاً من الاتجاه الذي يحتفي بعقلنة التجارب وتجميدها في إطار منطقي، وهو الاتجاه الذي سيطر زمناً طويلاً، وقيد الأدب بأغلاله الغليظة^(٣) التي أسهمت في حالة من النفور الشعبي من ذلك الأدب الذي بدا جامداً ومتوقفاً وخالياً من أي دهشة مرتقبة، وهذه الحالة مهّدت لحالة التلقي النشط والمدّهب الذي لقّيته حكايات ألف ليلة وليلة في أوروبا.

(١) ينظر: محمد سالم سيف، دراسات في التواصل العربي الأوروبي، ص ٩٣.

(٢) عبد الجبار السامرائي، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، ص ١٨.

(٣) ينظر: شريف عبد الواحد، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، ص ٧٤.



ولم يكد القرن السابع عشر الميلادي ينصرم حتى «حَدَثَ كَشْفُ كان نقطة تحول في تاريخ ألف ليلة وليلة ومصيرها؛ فقد عثر المستشرق الرحالة (أنطوان جالان) على مخطوط عربي قديم يضم جزءاً من الكتاب، فقرر نقله إلى اللغة الفرنسية»^(١)، والمخطوط الذي حصل عليه المستشرق الفرنسي (جالان) إنما كان جزءاً صغيراً من كتاب الحكايات وليس الكتاب كله، وهو يضم حكايات (السندباد البحري)^(٢) فقط، وشرع (جالان) في ترجمته سنة ١٧٠٤م، وهو يظن أن هذا المخطوط هو كامل الكتاب، ومع تماهيه مع الترجمة اكتشف أن حكايات السندباد البحري جزء صغير من حكايات كثيرة؛ فشرع يبحث عن المجموعة الكاملة من الحكايات، وراسل أصدقاءه في المشرق، وبالأخص هواة جمع المخطوطات المشرقية^(٣)، ثم «أسعده الحظ بأن أرسلت إليه من حلب أربعة مجلدات من هذا المؤلف الضخم»^(٤)، فقام بترجمتها، وفرغ منها سنة ١٧١٧م، أي أنه في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي بين عامي ١٧٠٤م-١٧١٧م كان الغرب الأوروبي قد انفتح على حكايات ألف ليلة وليلة، وتلقاها قراءة من خلال الترجمة؛ إذ فرغ (جالان) من ترجمته السالفة ونشرها؛ ليكون بذلك أول شخص يترجم حكايات ألف ليلة وليلة المدونة إلى لغة أوروبية حية، وكانت بعنوان (الليالي العربية)^(٥)، على أننا يجب أن نشير إلى أمر رئيس في ترجمة (جالان) وهو أن الرجل لم يقم «بترجمة كل الليالي، فهذه المجلدات الأربعة التي استعان بها لا تمثل في الواقع إلا نحو الربع من مجموع الليالي ... كذلك نجد في الترجمة كثيراً من القصص

(١) ياسمين فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، ص ٢١٣.

(٢) ينظر: سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، ص ٥.

(٣) ينظر: شريفي عبد الواحد، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، ص ٥٣.

(٤) ينظر: سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، ص ٥.

(٥) ينظر: برناديت أندريا، المرأة والإسلام في بدايات الأدب الإنجليزي الحديث، ترجمة خالد الدخيل، ص ٢٠١.

التي لا توجد في هذه المجلدات العربية»^(١)، والغالب أنه كان يستعين بمن يحكي له شفاهاً، ثم يقوم بكتابتها بلغته ورؤيته وأسلوبه الخاص.

وقد شاعت ترجمة (جالان) ليس في فرنسا وحدها، بل في سائر دول أوروبا، وتلقاها المشهد الأدبي الأوروبي في القرن الثامن عشر الميلادي باحتفاء كبير؛ لأنهم وجدوا في حكايات الليالي مزيجاً من السحر والمغامرة والتشويق، ورأوا فيها «جدة المشاهد الشرقية، وبهاء العاطفة، ورقى الفكاهة، وغموض الحياة، ومواصفات أخرى أدهشت الفرنسيين»^(٢)، ولأن جالان نفسه -كان موهوباً في كتابة القصة^(٣)- تصرّف كثيراً في الترجمة؛ إذ حذف وغير وأضاف، وذكر في مقدمته «أنه جهد أن يكون أميناً للنص الأصلي، مضطراً إلى غير ذلك حين يدعوه الحياء والاحتشام»^(٤)، وكأنما كان في ترجمته يعتمد على «طريقة الأسلوب الذهني التي تلاحق المعنى والإحساس بدلاً من الكلمات، حتى يقرب النص الأصلي إلى الذوق الفرنسي، ويحافظ على معنى الحكايات»^(٥)، ويبدو أنه تعمد أن يلبس الليالي ثوباً فرنسياً، كعادة معاصريه الذين يلجؤون إلى الاقتباس أكثر من الترجمة، فلم يكن غريباً أن بدت الترجمة منسجمة مع قواعد الأدب الكلاسيكي الأوروبي، وبدأ أثر التصرف والتغيير فيها ظاهراً، وهو ما وصفه عبد الجبار السامرائي بـ (فرنجة الحكايات) لتلائم ذوق قرائه^(٦)، ولهذا وصفت سهير القلماوي ترجمة (جالان) بأنها «لم تكن الترجمة أمينة للأصل، حتى إن كثيرين من النقاد الذين اشتغلوا

(١) سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، ص ٦.

(٢) محسن الموسوي، ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي: الوقوع في دائرة السحر، ص ١٨.

(٣) ينظر: سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، ص ٦.

(٤) محسن الموسوي، ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي: الوقوع في دائرة السحر، ص ٢٣.

(٥) شريفي عبد الواحد، ألف ليلة وليلة في الغرب، الجزائر، مجلة الثقافة، السنة ٢٢، العدد ١١٥، ١٩٩٧ م ١٤١٨ هـ، ص ١١٥-١٣٩.

(٦) عبد الجبار السامرائي، ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، بيروت، مجلة الآداب، السنة ٢٥، عدد: ٤٣، المجلد الخامس والعشرين، ١٩٧٧ م ١٤١٨ هـ، ص ٦٦-٧٩.

كثيراً بألف ليلة وليلة وما يتعلق بها أمثال المستشرق ماكDONALD يرجعون جزءاً كبيراً من النجاح العظيم الذي لاقته الليالي في الغرب إلى جالان نفسه؛ فقد كان قاصّاً بطبعه»^(١)، وهذا يعني أن (جالان) تدخل كثيراً في صياغة الحكايات، وتحويل بعض الأحداث؛ لتناسب مع البيئة الفرنسية وقواعد التلقي في فرنسا آنذاك.

لقد كان التلقي الشعبي الأوروبي لـ (الليالي العربية) مدهشاً، وأصبحت ترجمة (جالان) مقروءة في سائر أوروبا، واكتسبت شهرة طاغية، وظلت متداولة ومنتشرة نحو قرنين من الزمان، وقامت كثير من الشعوب الأوروبية بنقل ترجمة (جالان) إلى لغاتها المختلفة، «حتى لم يبق شعب في أوروبا -تقريباً- لم يترجم هذه الترجمة، ولاقت هذه الترجمات جميعاً نجاحاً عظيماً»^(٢)؛ ما يدعم فكرة الشغف والدهشة التي تلبست بالأوروبيين وهم يتلقون منجزاً شرقياً كسرأفق توقعاتهم، ومنحهم حالة قرائية جديدة لم يعهدوها من قبل، ومن أهم ترجمات ألف ليلة وليلة الترجمة الإنجليزية الشهيرة سنة ١٧٠٨م، وهي مجهولة المترجم، ولذلك أطلق عليها (grub street)، وطبعت مرات كثيرة في إنجلترا، وكذلك الترجمة الألمانية سنة ١٧١٢م على يد (تالندر)، وترجمة ألمانية أخرى سنة ١٧٨٥م على يد (هوت ه. فوس)، وترجمة إيطالية من اثني عشر مجلداً سنة ١٧٢٢م مجهولة المترجم، وترجمة بلجيكية أنجزها (رومل) سنة ١٧٨٨م، إضافة إلى تراجم روسية ودنماركية وهولندية وإسبانية وبرتغالية ورومانية ويونانية وسويدية وبولندية وهنغارية، بين عامي ١٧٣٢م و١٧٩٤م، وبعضها مجهولة المترجم^(٣).

(١) سهر القلماوي، ألف ليلة وليلة، ص ٥-٦.

(٢) عبد الجبار السامرائي، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، ص ٥٤-٥٥.

(٣) ينظر:

سهر القلماوي، ألف ليلة وليلة، ص ٧.

محسن الموسوي، ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي: الوقوع في دائرة السحر، ص ١٩.

شريف عبد الواحد، ألف ليلة وليلة في الغرب، الجزائر، مجلة الثقافة، السنة ٢٢، عدد: ١١٥،

١٩٩٧م ١٤١٨هـ، ص ١١٥-١٣٩.

كما أن ترجمة (جالان) طبعت مرات عديدة في فرنسا وفي إنجلترا وفي سائر أوروبا، ويكفي أن نعلم أن الترجمة الفرنسية طبعت في إنجلترا أربع مرات متتالية خلال أقل من عشر سنوات، وهو رقم يعكس مدى الاهتمام الأوروبي الكبير بترجمة (جالان) لليالي العربية، ومدى الدهشة والانبهار الذي أصاب القراء حين نقلت إليهم تلك الحكايات العجائبية، وقد كانت الطبعات المختلفة يعثرها - أحياناً - التنقيح والإضافة والتغيير النسبي، بحسب اختلاف الطابع، وثقافة البلد الذي تطبع فيه الليالي العربية، وهو أمر لافت، ويدل على قوة التلقي الأوروبي واتساعه، وحرص دور النشر على الترويج لليالي العربية في دولهم، ضمناً لانتشار أكبر، ومن هنا أصبحت ترجمة (جالان) لليالي العربية في أوروبا «من بين الكتب القليلة الفريدة في تأثيراتها في القراء، وفي حجم الاستقبال الذي صادفته، والرواج الذي حظيت به»^(١)، وقد ظلت الترجمة الفرنسية متداولة في سائر أوروبا طيلة قرنين من الزمان تقريباً؛ ذلك أنها كانت - بحسب رأي سهير القلماوي - تمثل للأوروبيين المعنى المفهوم من ألف ليلة وليلة^(٢).

وهكذا استمر رواج حكايات ألف ليلة وليلة وتداولها في أوروبا - من خلال ترجمة (جالان) - مزدهراً طيلة القرن الثامن عشر الميلادي، وأجزاء واسعة من القرن التاسع عشر، وقد بلغ الاهتمام بترجمة (جالان) مبلغاً دفع أحد الدارسين إلى أن يقول: «أحرزت ترجمة أنطوان جالان نجاحاً باهراً، وما لبثت أن ترجمت إلى كثير من اللغات الأجنبية، بل راجت في الغرب رواج الأوديسة والإلياذة، واحتلت مكانة ممتازة في الأدب العالمي»^(٣).

(١) محسن الموسوي، ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي: الوقوع في دائرة السحر، ص ٧.

(٢) ينظر: سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، ص ٧.

(٣) شريفي عبد الواحد، ألف ليلة وليلة في الغرب، الجزائر، مجلة الثقافة، السنة ٢٢، عدد:

١١٥، ١٩٩٧م ١٤١٨هـ، ص ١١٥-١٣٩.



وبعد أن سيطرت ترجمة (جالان) على المشهد الفرنسي قرابة القرنين من الزمان توارت نسبياً، وقلّت نسبة الاهتمام بها والعودة إليها، وتجاهلها الدارسون بشكل تدريجي على المستوى الزمني، و«هدأت الفورة من نقل الترجمة الفرنسية إلى مختلف اللغات، وأصبح همّ المترجمين الأكبر أن ينقلوا عن النص العربي، وأصبحوا يتبارون في اقتناء النسخ، وفي الأمانة في أداء الأصل»^(١)، وبدأت ترجمات جديدة تظهر في سائر الدول الأوروبية، وقد كانت ترجمات لا تعتمد على ترجمة (جالان) الشهيرة، ولكنها تعتمد على نسخ ومخطوطات عربية تبارى الباحثون والمهتمون في الحصول عليها؛ فظهرت في فرنسا ترجمة (مردروس) التي اعتمدت على أصل عربي من أواخر القرن السابع عشر^(٢)، وفي إنجلترا كان الاعتماد على ترجمة (جالان) طيلة قرن كامل، إلى أن عثر المستشرق الإنجليزي (ماكان) على نسخة عربية جديدة من الحكايات، عُرفت لاحقاً بنسخة (كلكتا الثانية)^(٣)، فكانت هذه النسخة حافزاً لترجمات إنجليزية جديدة، تحررت من اعتمادها على الترجمة الفرنسية، فظهرت ترجمة (جونثان سكوت) في عام ١٨١١م، وترجمة (هنري تورنر) في عام ١٨٣٨م، وترجمة (إدوارد لين) بين عامي ١٨٣٩م و١٨٤١م، وترجمة (جون بين) في عام ١٨٨٢م، وترجمة (برتن) في عام ١٨٨٥م^(٤).

ويلحظ المتأمل في التاريخ الثقافي الأوروبي كثرة الترجمات لحكايات ألف ليلة وليلة بعد مغامرة (جالان)، كما يظهر أيضاً أن الترجمات بشكل عام وصلت في وقت مبكر جداً، أي قبل أكثر من ثلاثة قرون؛ ويتبين بناء على ذلك أن

(١) عبد الجبار السامرائي، ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، بيروت، مجلة الآداب، السنة ٢٥، عدد: ٣، ٤، المجلد الخامس والعشرين، ١٩٧٧م ١٤١٨هـ، ص ٦٦-٧٩.

(٢) ينظر: سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، ص ١١.

(٣) ينظر: عبد الجبار السامرائي، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، ص ١٢٠.

(٤) ينظر:

سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، ص ٩-١٠.

عبد الجبار السامرائي، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، ص ١١٩-١٢٣.

ترجمات حكايات ألف ليلة وليلة من الثقافة العربية قد وصلت إلى عدد كبير من دول أوروبا بلغات مختلفة؛ حيث تُرجمت إلى الفرنسية والإنجليزية والألمانية والروسية والإيطالية والسويدية وغيرها كما مرّ سابقاً، كما أنها شاعت وراجت بشكل لافت في فرنسا وإنجلترا، وتداولتها الأوساط الشعبية هناك مع تعدد طباعاتها؛ ما يدعم قوة التلقي لهذه الحكايات في الآداب الغربية بشكل عام، وفي الأدبين الإنجليزي والفرنسي بشكل خاص.

ويسوغ لنا أن نعدّ ترجمة (جالان) والترجمات التي تلتها من العوامل التي قدّمت خدمة ذات قيمة عميقة لحكايات ألف ليلة وليلة، وهي خدمة تتجاوز السياق الثقافي الأوروبي إلى السياق الثقافي العربي؛ فالثقافة العربية حصلت على مكتسبات بالغة الأهمية إثر تلك الترجمات؛ ذلك أنها أسهمت في نشر جزء كبير من التراث الشعبي العربي في بقاع واسعة من العالم، كما أنها أعادت الضوء والاهتمام لحكايات ألف ليلة وليلة داخل منظومة الثقافة العربية نفسها، فكثرت الدراسات حولها، وأعيد قراءتها وفق رؤى وتصورات جديدة، وخففت -نسبياً- النظرة الدونية والتهميشية التي كانت تتلبس بهذه الحكايات من قبل بعض المنتمين إلى النخبة النقدية العربية.

«ويرى بعض المستشرقين أن الثقافة الغربية هي التي أبرزت الكتاب ليكون واضحاً في الثقافة العربية؛ إذ لم يكن معروفاً لدى الأكاديميين العرب»^(١)، وهو رأي فيه قدر نسبي من الصواب حين يكون الحديث منصرفاً إلى المشهد النقدي العربي في العصر الحديث؛ فالترجمات الأوروبية الكثيرة للحكايات، والاهتمام الشعبي المتزايد، والفعل القرائي اللافت، ومحاولات التحقيق والترجمة والمقارنة، هذه الأمور كلها لفتت نظر كثير من الباحثين العرب، وأغرتهم بنمط جديد ومتزايد من التعااطي المختلف مع هذه الحكايات، وغيّرت كثيراً من المفاهيم السلبية التي

(١) معجب العدواني، الموروث وصناعة الرواية: مؤثرات وتمثيلات، ص ٣٦.

تلبست بها، كما لفتت النظر إلى ضرورة الاهتمام بالموروث الشفاهي الشعبي الذي «يمثل قدراً كبيراً من الموروث السردي العربي، وتتأسس عليه بنية حكاية فريدة من نوعها، وتنطلق منه الكثير من الرؤى والتصورات»^(١).

إن تلك النتائج السالفة أسهمت فيها الثقافة الغربية حين تعاطت مع حكايات ألف ليلة وليلة بالترجمة والبحث والدراسة والمقارنة، وهو أمر يعترف به الباحث المنصف، بيد أنه يجدر بنا أن نفطن إلى أن الفضل - كل الفضل - في حفظ كتاب ألف ليلة وليلة زمناً طويلاً جداً، وتخليده في الذاكرة الجمعية للبشرية يعود إلى الثقافة العربية التي حفظت ونقلت وأثرت تلك الحكايات على مر الزمن، ولولا الثقافة العربية لضاع هذا المنجز الفريد؛ إذ لا نكاد نجد له أثراً في الثقافات الأخرى التي ربما يكون انطلق أصله الأول منها؛ كالفارسية والهندية والإغريقية، كما أن الثقافة العربية كان لها فضل تقديم حكايات ألف ليلة وليلة إلى الثقافة الغربية^(٢) التي تدين للثقافة العربية بوصول هذه الحكايات إليها؛ ذلك أن جميع النقول والترجمات المدونة التي استهدفت حكايات ألف ليلة وليلة ابتداء من مطلع القرن الثامن عشر الميلادي منذ الفرنسي (جالان) ومن بعده من المترجمين، اعتمدت اعتماداً كاملاً على نسخ، ومخطوطات، ومشافهات عربية.

كما يجدر بي أن أشير إلى أن ترجمة (جالان) لليالي العربية - مع قيمتها العالية وخدمتها للثقافة الغربية والعربية الحديثة - استمدت أهميتها - أساساً وقبل كل شيء - من القيمة الإمتاعية والتشويقية التي انطوت عليها حكايات ألف ليلة وليلة بما فيها من عجائبية وغرائبية لافتة، فضلاً عن تصويرها لكثير من مناحي الحياة المشرقية، ويبدو أن وصول تلك الحكايات إلى الثقافة الغربية كان أشبه بالصدمة المعرفية لها؛ فلم يكن لدى الأوروبيين أدنى تصور عن هذا النمط من

(١) عبد الحليم مسعود، الحكى والمشافهة: دراسات في السرد القديم، ص ١٠٢.

(٢) ينظر: معجب العدواني، الموروث وصناعة الرواية: مؤثرات وتمثيلات، ص ٣٦.

الكتابة، ومع الإقرار بأن (جالان) تصرّف في ترجمته فحذف وعدّل وأضاف؛ كي يلائم الذوق الأوروبي كما مرّ سابقاً، وهذا منح ترجمته شيئاً من بريق وترويج لافتين، ومع الاعتراف بأن ترجمته أسدت خدمة نسبية للثقافة العربية في العصر الحديث، فليس من المنطقي الركون إلى رأي المستشرق (ماكدونالد) الذي ينسب نجاح الليالي العربية إلى قدرة (جالان) على القصّ وإعادة الصياغة^(١)، وكأنّ حكايات ألف ليلة وليلة ليس فيها من عناصر النجاح والرواج والمقروئية الواسعة شيء يذكر، وهو رأي لا يبدو مقبولاً، ولا يحسن الركون إليه، والدليل على ضعفه وعدم منطقيته أنه «سرعان ما تموت ترجمة جالان، وتأخذ مكانها في المتاحف، عندما تطلّ ترجمات أوروبية عديدة عن نسخة عربية معروفة؛ تملأ أوروبا، ويصبح نجاح (الليالي) الذي نسبته ماكدونالد إلى جالان خرافة، فالليالي ناجحة من حيث هي، لا من حيث أضاف إليها مترجم فرنسي من إبداعه الخاص»^(٢).

المبحث الثالث: تأثير الأدب الأوروبي بحكايات ألف ليلة وليلة: نموذج تطبيقي:

تركت حكايات ألف ليلة وليلة أثراً واضحاً في آداب العالم؛ شرقه وغربه، ولم يكن اهتمام الغرب الأوروبي بمدونة هذه الحكايات مقصوراً على البحث عن المخطوطات العربية وترجمتها إلى اللغات الأوروبية المختلفة فحسب، بل تجاوز ذلك إلى ما يمكن وصفه بالتأثر والاحتذاء الإبداعي، وإذا «كان أدب أوروبا قد تأثر باليأذة هوميروس، فإنه لا شك قد تأثر بألف ليلة وكتّابها المجهولين الذين

(١) ينظر: فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب: جذور التفكير وأصاله الإبداع، ص ١٣٧-١٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٨، والحقيقة أن نجاح ترجمة (جالان) ليس خرافة كما يشير فاروق خورشيد، بل هو حقيقة لا يمكن إنكارها، كما أن المبالغة في تضخيم ذلك النجاح، وتجاهل عناصر التشويق والإمتاع التي تأسست عليها حكايات ألف ليلة وليلة ليس أمراً مقبولاً علمياً.

حفظوا هذا التراث الفني»^(١)؛ ذلك أن عددًا من مبدعي أوروبا انبهروا بتلك الحكايات، واستثمروا ما فيها من خيال وتشويق في تجاربهم الإبداعية، مقتبسين شيئًا من أحداثها وشخصياتها وأفكارها، ومستفيدين من الرؤى العجائبية التي انطوت عليها، وتأسست بعض تجاربهم على تلك الحكايات سواء على مستوى استثمار الحدث، أم الشخصية، أم الرؤية العجائبية بشكل كامل.

لقد تغلغلت حكايات ألف ليلة وليلة -بما انطوت عليه من إثارة وتشويق وعجائبية غير معهودة- في نفوس كثير من مبدعي أوروبا، وبالأخص في فرنسا وإنجلترا، فأثّرت مخيلتهم، وأثّرت في أدبهم، وبدا هذا واضحًا في تجارب بعضهم الكتابية من خلال تأثرهم بالخيال والشخصيات والأحداث، وأصبحت الليالي العربية التي ترجمها (جالان) جزءًا من الأدب العالمي؛ فقد أمدّت الأدباء والمبدعين برصيد وافر من الأفكار العجائبية، والأحداث الخرافية، والشخصيات الأسطورية، فاستمد الشعر الغربي من حكايات ألف ليلة وليلة عوالم خيالية جديدة، وانفتحت القصة الغربية على آفاق فريدة، وميادين مبتكرة لحوادثها وشخصياتها، كما كان تأثير الليالي العربية في المنجز الروائي الغربي قويًا ولافقًا؛ وبالأخص في سياق الحكاية الإطارية، كما أصبحت صناعة المسرح الأوروبي مستندة بشكل رئيس إلى الإفادة من المسرح الشرقي انطلاقًا من الصورة التي أوحى بها حكايات ألف ليلة وليلة، فضلًا عن قصص الجن وقصص الحيوان التي دخلت ابتداءً إلى الأدب الأوروبي بتأثير مباشر من حكايات ألف ليلة وليلة.

ولم يقف أثر حكايات ألف ليلة وليلة في الأدب الأوروبي على جنس أدبي دون غيره، ولكن أثرها كان عامًا وحاضرًا في الأجناس الأدبية كلها^(٢)، ابتداءً من الشعر

(١) فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب: جذور التفكير وأصالته الإبداع، ص ١٤٨.

(٢) أفرد عبد الجبار السامرائي في كتابه (أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية) مباحث متعددة عن تأثير حكايات ألف ليلة وليلة في الشعر والقصة والمسرح في أوروبا، وأورد نماذج عديدة من المنجزات الإبداعية الأوروبية في كل جنس أدبي، ووضّح مظاهر التأثير فيها.

ينظر: عبد الجبار السامرائي، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، ص ٥٦-١١٠.

الذي «ما إن ترجمت ألف ليلة وليلة إلى الفرنسية حتى سرى إبحاؤها سرياً عني» إلى الشعر الفرنسي لتكون أحد مصادر قصائد الأمثال التي كتبها (فلوريون) في القرن الثامن عشر...»^(١)، ومروراً بالسرديات الأوروبية، وبالأخص القصص الشعبي الألماني، والمنجز الروائي الفرنسي، وانتهاء بالنصوص المسرحية، «ولعل أبرز عمل مسرحي في المسرح الأوروبي المعاصر تأثر بألف ليلة وليلة هو مسرحية (شهرزاد) للكاتب الفرنسي (جول سوبرفيل)»^(٢).

لقد أثرت حكايات ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية بشكل ظاهر، وهذا التأثير يأتي ضمن سياق كبير يتمثل في التأثير الذي أحدثه الأدب العربي بشكل عام في الآداب الغربية خاصة في بدايات العصر الحديث؛ إذ كان هناك اتصال واضح بين العرب والغرب أدى بالضرورة إلى ترجمة الأعمال العربية الشهيرة التي أحدثت تأثيراً كبيراً في الحركة الأدبية في الغرب.

من أجل ذلك، فإنه من المهم -انطلاقاً من مبادئ المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن- أن تقدم قضايا التأثير والتأثير بشكلها العلمي الدقيق الذي يضمن إثبات الأثر، وإبراز مواطن التأثير والتأثير، وتمحيص العلاقة التاريخية بين الآداب، وهو ما سأسعى إليه في هذا المبحث حين أعرض لعمل أدبي غربي تأثر تأثراً صريحاً ومباشراً بحكايات ألف ليلة وليلة، وسأحاول عرض مظاهر التأثير والتأثير بين العاملين، منطلقاً من السياقات التاريخية التي تربط العاملين، وهو عمل تتمثل أهميته -كما سلف- في إثبات الأثر بطريقة علمية لا عاطفية.

كما تتجلى نقطة أخرى في دائرة أهمية الكشف عن مستويات التأثير والتأثير بين تجربة أدبية غربية وحكايات ألف ليلة وليلة، وهي أن الآداب والأعمال الإبداعية تستمد قوتها وتأثيرها من جودتها الفنية ومظاهر الابتكار فيها،

(١) المرجع السابق، ص ٥٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٢.



وأن تلك الخصائص الجمالية هي وسيلة النقل التي تمتطيها للارتحال إلى آداب الأمم الأخرى، وإلا فإنها ستظل حبيسةً في دائرتها المحلية، ولا تحملها قوتها للوصول إلى مرحلة القدرة على التأثير في آداب أخرى؛ لهذا فإنه من المناسب تطبيق منهج المدرسة الفرنسية في دراسة الأدب المقارن، وهي المدرسة التي تعنى بدراسة التأثير والتأثير بين الآداب المختلفة مراعية السياقات الزمانية والمكانية، كما تركز على أهمية دراسة الصلات التاريخية بين الأدبين، وإثبات الاتصال التاريخي بين الكاتبين أو العاملين الإبداعيين؛ لتأكيد مظاهر التأثير والتأثير بينهما دون أن يكون هناك مجال للحدس أو التخمين في ذلك التأثير، فالباحث في الأدب المقارن يتوقف عند الحدود اللغوية والوطنية، مراقباً تبادل الأفكار بين أدبين أو أكثر؛ أي أن هذه المدرسة تقوم على ما يمكن وصفه بدراسة تاريخ العلاقات الأدبية بين الحضارات أو الدول المختلفة^(١)؛ ولهذا وجدت من المناسب البداية بالدراسة التاريخية من خلال دراسة ارتحال النص العربي (ألف ليلة وليلة) إلى البلاد الغربية، وتأكيد اطلاع الأديب المتأثر على العمل المؤثر، ومن ثم دراسة أحد النماذج من الآداب الأوروبية التي ظهر فيها تأثير ألف ليلة وليلة من خلال معرفة الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه العمل، ومظاهر التأثير والتأثير التي جعلتنا نطمئن إلى حصول التأثير.

وسيعرض البحث لعمل مسرحي إنجليزي تأثر تأثراً مباشراً بالحكاية الإطارية لألف ليلة وليلة، وهو مسرحية (ألمينا أو النذر العربي / Almyra or The Arabian Vow)، للأديبة الإنجليزية (ديلاري فيرمانلي) التي عاشت بين عامي ١٦٦٣م - ١٧٢٤م^(٢)، وعُرضت مسرحيتها في لندن سنة ١٧٠٦م، ونشرت مطبوعة بعد ذلك بعام

(١) ينظر:

سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن: دراسة منهجية، ص ٦٤.

ماريوس غويار، الأدب المقارن، ترجمة هنري زغيب، ص ١٥.

(٢) للمزيد عن الأديبة الإنجليزية (مانلي) ينظر: برناديت أندريا، المرأة والإسلام في بدايات الأدب الإنجليزي الحديث، ص ١٨٦.

واحد ١٧٠٧م، ويمكن أن أوجز سبب اختياري هذا العمل الأدبي دون غيره ليكون شاهداً على التأثر الغربي بحكايات ألف ليلة وليلة في الآتي:

الريادة التاريخية لهذا العمل المنشور سنة ١٧٠٧م؛ إذ تعد مسرحية (ألمينا أو النذر العربي) من أوائل التجارب الأوروبية المتأثرة بحكايات ألف ليلة وليلة في القرن الثامن عشر^(١).

ندرة تناول هذه المسرحية من قبل الباحثين المهتمين بتأثير حكايات ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية رغم ريادتها التاريخية؛ فلا تكاد تجد لها مذكورة في دراساتهم، أو في عرضهم لأبرز التجارب الإبداعية الأوروبية المتأثرة بحكايات ألف ليلة وليلة.

تصريح المؤلفة بأنها تأثرت واستلهمت حكايات ألف ليلة وليلة في مسرحيتها؛ حيث أشارت الكاتبة في مفتتح مسرحيتها إلى ذلك حين قالت: «استلهمت الأساطير القصصية من حياة العاهل العظيم الخليفة محمد بن أبي عامر الذي أخضع إسبانيا، مع شيء من قصص ألف ليلة وليلة»^(٢)، ومن خلال هذا النص يبدو تصريح المؤلفة بالتأثر من خلال مفردة الاستلهام؛ حيث أفادت الكاتبة من القصة الإطارية للحكايات، ووظفتها لبناء مسرحيتها (ألمينا).

الاختلاف الأجناسي بين المدونة المؤثرة (أدب شفاهي في قالب الحكاية)، والمدونة المتأثرة (قالب مسرحي)، ومن شأن هذا الاختلاف أن ينتج اختلافاً أعمق في تقنيات العمل الأدبي بين السرد الذي تتأسس عليه الحكاية، والحوار الذي تتأسس عليه المسرحية.

(١) ترى (برناديت أندريا) أن هذه المسرحية تُعدُّ أول استجابة أدبية في أوروبا لترجمة (جالان).

ينظر: المرجع السابق، ص ٢٠٣.

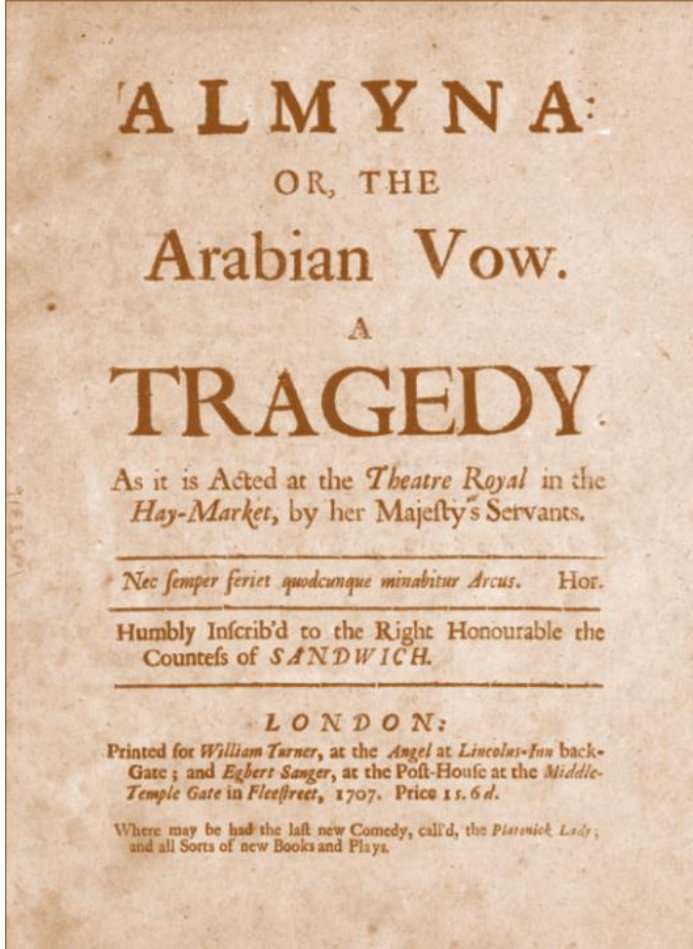
(٢) ينظر: برناديت أندريا، المرأة والإسلام في بدايات الأدب الإنجليزي الحديث، ص ٢٠٣.

وفكرة المسرحية التي تهدف إلى الدفاع عن حقوق النساء تتأسس على استنساخ فكرة القصة الإطارية لحكايات ألف ليلة وليلة مع تغيير في شخوصها، وفي بعض أحداثها، فالمؤلفة بنّت المسرحية على شخصيتين رئيسيتين يمثلان دور البطولة، وهما المنصور بن أبي عامر الذي تولى حكم الأندلس، وابنة كبير وزرائه واسمها في المسرحية (ألمينا)، وقد أقدمت على الزواج به؛ كي تكفّ أذاه عن النساء؛ لأنه كان - في وعي الكاتبة - ينظر إلى جنس النساء نظرة ازدراء، ويраهن فاقدات الروح، ونذر أن يتزوج عذراء في كل ليلة، ويقتلها في اليوم الآتي^(١)، وقد نجحت البطلة (ألمينا) في كبح جماح المنصور نجاحاً عميقاً، بيد أن النهاية كانت مأساوية؛ إذ تموت البطلة حفاظاً على سمعة زوجها.

وإضافة إلى هاتين الشخصيتين الرئيسيتين، ثمة شخصيات فرعية أخرى كانت لها أدوار محدودة، كشخصية (عبدالله) الأخ الأصغر للمنصور، وشخصية (زورادايا) الأخت الصغرى للبطلة ألمينا، وغيرهما، وكان حضور الشخصيات الفرعية محدوداً، لكنه بدا حضوراً مؤثراً، وبالأخص شخصية (عبدالله) الشقيق الأصغر للمنصور، وهو الذي كان عاشقاً لألمينا زوج أخيه؛ ولذلك استمات في الدفاع عنها.

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٠٥.

صورة لغلاف المسرحية المطبوعة في إنجلترا سنة ١٧٠٧م^(١):



(1) Manley, Delarivier, Almyna or Arabian Vow, A Trageddy, William Turner Printer, London: 1707 .

وقد اعتمد البحث على هذا الأصل للمسرحية، وهي تقع في (٩٦) صفحة، كما استعان البحث في استنطاق هذه المدونة بالعرض المتقن الذي قامت به (برناديت أندريا) في كتابها (المرأة والإسلام).

إن أول ما يلفت النظر في المقارنة بين المدونتين هو اختلاف الجنس الأدبي بين المؤثر والمتأثر؛ فحكايات ألف ليلة وليلة تمثل جنس الأدب الشفاهي المتمثل في الحكاية، وهو مجموعة من القصص القصيرة التي يحكمها إطار حكائي واحد، أما مسرحية (ألمينا) فقد استفادت من الحكاية التي تؤطر حكايات ألف ليلة وليلة في جنس أدبي آخر مختلف؛ إذ جاءت حكايتها مضمّنة في قالب مسرحي، وهذا اتجه بالكتابة إلى تفعيل تقنية الحوار بشكل لافت، والاعتماد عليها أكثر من السرد، وهذا ما يقتضيه الفن المسرحي، بخلاف حكايات ألف ليلة وليلة التي تأسست على السرد، وكان هو المسيطر في جلّ السياقات الحكائية، ولا يمكن مقارنة حضوره الطاغى بحضور الحوار الخجول.

وتمثل الشخصيات ركناً رئيساً في منظومة العمل القصصي والمسرحي، وثمة مواضع تشابه، ومواضع اختلاف في مستوى حضور الشخصيات وتنميطها بين الحكاية الإطارية في ألف ليلة وليلة ومسرحية (ألمينا)؛ حيث يمكن للمتأمل في النصين أن يجد منطقة اتفاق في الإطار العام للحكاية؛ إذ إن لكل شخصية من شخصيات المسرحية مقابلاً يمارس وظيفة مشابهة للوظيفة التي تمارسها الشخصيات في الحكاية الإطارية لألف ليلة وليلة، مع تغيير متوقع في أسماء الشخصيات؛ حيث وظفت (مانلي) شخصيات عربية تاريخية في مسرحيتها، وأهمها شخصية المنصور محمد بن أبي عامر الذي وضع يده على الخلافة في الأندلس سنة ٣٧١هـ/٩٨١م^(١)، وهي الشخصية المحورية في المسرحية، وتقابلها شخصية (شهریار) في الحكاية الإطارية لألف ليلة وليلة، وكلا الشخصيتين تحملان الصفات ذاتها في الوعي التأليفي؛ فهما متجبران، ويسيطر عليهما هاجس قمع النساء، واتهامهن الدائم بالخيانة، والتلذذ بقتلهن.

(١) ينظر: أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٣٠.

أما البطلة في المسرحية الإنجليزية فهي شخصية (ألمينا) التي تقابل شخصية (شهرزاد) في الحكاية الإطارية، وهما يؤديان الوظيفة نفسها؛ إذ يقدمان حياتهما تضحية وحماية لجنس النساء من تسلط السلطان (شهريار/ المنصور / جنس الرجال)، وشخصية (ألمينا) شخصية امرأة مسلمة، فهي ابنة الوزير الأول للمنصور بن أبي عامر، تماماً كما كانت شهرزاد ابنة لوزير شهريار، وقد ابتكرت (مانلي) اسماً لافتاً لشخصية هذه البطلة في مسرحيتها، قدمت من خلاله عملاً فنياً متميزاً، يتمثل في استثمار البعد الرمزي باختيار حروف الاسم؛ إذ «تتسم المسرحية بأن بطلتها الأولى امرأة مسلمة يشكل اسمها جناساً مقولباً لاسم مانلي»^(١) فبين اسم (ألمينا) بطلة المسرحية والاسم الأخير للمؤلفة (مانلي) جناس ناقص نتج عن تغيير متعمد في ترتيب الأحرف:

ALmyna Manley

ويمكن أن نفهم من هذا الرمز أن (مانلي) التي أوقفت عن الكتابة لمدة عشر سنوات بعد مسرحيتها الأولى (الفطن الأنثوية) المعروضة سنة ١٦٩٦م^(٢) تقوم -هي نفسها- بدور شهرزاد بطلة حكايات ألف ليلة وليلة، وهي الشخصية التي تمثل المرأة المدافعة عن حقوق النساء، المرأة التي ضحّت بحياتها في سبيل الدفاع عن بنات جنسها من النساء المهددات بالقتل من قبل شهريار في القصة الإطارية، وبهذا تكون شخصية شهرزاد في وعي (مانلي) الأنموذج الأمثل والأول للمدافع المتعلم والفعال عن حقوق المرأة.

ومن الشخصيات الفرعية الفاعلة في مسرحية (ألمينا) ولها مقابل في الحكاية الإطارية لألف ليلة وليلة، شخصية (عبدالله) الشقيق الأصغر للمنصور بن أبي عامر الذي ظهر في المسرحية بوصفه مدافعاً عن البطلة (ألمينا) وعاشقاً لها،

(١) برناديت أندريا، المرأة والإسلام في بدايات الأدب الإنجليزي الحديث، ص ٢٠٣.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٠١.



وهو بهذه الصفة يمثل الشخصية الذكورية المدافعة عن حقوق النساء أمام جبروت أخيه السلطان، ويقابله في حكايات ألف ليلة وليلة شخصية الملك (شاه زمان) الشقيق الأصغر للملك (شهریار)^(١)، ولكن مع تغيير بدا واضحاً ومتعمداً في وظيفته الفنية، فالشقيق الأصغر في الحكاية الإطارية لألف ليلة وليلة لم يكن مدافعاً عن جنس النساء، بل كان أحد الذين تأثروا بخيانة زوجة شهریار له، ولكن شخصية عبدالله تنقلب في مسرحية (ألمينا)، وتُقدّم على أنها الشخصية المدافعة عن (ألمينا) ضد آراء أخيه المناوئة للنساء، فيغدو منافساً لا حليفاً لأخيه.

وعند التأمل في وظائف الشخصيات الأخرى في المدونتين، نجد بعض الاختلاف وفقاً للخطاب الذي تحمله (مانلي) في نقدها المباشر والواضح للممارسات الأبوية الذكورية في بدايات القرن الثامن عشر في إنجلترا، ومن أمثلة ذلك في الحكاية الإطارية لألف ليلة وليلة طبيعة العلاقة بين (شهرزاد) وأختها (دنيازاد)، التي تُعدُّ وسيلة تحفيز رئيسة تدعم استمرار الحكايات وتدفق السرد في حكايات ألف ليلة وليلة من خلال عبارتها الدائمة التي تشيد بالحكاية، وتطلب المواصلة؛ ما يجعل الملك شهریار يرغب في ذلك بشدة، فيأذن بالمواصلة؛ لينتقل السرد إلى الليلة التي تليها، وتنجو شهرزاد من القتل، لكن شخصية الأخت في (ألمينا) -واسمها زورادايا- تبدو ذات دور مختلف تماماً في أحداث المسرحية؛ فهي لا تتحالف مع أختها، ولكن دورها ينحصر في علاقة حب مع شخصية عبدالله الشقيق الأصغر للمنصور بن أبي عامر، «وبسبب حب من طرف واحد، فإنها تقتل نفسها وفقاً للمزاج العاطفي الذي يحل محل الخطاب العقلاني للنسويات الأول»^(٢).

ولم تكن نهاية مسرحية (ألمينا) متطابقة مع نهاية الحكاية الإطارية في ألف ليلة وليلة؛ إذ تعمدت (مانلي) الخروج عن متابعة قصة الإطار لألف

(١) ينظر: تقديم عفيف حاطوم، ألف ليلة وليلة، ٩/١.

(٢) برناديت أندريا، المرأة والإسلام في بدايات الأدب الإنجليزي الحديث، ص ٢٠٦.

ليلة وليلة فيما يتعلق بنهاية المسرحية؛ فقد كانت النهاية في حكايات ألف ليلة وليلة عقلانية ومتوقعة، وتتمثل في وقوع السلطان /شهریار في حب شهرزاد، لتنجب له ثلاثة من الأولاد، جاؤوا خلال سنوات حكاية القصة، ولكن (مانلي) تنحرف عن هذه الفكرة /النهاية السعيدة، وتغلب الجانب العاطفي التراجيدي في مسرحيتها، فتنتهي المسرحية بتقبّل البطلة (أمینا) لموتها؛ حمايةً للسلطان /المنصور بن أبي عامر من تشويه سمعته بالقتل؛ ولهذا يطغى الجانب العاطفي المعبر عن الأحاسيس في المشهد الأخير، وذلك عندما تتدفق مشاعر الملك المدهوش بتضحية زوجه؛ فيتخلّى في النهاية عن فكرة كراهية النساء من خلال قول مانلي: «انظر عاليًا! عزيزي الهائم، أنا كلي ملك يمينك، إلى الأبد ملكك، ولهذا لن نفرق أبداً» لتؤكد المسرحية احتضانها للعاطفة أكثر من العقلانية^(١).

ومن خلال ما سبق اتضح لنا قدرة حكايات ألف ليلة وليلة على الوصول إلى الآداب الأوروبية، وخاصة الأدب الإنجليزي، والتأثير الإيجابي والعميق فيه من خلال مسرحية الأدبية الإنجليزية (مانلي): (أمینا أو النذر العربي)، ولعل أول ما استرعى الانتباه هو سرعة تأثير الحكايات في الأدب الإنجليزي؛ ذلك أن ترجمة (جالان) وصلت إلى اللغة الإنجليزية سنة ١٧٠٦م من خلال ترجمة مجهولة المترجم، وبعد سنة واحدة فقط نشرت (مانلي) مسرحيتها ١٧٠٧م.

ووقفت المقارنة على الاختلاف الجناسي بين العاملين؛ إذ لحظتُ فرقاً في الجنس الأدبي؛ فالقالب الحكائي المعتمد على السرد في ألف ليلة وليلة لم يكن هو القالب الذي استثمرته (مانلي) في عملها المتأثر بتلك الحكايات، بل استثمرت في عملها القالب المسرحي المعتمد على الحوار وحركية الشخصيات، وهذا منح عملها حيوية أكبر، وتحرراً أعمق، خاصة إذا علمنا أن المسرحية قد مُثلت وعرضت أمام الناس.

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٠٧.



كما لحظ البحث أن (مانلي) لم تنقل إطار حكايات ألف ليلة وليلة بكامل شخصياتها وأحداثها، ولكنها أفادت من هذا الإطار عن طريق تنزيله على مسرحيتها مع تغيير في أسماء الشخصيات وبعض الوظائف المنوطة بها داخل الحكاية، وفي كل الأحوال فقد كانت الحكاية الإطارية لألف ليلة وليلة هي الملهم الأول لـ (مانلي) في بناء عملها المسرحي (ألمينا أو النذر العربي).

خاتمة:

لقد حاول هذا البحث أن يضيء الرحلة التاريخية التي قطعتها حكايات ألف ليلة وليلة عبر الثقافات المختلفة، متوقفاً عند سؤال الأصل والمرجعية الأولى الذي بدا مجهولاً للوهلة الأولى، لكن محاصرته بمقامات وسياقات معرفية من كتب التراث الأدبي العربي أسهمت في كشف الإجابة عن هذا السؤال، وإضاءة جوانبه شيئاً فشيئاً؛ وبدا أن حكايات ألف ليلة وليلة لم تكن عربية الأصل والنشأة، وإنما عرفها العرب حين ترجموا كثيراً من منجزات الأمم الأخرى في العصر العباسي، وثمة ما يشبه الاتفاق بين المصادر التراثية التي أشارت إلى حكايات ألف ليلة وليلة على أن كتاب (هزار أفسانه) هو الأصل الذي نُسجت فيه حكاية الإطار، تلك الحكاية التي ظلت المنطلق الرئيس، والفتحة الأولى لكل الحكايات التي نُسجت في ألف ليلة وليلة بعد ذلك، لكن الذي يبدو مؤكداً هو أن الثقافة العربية أعادت تشكيل هذه الحكايات من خلال الموروث الشفاهي للحكاية، كما أعادت بناء هذه الحكايات وفقاً للثقافة العربية والإسلامية، مستثمرة أحداثاً، وبيئات، وشخصيات عربية مختلفة، وكان النتاج الفكري بجميع مستوياته وأنواعه يجري تداوله وإنتاجه بتوجيه من البنية الثقافية التي أُرست دعائمها قبل ذلك بنحو أربعة قرون.

ولقد استطاعت الثقافة العربية أن تحفظ حكايات ألف ليلة وليلة، وتدعم سيرورتها وانتشارها، وهذا يعود في المقام الأول إلى قوة الموروث الشفاهي العربي الذي أسهم في تغذية الحكايات وزيادتها على مر الزمن، ومن ثم تدوينها في مراحل زمنية مختلفة، وفي بيئات متعددة، في الوقت الذي لم تستطع فيه الثقافات الأخرى الاحتفاظ بشيء يمكن أن يُعَوَّلَ عليه في سيرورة الحكايات أو انتشارها، ومن هنا أصبحت الثقافة العربية هي المصدر الوحيد الذي يُؤمّد الآداب الأخرى باختلاف لغاتها بحكايات ألف ليلة وليلة.



كما تناول البحث رحلة ألف ليلة وليلة من الثقافة العربية إلى الثقافة الغربية الأوروبية في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي، هذه الرحلة التي ابتدأت قبل ذلك التاريخ بالتأثر الشفاهي المحدود وغير المركز، حين تسلمت حكايات ألف ليلة وليلة عبر معابر متعددة من الشفاهية العربية إلى الثقافة الغربية في أوروبا، لكن الوصول الحقيقي والمؤثر ابتداءً حين عثر المستشرق الفرنسي (أنطوان جالان) على مخطوط عربي قديم يضم جزءاً من الكتاب، فقرر نقله إلى اللغة الفرنسية، وقد شاعت ترجمة (جالان) ليس في فرنسا وحدها، بل في سائر دول أوروبا، وتلقاها المشهد الأدبي الأوروبي في القرن الثامن عشر الميلادي باحتفاء كبير؛ لأنهم وجدوا في حكايات الليالي مزيجاً من السحر والمغامرة والتشويق، ورأوا فيها جدّة المشاهد الشرقية، وبهاء العاطفة، ورقى الفكاهة، وغموض الحياة، وهي مواصفات كانت مفقودة في أدبهم حينذاك.

ولقد تغلغلت حكايات ألف ليلة وليلة - بما انطوت عليه من إثارة وتشويق وعجائبية غير معهودة - في نفوس كثير من مبدعي أوروبا، وبالأخص في فرنسا وإنجلترا؛ فأثّرت مخيلتهم، وأثّرت في أدبهم، وبدا هذا واضحاً في تجاربهم الكتابية من خلال تأثرهم بالخيال والشخصيات والأحداث، وحاول البحث أن يستعرض أنموذجاً من تلك التجارب الأوروبية المتأثرة بحكايات ألف ليلة وليلة، واختار نصّاً مسرحياً للأدبية الإنجليزية (ديلاري فيرمانلي) هو مسرحية (ألمينا أو النذر العربي) معللاً سبب اختياره لهذه التجربة دون سواها؛ بريادتها التاريخية، وندرة حضورها في الدراسات العربية المقارنة، وتصريح المؤلفة بتقاطعها مع الحكاية الإطارية لألف ليلة وليلة، والاختلاف الأجاسي بين المدوّنتين، المؤثرة والمتأثرة.

وقد أوضحت المقارنة بين مسرحية (ألمينا أو النذر العربي) والحكاية الإطارية في ألف ليلة وليلة اتفاقاً في الإطار العام للحكاية، وفي روح التجربة الإنسانية، وفي أدوار بعض الشخصيات الرئيسية، كما كشف البحث عن اختلافات وتمايزات

ظاهرة في وظائف الشخصيات الفرعية، وتحولات في بعض الأحداث، وبالأخص في حدث النهاية الذي كان مأساوياً عاطفياً في المسرحية الإنجليزية؛ إذ انتهى بموت البطلة حفاظاً على سمعة زوجها.

إن هذا البحث يجيء في سياق منظومة من البحوث والدراسات التي تحاول لفت الانتباه إلى حكايات ألف ليلة وليلة بوصفها موروثاً سردياً شفافاً يتأسس على قيمة حضارية عميقة؛ فقد كانت الخطوة الأهم التي أعلنت دخول الأدب العربي إلى أوروبا، وفيها من العجائبية ما أدهش الغرب، وأغراهم بالقراءة والتلقي والبحث والمقارنة، وما زالت هذه الحكايات بحاجة إلى إضاءات بحثية تنصفها، وتنصف الثقافة العربية التي استطاعت تنميتها، وإثراءها، والمحافظة عليها عبر موارثها الشعبي وتداولاتها الشفاهية على مرّ القرون، وتمنحها الحق الذي سلب منها حين عدّها بعض الدارسين العرب مجرد حكايات تتدنّى فيها القيمة الأخلاقية، متجاهلين أثرها الحضاري العميق في إلهام المبدعين حول العالم، ومتناسين ذاكرتها السردية المدهشة، وقدرتها على رسم صورة حاملة للشرق في الرؤية الغربية.



فهرس المصادر والمراجع:

أولاً/ الكتب العربية:

- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.
- ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا - تجدد، طهران، مكتبة الأسد، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- أبو حيان التوحيد، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، دارمكتبة الحياة، (د.ت).
- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، (د.ت).
- برناديت أندريا، المرأة والإسلام في بدايات الأدب الإنجليزي الحديث، ترجمة خالد الدخيل، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٣٧هـ.
- جوستاف جرونباوم، حضارة الإسلام، ترجمة عبد العزيز جاويدم، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
- داود الشويلي، ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- سعيد حيدر، تجليات العجائبي في النثر العربي القديم، الجيزة، سفير للطباعة والنشر، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن: دراسة منهجية، بيروت، منشورات المركز الثقافي العربي، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

- سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، القاهرة، دار المعارف، ط١، ١٣٧٩هـ ١٩٥٩م.
- شريفي عبد الواحد، ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- ضياء الكعبي، السرد العربي القديم: الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- عبد الجبار السامرائي، أثر ألف ليلة وليلة في الآداب الأوروبية، بغداد، منشورات دار الجاحظ، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م.
- عبد الحليم مسعود، الحكى والمشافهة: دراسات في السرد القديم، دمشق، دار القلم، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- عبد الله إبراهيم:
- السردية العربية: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
- موسوعة السرد العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة: تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
- عفيف حاطوم، ألف ليلة وليلة (الحكايات)، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
- علي بن موسى بن سعيد وآخرون، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق حسين نصار، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.



- فاروق خورشيد:
- أديب الأسطورة عند العرب: جذور التفكير وأصالة الإبداع، الكويت، سلسلة عالم المعرفة رقم ٢٨٤، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- الموروث الشعبي، القاهرة، دار الشروق، ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
- ماجدة بن عميرة، شهرزاد بين الأسطورة والنقد، عمان، مركز الكتاب الأكاديمي، ط١، ١٤٣٧هـ ٢٠١٥م.
- ماريوس غويار، الأدب المقارن، ترجمة هنري زغيب، بيروت-باريس، منشورات عويدات، ط٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
- محسن مهدي، كتاب ألف ليلة وليلة من أصوله العربية الأولى، ليدن، شركة بريال للنشر، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.
- محسن الموسوي، ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي: الوقوع في دائرة السحر، بيروت، منشورات مركز الإنماء القومي، ط٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.
- محمد بن عبدوس الجهشياري، كتاب الوزراء والكتّاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م.
- محمد سالم سيف، دراسات في التواصل العربي الأوروبي، بيروت، الجديد للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
- محمد شامة، الإسلام في الفكر الأوروبي، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨٠م.
- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، طهران، مؤسسة دار الهجرة، ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

- معجب العدواني، الموروث وصناعة الرواية: مؤثرات وتمثيلات، بيروت، منشورات ضفاف، والجزائر، منشورات الاختلاف، والرباط، دار الأمان، ط١، ١٤٣٥هـ ٢٠١٣م.
- المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقرئزية)، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- ياسمين فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، دمشق، دارصفحات للدراسات والنشر، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠٠٩م.

ثانياً / الدوريات:

- مجلة الآداب، بيروت، السنة ٢٥، العددان ٣ و٤، المجلد ٢٥، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، ص ٦٦-٧٩.
- مجلة الثقافة، الجزائر، السنة ٢٢، العدد ١١٥، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، ص ١١٥-١٣٩.
- مجلة المعرفة، دمشق، السنة ٣٩، العدد ٤٤١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، ص ١٧١-١٩٠.

ثالثاً / الكتب الأجنبية:

Almyrna or Arabian Vow, Manley, Delarivier, A Trageddy, William Turner Printer, London: 1707 .



References

Books:

- Ibn Khalkan, wafeyat Al Ayyan wa Anbaa Alzaman, Tahkeek Ihsan Abbas, Bayrout, Dar Sadir ,1397h 1977 m.
- Ibn Alnadeem, alfehrist, Tahkeek Rida- Tajadud, Tehran, Maktabat Al Asadi, 1399h 1979 M.
- Abo Hayyan Altwheedi, Al Emtaa' wa Almouanassa, Tahkeek Amin wa Ahmed Alzain, Bayrout, Dar Maktabat Al Hayat, (D.T).
- Ahmed Mukhtar Al Abbadi, Fee Tareekh Almagreb wa Al Andalus, Bayrout, Dar Alnhda Al Arrabia , (D.T)
- Bernadait Andria, Al Marraa' wa Al Islam fee Bidayat Al Adab Al Englizi Al Hadeeth, Tarjamat Khalid Aldakheel, Alriyadh, Jame'at Al Emam Mohamed ibn Saud, T'1, 1437 h.
- Takdeem Afif Hatoum, Alf Layla wa Layla (Alhekayat), Bayrout, Dar Sadir, T 2,1429h 2008 m
- Jostaph Geronyawm, Hadarat Al Islam, Tarjmat Abdulaziz Gawidm, Alkahira, Al Hayaa' Al Ammah lkitab, 1418h 1997 m.
- Daoud Alshewaili, Alf Layla wa Layla wa shir Alsarrdiyaa Al Arabia, Dimashq, Manshourat Etehad Alkittab Al Arrab,1421h 2000 m.
- Saeed Haidar, Tajalleyat Al Ajaybee fee Alnathr Al Arabi Al Kadeem, Algeeza, Safeer Leltebaa' wa Alnashr,1417h 1996 m.
- Saeed Alloush, Madaris Al Adab Almuqaran, Dirasah Manhageyaa, Bayrout, Manshourat Almarkaz Althakafi Al Arabi, T.1,1408h 1987 m.

- Suhair Algalawawi, Alf Layla wa Layla, Alkahira, Dar Al Marref, T' 1, 1379h 1959m.
- Sharifi Abdulwahid, Alf Layla wa Layla wa Athareha fee Alrewayah Alfrenssiya fee Alqarn Althamin Ashar, Wahran, Dar Alghart Lelnashr wa Altawzeeah', 1426h 2005 m.
- Dia Al Kaabi, Alssard Al Arabi Alkadeem: Al Ansaq Althakaffia wa Eshkalleyat Al Taweel, Bayrout, Al Mouassasah Al Arbia Lelderasat wa Alnnashr, T'1, 1426h 2005m.
- Abduljabar Alsamerraiee, Athar Alf Layla wa Layla fe Al Adab Al Oroubia , Bagdad ,Manshorat Dar Aljahiz , T 1 ,1403h 1982m.
- Mohamed Salim Saif, Alhakki wa Almushafaha' fee Altwasul Al Oroubi, Bayrout, Aljadeed Leltibaa' wa Alnnashr, T' 1,1417h 1996 m.
- Abdullah Ibrahim:
 - Alssardiyah Al Arabbia fee Albenyah Alssardiyah Lelmawrout Al Hekae Al Arabi, Bayrout, Tabaa'1, 1992 Miladia.
 - Mawsouat Alsard Al Arabi, Bayrout, Almouassasah Al Arabia Leldirasat wa Alnnashr, T'1,1426h 2005 m.
- Abdulmalik Murtad, Alf Layla wa Layla: Tahleel Simyaa' Lehkayat Hammal Bagdad, Aljazer, Diwan Al Matbouat Algameyiaa,1414h 1993 m.
- Ali ibn Mousa ibn Saeed wa Akhroun, Alnojoum Alzahirah fee Hulli Hadrat Alkahira, Tahkeek Hussain Nassar, Alkahira, Matbaat Dar Alkettab, 1390h 1970 m.
- Farouk Khursheed:
 - Adeeb Al Ostourah ind Al Arrab: Gozour Altafkeer wa Asalat Al Ebdaa', Alkuwait, Silsilat Alam Al Marefa No. 284, T' 1,1423h 2002 m.
 - Almwrouth Alsha'bi, Alkahira, Dar Alsherouq, T' 1,1413h 1992 m.



- Majidah ibn Omairah, Shahrazad bain Al Ostourah wa Alnagd, Amman, Markaz Alketab Al Akadimi, T'1, 1437h 2015 m.
- Marios Goyar, Al Adab Almokaran, Tarjamat Henry Zageeb, Beirut – Paris, Manshourat Awiadat , T' 2, 1409h 1988m.
- Mohsin Mahdi, Kitab Alf Layla wa Layla min Osoullehi Al Arabia Al Oula, Lyden, Sharikat Brail Lelnashr , 1405h 1984m.
- Mohsen Almousawi, Alf Layla wa Layla fee Nazareyatt Al Adab Al Englisizi: Al Weqoua' fee Daerrat Al Sihr, Bayrout, Manshourat Markaz Al Entemaa Alqawmi, T' 2, 1407h 1986m.
- Mohamed ibn Abdous Ajehshiary, Kitab Al wouzaraa wa Alkuttub, Tahkeek Mostafa Al Saqqa wa Akhareen, Alkahira, Mtabaat Mostafa Albabi, T'1, 1357h 1938m.
- Mohamed Salim Saif, Dirasat fee Altwasul Al Arabi wa Al Oruobbi, Bayrout, Aljadded Leltibaa' wa Alnashr, T' 1, 1408h 1987 m.
- Mohamed Shamah , Al Islam fee Al fikr Al Ourobi, Maktabat Wahba, T' 1, 1401h 1980m.
- Mohamed Gunaimai Hilal, Al Adab Almuqaran, Alkahira, Nahdat Misr Leltibaa' wa Alnashr, 1425h 2004 m.
- Al Masoudi, Morouj Al Thahab wa Maden Aljwharr, Tehran, Moassasat Dar Alhegria, 1386h 1966 m.
- Moejib Al Adwani, Almawrouth wa Sinaat Alrewayah: Moatherat wa Tamtheelat, Bayrout, Manshourat Difaf, Aljazer, Manshourat Al Ekhtelaf, Alrebat, Dar Al Aman, T '1, 1435h 2013 m.
- Almakreezi, Al Mwaez wa Al Etibar be Thikr Alkhetat wa Al Aathar (Alkhetat Almakreeziyah), Tahkeek Mohamed Zainhom wa Madeeha Alshargawi, Alkahira, Maktabt Madbouli, T' 1, 1419h 1998 m.

- Yasmin Fedoh, Eshkaleyyet Altarjmah fee Al Adab Almuqaran, Dimashq, Dar Safhat Lelderasat wa Alnnasr, T'1, 1431h 2009 m.

Journals:

- Majallet Al Adab, Bayrout, Alsannah 25, Almujaallad 25, Al Addadan 3 wa 4, 1977 miladia, safhat 66-79
- Majallet Al Thakaffa, Aljazaer, Alsannah 22, Al Addad 115, 1997 miladia, safhat 171-190
- Majallet Al Thakaffa, Aljazaer, Alsannah 22, Al Addad 115, 1997 miladia, safhat 115-139
- Majallet Al Thakaffa, Dimashq, Alsannah 39, Al Addad 441, 2000 miladia, safhat 171-190



هذه الطبعة
إهداء من المجمع
ولا يُسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

